# شيخ المضيرة أبو هريرة

## الشيخ محمود أبو رية

---

[ ١ ]

شيخ المضيرة أبو هريرة " أول راوية اتهم في الاسلام " ابن قتيبة تأليف محمود أبوريه الطبعة الثالثة: مزيدة ومعدلة حق الطبع محفوظ دار المعارف بمصر

---

[ ٢ ]

بسم الله الرحمن الرحيم

---

[ ٣ ]

بيان واجب حول عنوان الكتاب حدثنى صديق كريم قال: إن بعض الناس قد فهم من وضع كلمة (شيخ المضيرة) في عنوان الكتاب إنما كان لغرض بعيد، وهو ازدراء أبى هريرة ! وقد استغربت من أن يذهب مثل هذا الفهم الخاطئ إلى ذهن ذى لب أو علم ! وكأن الذى يرمينا بهذه التهمة لم يدرس تاريخ أبى هريرة ولا يعرف من أمره شيئا ! ذلك بأن هذا اللقب لم يكن شيئا جديدا ابتدعناه من عند أنفسنا، وإنما هو عريق في القدم مضى عليه أكثر من ثلاثة عشر قرنا، إذ أنه يرجع إلى عهد معاوية بن أبى سفيان الذى كانت هذه المضيرة من أطايب أطعمته فلما نهم أبو هريرة فيها، واشهر ذلك بين الناس لقبوه بها، ولزمه هذا اللقب من ذلك العهد، وجرى على ألسنة الناس ذكره، ثم دونه المؤرخون وكبار العلماء والكتاب في مؤلفاتهم مثل الزمخشري في ربيع الابرار وفى أساس البلاغة، وبديع الزمان الهمذانى في مقاماته، إذ عقد له مقامة خاصة سماها (المقامة المضيرية) وشرح الاستاذ الامام محمد عبده أمرها وأمر شيخها، ومناصرته لمعاوية شرحا لاذعا، وتكلم عنه الثعالبي في كتابه (المضاف والمنسوب) (١) كلاما طويلا، ولا نستوعب كل ما قيل في هذه المضيرة وشيخها فيرجع إلى ذلك في موضعه من هذا الكتاب. ولو أننا كنا نحن الذين ابتدعنا هذا اللقب في دهرنا، وأفشيناه لكان لهذا الفهم شئ من الاعتبار ! يتبين من ذلك أننا لم يكن لنا قصد سيئ لابي هريرة ولا نريد أن نتجنى عليه بشئ غير معروف من تاريخه، وإنما الذى دعانا إلى ذلك - أننا بسبيل ترجمته ترجمة مفصلة، ولا يمكن ذلك إلا باستيعاب كل ما يتصل بهذه الترجمة، وأن أول شئ يجب أن يعنى به المؤرخ أن يذكر اسم من يؤرخ له

---

(١) طبع هذا الكتاب في مصر مرتين إحداهما في سنة ١٩٠٨ والاخرى في سنة ١٩٦٥. (*)

---

كاملا غير منقوص، ولان لقب (شيخ المضيرة) قد لازم اسم أبى هريرة فلا ينفك عنه بحيث إذا أطلق فإنه لا ينصرف إلا إليه، ولم يلقب أحد غيره بهذا اللقب على مدى الدهور، فقد وجب علينا أن نذكر اسمه ولقبه الذى اقترن به، وأصبح جزءا منه، ولو نحن أغفلنا ذلك لحاسبنا التاريخ على إغفاله حسابا عسيرا ! ! إذ ماذا يكون جوابنا إذا قال لنا: كيف تؤرخ لرجل لا يعرف الناس اسمه كاملا ؟ لقد عرفتهم في كتابك بأنهم عندما جهلوا اسمه الذى سماه به أهله كنوه بهريرة كان يلعب بها ! وبقى عليك أن تعرفهم بلقبه الذى جاءه من (مضيرته) التى كان يحبها، وبذلك تكون قد أديت ما عليك ويخرج كتابك مستوفى مستوعبا. هذه هي حقيقة الامر في شأن عنوان الكتاب نذكرها على وجهها لمن يفهم ويعقل، ولا علينا ممن لا يفهم ولا يعقل، وهذه الصفحة قد جعلناها في مفتتح كتابنا، لنضع بها الامر في نصابه، ولتكون تبصرة لاولى الالباب، هدانا الله جميعا لما فيه الرشد والصواب. إنه سميع مجيب.

---

[ ٥ ]

هذا الكتاب أقدم كتابا ما عرفت صاحبه من قبل، وإذا كان جهل مثله خمولا في الاطلاع وقصورا في النشاط، فإنى أحمد لعدوه أن زكاه عندي وهو يبالغ بتجريحه والعدوان عليه. ولقد عرفته أول مرة في كتاب (السنة) للدكتور السباعي، إذ استهدفه هذا بنقد عاطفي دلنى على القيمة في (أبوريه) وفى (أضوائه) الصافية، الامر الذى أتاح لى شرف الدفاع عن الحقيقة فيه وفى كتابه المذكور دون معرفة به، ولا إلمام بكتابه. وعرفته بعد ذلك من خلال (أضوائه) فعرفت عالما متبحرا يلين بيده الموضوع الصعب، ويرتفع بناؤه منهجيا، يوازن شكله محتواه وينهض به، وفى الحق أنه من أنفس ما أنتجته الدراسات الاسلامية الحديثة، وأهداها في فن الوصول إلى الحقيقة. ولا يقل (شيخ المضيرة) الكتاب الذى نقدمه عن كتاب (الاضواء) بل هو فلذة منه تناولها المؤلف بالتحسين، وخصها برعاية أبرزتها عملا مستقلا ذا عطاء يغني محصول (الاحياء) المعتبر اليوم أحد مصادر تقدمنا الاساسية. وقد أوضحنا غير مرة أن تجديد الابحاث القديمة شئ، ونبش الضغائن شئ آخر، وأن التناول الموضوعي هو القياس في التمييز بينهما، ولا حاجة للتأكيد أن أولهما نافع، وثانيهما ضار، ولكن ما يجب التحذير منه هو الخلط بينهما، فالخلط خبط يثير الحفائظ وينتج الفتن، ولا ينفع إلا الاعداء. أقول هذا وأشير إلى العلامة مؤلف هذا الكتاب، الناهض شاهدا من عشرات الشواهد على نتائج الخلط المشار إليه، أفليس من أغرب ما يسمعه المرء

---

(١) افتتحت الطبعة الاولى من هذا الكتاب بهذه الكلمة القيمة التى تفضل بها العالم الكبير الاستاذ صدر الدين شرف الدين وقد رأينا إثباتها في كل طبعة تصدر من هذا الكتاب. (*)

---

[ ٦ ]

المعاصر أن يحاصر كاتب حر وتضرب حوله السدود والاقفال لرأى قاده إليه الدليل، وحركه نحوه الجهر بالحق ؟ تلك هي محنة العلامة (أبوريه) وهى محنة إذا وجدت في القرون الوسطى مسوغا من عشوائية المرحلة فليس لها في عصرنا أدنى مسوغ. وأغرب ما في هذه المحنة أن طوقها من صنع غير الحكام خلافا للمعهود في الازمنة الغابرة. الطوق اشترك في حبكه حول (أبوريه) كتاب كالسباعي أحاطوه بأراجيف وافتراءات منفردة، وناشرون استغلوا

ظرفه هذا فاشترطوا لنشر كتابه تجريده من حقوق المؤلف، ولك أن تجد بين هؤلاء وأولئك سبب تطوعنا لنشر هذا الكتاب الجليل. بقى أن السباعي وأمثاله سيؤكدون للبسطاء من قرائهم تهمة تشيع (أبوريه) ويسوقون التهمة - كما جاءت في كتاب السنة - بأسلوب المرجفين، وليت السباعي يحيى عصره ليخفف على نفسه ثقل هذا الاسلوب الغليظ، فالتشيع لم يعد كفرا، ولا إلحادا في الدين، ولم يعد التسنن ضلالة، ولا خروجا على الاسلام كذلك، وإنما هما في مفهوم الوعى الحديث جدولان يتألف منهما نهر الاسلام الكبير، فلا يخطئ الاسلام متدين تشيع أو تسنن، أما الذين يخطئونه حقا فإنما هم المرجفون المفرقون المتعصبون من الفريقين. والبحث في الحديث والمحدثين بحثا علميا ينفض عنهما غبار القدم رسالة لا يقدرها حق قدرها إلا مسلم يعيش الاسلام بعلم وإخلاص. هدانا الله لما فيه صلاح أنفسنا ومصلحة أمتنا، ولا يشذ عن هذين تأليف هذا الكتاب ولا نشره، ولا الانتفاع بقراءته واقتنائه. صدر الدين شرف الدين (*)

---



مقدمة الطبعة الاولى كان هذا الكتاب فصلا من كتابنا " أضواء على السنة المحمدية " الذى استفاض أمره وأحدث دويا هائلا بين أرجاء العالم الاسلامي، مما لم يحدث مثله لكتاب آخر في عصرنا غير كتاب (في الشعر الجاهلي الذى ألفه الدكتور طه حسين) (١)، وعلى أنه قد ظفر والحمد لله من كبار العلماء، وقادة الفكر بالتقدير الكريم، والثناء الجميل، فإن بعض من أصيبوا بالحشوية والجمود قابلونا بالشتم القاذع، والسب الوضيع فلم نلتفت إليهم، وتركناهم في ضلالهم يعمهون. ولو أن هذه الفئة قد التزمت معنا الطريق السوى، الذى يقضى به النقد العلمي النزيه، لقابلناهم مسرورين ولنازلناهم فرحين، ولكنها ارتطمت في حمأة السباب، وزاغت عن سبيل الصواب، فلذلك سقط معها الخطاب. ولقد كان أكثر ما نالنا من شتم الشاتمين، وقذف القاذفين، مرده إلى ما بيناه من تاريخ (أبى هريرة) وما أظهرناه في هذا التاريخ من حقائق مذهلة لم تكن معروفة لهم من قبل، فصدموا بها، ودهشوا لها، وكادوا منها يصعقون ! ولم يلبثوا أن هبوا ليخففوا عنهم ما أصابهم من هول الصدمة، فلم يجدوا غير الوسيلة التى يحسنونها، فأطلقوا ألسنتهم بسبنا، وشهروا أقلامهم لشتمنا، وقد كان أقذرهم شتما، وأفحشهم سبابا، شامى أزهرى، سمى نفسه (الدكتور مصطفى السباعي) (٢) فقد فاقهم في مضمارهم، وكان بحق فارس حلبتهم ! وكأنه أراد أن يستعلن بأنه (عبير) وحده في فن الهجاء فكأنه (٣).

---

(١) بلغ ما صدر في نقد كتابنا إلى اليوم خمسة عشر كتابا، في مصر، والحجاز والشام. هذا عدا جميع المجلات التى تتجر بالدين في بلاد المسلمين ولا نعلم ماذا سيظهر غدا. (٢) لا ندرى من أين جاءته هذه (الدكترة) ؟ ! ومن الذى منحه هذا اللقب ؟ إن كل ما يعرف عنه أنه تخرج في الازهر كأولئك الآلاف الذين يتخرجون فيه كل عام ! ولا ميزة له عليهم بشئ. على أن هذا اللقب قد هان أخيرا في بلادنا، حتى فقد معناه المعروف عند غيرنا. (٣) حذفنا هنا مقدار صفحة ونصف للسبب الذى بيناه فيما بعد بعد مقدمة الطبعة الثانية. (*)

---



ومن أجل هذه العاصفة الهوجاء التى أثيرت علينا رأينا أن نعيد النظر في دراسة تاريخ (شيخ المضيرة) (١) من جميع نواحيه دراسة مستفيضة شاملة، حتى تبدو للناس شخصية هذا الصحابي

المشهور على حقيقتها، وتتضح لهم على وجهها - فرجعنا إلى ما بين أيدينا من المصادر الموثوق بها عند أهل السنة - وقد اعتمدنا عليها وحدها في هذه الدراسة ولم نرجع إلى غيرها، حتى لا يرمينا غبى جاهل بالتشيع ويقول: إنه يأتينا بكلام لا نعرفه، ولا نثق به ! وكذلك عدنا إلى ما كنا قد احتجناه لدينا من المواد التى استخرجناها من بطون هذه الكتب أثناء دراستنا الطويلة لموضوع كتابنا الكبير، تلك الدراسة التى استغرقت أكثر من خمس عشرة سنة، ولم ننشر كل ما فيها في الطبعة الاولى مراعاة للاختصار، وإشفاقا على من لا يحتملون صولة الحق من أن يصيب عقولهم وعقائدهم مس ! إذا نحن فاجأناهم بكل ما لا يفهمون ! وما لا يعقلون ! ! رجعنا إلى كل ذلك لنسوى منه بحثا كاملا مستوفى لتاريخ أبى هريرة، غير مبالين أن يطول هذا البحث أو يقصر، لان موضوعه خطير، والكلام فيه ليس بالسهل اليسير، وقد نهجت فيه منهجا واضحا مستقيما، - وهو سبيل المؤرخ الذى يتحرى الصدق والامانة مبتغيا بعمله وجه الله ورضا العلم، وأداء حق التاريخ، فإذا هو انحرف عن هذا الصراط المستقيم، ومال به عن النهج القويم، ضل وغوى. هذا هو منهجي الذى اتخذته في كتابي هذا وفى غيره، ولا يعنينى بعد ذلك أن يغضب على زيد، أو يرضى عنى عمرو. ولا أكتم القراء أنه منهج شاق عسير، ولكني استعذبته ورضيت به مغتبطا لانه سبيل الحق، وليس بعد الحق إلا الضلال، وقد استعنت الله فيه فأعاننى، واستهديته فهداني. وما كدت أفرغ من بحثي هذا حتى رأيته قد امتد وطال فبلغت صفحاته حوالى خمسين ومئة صفحة (٢) على حين أنه كان في الاصل لا يتجاوز خمسين صفحة.

---

(١) راجع ص ٨٦ من كتاب (المضاف والمنسوب) للثعالبي لتقرأ ما قاله في هذه المضيرة التي نهم أبو هريرة فيها، واشتهر ذلك عنه حتى جعلوه (شيخا لها) وسيقابلك نبأ ذلك في هذا الكتاب. (٢) استغرقت هذه الصفحات في الطبعة الاولى ١٩٣ صفحة وستزيد في هذه الطبعة على الطبعة الاولى كثيرا. (*)

---



ولو أنى أطعت القلم وأطلقت من عنانه، ليجرى إلى مداه الذى يريده، لزادت صفحات الكتاب على ذلك كثيرا، ولكني كبحت من جماحه، ووقفت عند هذا الحد به. ثم رأيت من التدبير أن أفرده في كتاب برأسه ليعم النفع به، والاستفادة منه، وإنى أقدمه اليوم بعد أن أوفى من التحقيق على الغاية، وبلغ من الاستقصاء أقصى النهاية، وأصبح بلا مراء مرآة مجلوة تصور تاريخ هذا الصحابي المعروف تصويرا صادقا من يوم أن قدم على النبي صلى الله عليه وآله وهو بخيبر فقيرا معدما، إلى أن توفى في قصره المنيف بالعقيق غنيا مثريا. فإذا أنت نظرت في هذه المرآة المصقولة تراءت لك شخصيته واضحة المعالم من جميع جهاتها، وانكشفت لك حياته في زمن النبي وخلفائه الاربعة، وماذا كان شأنه بين سائر الصحابة في هذه الفترة ونهى عمر له عن الرواية عن رسول الله وضربه بالدرة من أجل ذلك وإنذاره إياه بالنفى إلى بلاده إذا هو روى، ثم مصادرته لشطر أمواله لما آنس منه عدم أمانته في ولايته - وما كان بعد ذلك من إمعانه في الرواية بعد أن خلا له الجو بموت كبار الصحابة واختفاء درة عمر التى كانت تباشر ظهره عندما كان يروى - ولكثرة هذه الرواية على قلة زمن صحبته اتهموه في روايته حتى كان بذلك (أول راوية اتهم في الاسلام) - ثم تشيعه لبنى أمية بعد أن انتزعوا الحكم اغتصابا، وعطلوا حكم الشورى في الاسلام، وأصبحوا ملوكا في الارض بيدهم الامر والنهى والرفع والخفض، فكان من دعاتهم وأوليائهم، يناصرهم بلسانه ورواياته، وما ناله لقاء ذلك من نوالهم ورفدهم وأطايب أطعمتهم، وبخاصة (المضيرة) التى كانت من أفخر أطعمة معاوية حتى بلغ من نهمه وحبه لها، أن لقب بها، وظل هذا

اللقب يلازمه ويعرف به على مد الزمن كما ستراه في كتابنا هذا ولذلك جعلناه عنوانا لهذا الكتاب. ويشهد القارئ في تاريخه غير ذلك قصته العجيبة ذات الفصول الثلاثة الغريبة عندما حطب في حبل معاوية، وذلك فيما رواه من أحاديث (بسط الثوب، والوعاءين، والمزود). (*)

---

[ ١٠ ]

وهذه القصة تعتبر ولا ريب من أروع قصص التاريخ الاسلامي. وقد أمطنا اللثام عن أهم ما يجب على المسلمين وغير المسلمين معرفته من رواياته، ومبلغ نصيبها من الصدق ومدى نسبتها إلى النبي، حتى تعلم على حقيقتها، وتؤخذ على مقدار وزنها، وذلك لان في أكثرها مشكلات يحتج بها علينا أعداء الدين، وتضيق بها صدور المؤمنين - وذلك أنه كان (يدلس) في هذه الروايات، ويرسل و (التدليس) - كما نص عليه علماء الحديث أنفسهم - يعتبر في حكم (المرسل) الذى اختلف العلماء في الاخذ به، ومنهم من منع ذلك منعا باتا. ومن أجل ذلك اتجهت عنايتنا إلى تأريخه دون سائر الصحابة. هذا بعض ما ينطوى عليه هذا الكتاب الذى بين يديك، وفيه غير ذلك من الحقائق العلمية ما لم يضمه من قبل كتاب. وإنى إذ أنشره اليوم لعلى ثقة بما سينالني من وراء نشره، ولكن كل ما ألقاه في سبيله، سيكون ولا ريب مما أغتبط به وأسر له، ورحم الله ابن حزم حيث يقول: " من حقق النظر، وراض نفسه على السكون إلى الحقائق - وإن آلمتها في أول صدمة، كان اغتباطه بذم الناس إياه، أشد وأكثر من اغتباطه بمدحهم إياه ". محمود أبوريه عن جيزة الفسطاط - بالقاهرة

---

[ ١١ ]

مقدمة الطبعة الثانية ما كنت أظن - عندما ظهرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب - أنه سينال من إقبال القراء عليه، ورضاهم عنه، وتقديرهم إياه، مثل ما نال، والحمد لله. ذلك أنه لم يكد ينقضى على ظهوره زمن قليل حتى انتشر بين الارجاء ونفدت نسخه كلها، مما دعا إلى إعادة طبعه. وقد رأيت قبل تقديمه للطبعة الثانية أن ألقى عليه نظرة طويلة لكى أراجعه مراجعة دقيقة، وما إن قرأته حتى استبان لى أنه يحتاج إلى تنقيح في بعض مواضيعه، وإلى تفصيل أو إيضاح في مواضيع أخرى. - من ذلك أمر إقصاء النبي صلى الله عليه وآله لابي هريرة عن المدينة إلى البحرين ولما يقض فيها إلا عاما وبعض عام ! مما لم يفعل بغيره من الصحابة جميعا ! فقد أوردنا هذا الامر المهم بغير أن نبين علله ودواعيه. - ومن ذلك أمر ضرب عمر له ونهيه إياه عن رواية الحديث، وكيف يقصده وحده بهذا الضرب وهذا النهى، على حين أن أبا هريرة قد زعم أن النبي صلى الله عليه وآله قد آثره من دون الصحابة كلهم (بالثوب والاجربة) (١) وأنه - كما افترى ناعق جهول ظهر في هذه الايام - قد أسلم منذ أول البعثة المحمدية وهو في بلاده (اليمن) ثم كان يتتبع أخبار النبي صلى الله عليه وآله وهو بمكة ويعلم ما كان ينزل عليه من وحى وغيره، إلى أن قدم عليه بعد وقعة خيبر ! وثم أمر اقتضى لخطره أن نبينه ونفصل القول فيه، لان تاريخ أبى هريرة لا يعرف إلا منه ولا يتم إلا به، ذلك أنه - كما ثبت - لم يبد نجمه المنطفى، ولم يظهر شخصه المختفى، إلا في العهد الاموى، الذى استظل بظله، وبلغ

(١) ستقرأ قصة هذا الثوب وهذه الاجربة في موضعها في هذا الكتاب وهى قصة شائقة. (*)



رغد العيش من رفده، ولم تكثر أحاديثه الغريبة إلا بتأييده، وقد كان قبلها من المغمورين. ومن أجل ذلك عقدنا فصلا مستوفى تحدثنا فيه عن دولة بنى أمية وكيف نشأت. ولا نطيل بذكر كل المواضع التى توليناها بالتنقيح أو التفصيل، أو البيان، أو الزيادة، حتى أصبح الكتاب ولله الحمد في صورة مستوعبة كاملة. * * * وبرغمنا: أولا - أن نأتى في هذه الطبعة بكلمة (١) نرد فيها على ما اتهمونا به من التشيع ! وأن ما ننشره في كتبنا لم يكن للحق ولا للعلم وإنما لنزدلف به إلى إخواننا من الشيعة، وقد سبقت هذه الفرية بهتية أخرى، قذفونا بها فقالوا: " إننا نعمل لمصلحة أمريكا " وإنها من أجل ذلك قد ملات أيدينا من دولارتها التى يعرفونها، بما غمرت جيوبهم منها ! وثانيا - أن نأتى في آخر كتابنا هذا بإلمامة مررنا فيها مرا خفيفا بكتاب ظهر أخيرا باسم (أبو هريرة راوية الاسلام) لشاب يدعى عجاج الخطيب، وساعده على تأليفه جمهرة كبيرة من شيوخ الدين. وقد اضطررنا لكتابة هذه الالمامة على حين أن هذا الكتاب في حقيقة أمره - لا يستحق أن ينظر إليه، وأن مصنفه لا يستأهل أن يرد عليه ! وقد بينا سبب هذا الاضطرار في مقدمة هذه الالمامة فلا نعود إلى بيانه هنا.

---

(١) حذفنا هذه الكلمة وكانت تقع في سبع صفحات، وكذلك حذفنا من مقدمة الطبعة الاولى مقدار صفحة ونصف، وذلك بعد أن جاءنا نبأ وفاة الشيخ مصطفى السباعي، إذ لا يصح أن نناقش ميتا، أو ننازل جثمانا أودع قبره، ووكلنا الامر بيننا وبينه وبين غيره إلى الله. (*)



مقدمة الطبعة الثالثة هذه هي الطبعة الثالثة من كتاب (شيخ المضيرة) نقدمها للقراء بعد أن أصبحت كامله مستوفاة والحمد لله، وقد كنا نتمنى أن تتخذ الطبعة الثانية سبيلها إلى القراء بغير أن نقابل بما تعودنا أن يقابل به كل كتاب يظهر لنا من أذى الجاهلين، وشتائم الجامدين، ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه ! فشاءت الاقدار، أن ينبعث من دمشق أستاذ ناصبى اسمه محمد عزة دروزه فأرسل إلينا خطابا يطفح هجوا وشتما من جنس ما رمانا به من قبل شيخ ناصبى آخر اسمه مصطفى السباعي وهو من دمشق كذلك، وكان ذنبنا عندهما وعند أشباههما ما نكشف للناس من حقائق عن معاوية بن أبى سفيان وحكمه، وعمن كان يناصره من الصحابة على بغيه، ومما جاء في خطاب هذا الدروزي: أنى أطعن في أعظم دولة إسلامية، وأنى أحقد (كذا) على أبى هريرة، وأبى أصطنع منهج كتاب الشيعة في إيران ! وأنى أحمل العقدة أو العقيدة الشيعية التى لا تبالي بحجة ومنطق وحقيقة (كذا). وكلام غير ذلك كثير مما لا فائدة فيه ولا عائدة. ومن العجب أن هذا الدروزي يزعم أنه مؤرخ إسلامى وهو يجهل أن أبا هريرة كان يلقب بشيخ المضيرة، وهذا الخطاب مسجل من دمشق ومؤرخ ٢ تموز سنة ١٩٦٥، كأن كل من ينطق بكلمة حق عن معاوية وحكمه وظلمه يعد شيعيا، وويل له من النواصب (١)، وأتباعهم الذين يؤمنون بما يؤمنون به. وفى مصر ظهر كتيب ! وكتاب الكتيب ! أما الكتيب ففى حوالى ٩٠ صفحة من القطع الصغير عنوانه (السنة في مكانها وفى تاريخها) لمؤلف يسمى - كما جاء على ظهر هذا الكتيب (الدكتور

(١) النواصب هم أهل النصب الذين ينصبون للامام على رضى الله عنه. (*)



عبد الحليم محمود) ذهب ثلثاه في كلام عن كتابة الحديث. واسود الثلث الباقي في نقد بعض ما جاء في كتابنا (أضواء على السنة المحمدية) وطعن فينا وفى ديننا - إذ رماني الشيخ المسلم الصوفى (بالفسق) واستشهد على ذلك بآية من كتاب الله العزيز - كبرت كلمة تخرج من فيه - وكان عليه قبل أن يقترف هذا الاثم الكبير أن يذكر الحكمة المعروفة (إذا كان بيتك من زجاج فلا ترم الناس بالحجارة) ففى ذلك خير له. وفى هذا كفاية - ولا نزيد عليه ! ولقد علمت قبل ظهور هذا الكتيب أنه قد اشترك في تأليفه مع هذا الدكتور طائفة من أساتذة جامعة الازهر ! ثم جاء الدكتور نفسه فاعترف بهذه الحقيقة، في كتيبه، حيث قال في الصفحة ١٢ منه ما يلى: " إن هذا الكتاب إنما هو من ثمار توجيه الدار ومن بركاتها " أي الدار التى أنشأها هو وجماعته لخدمة الحديث (بزعمهم)، وقد جعلوا هذه الدار تحت ظل أحد الوزراء ليستغلوا اسمه في رفع شأنها وقضاء مأربها ! وقد كان أول عجب لنا من هذه الجماعة قيامهم لنقد كتابنا الاضواء بعد أن مضى على ظهوره حوالى عشرة أعوام ! إذ أنه قد صدر في سنة ١٩٥٨ وكتيبهم قد طبع في سنة ١٩٦٧ أي بعد ظهور كتابي بتسع سنين كاملة ! فأين كان شيوخنا الاجلاء حينئذ من نقد كتابنا ؟ وما سبب قيامهم بعد انقضاء هذا الزمن الطويل ؟ لعل هذه الجماعة وهى بطبيعتها أزهرية قد أرادت أن لا يفوتها أداء ما على كل أزهرى من نصيب في شتمنا والطعن فينا ! فقامت بأداء ما عليها - ولو جاء متأخرا - حتى تبرئ ذمتها، وترضي نزعتها ! وإذا كان الامر كذلك فمرحبا ! وبعد ذلك نقول إنه كان لنا أن نستعين بالقضاء على هذا الشيخ لكى يأخذ حقنا منه على ما طعن في ديننا، ولكن منعنا من ذلك ما استفاض بين الناس من أنه قد غرق في بحر التصوف ! حتى أثر ذلك على حصاة عقله، وقد بدا ذلك على ما يجرى على لسانه من قول، وما يخطه يمينه في كتاب (١).

(١) مما يثبت ما يقال عن الشيخ، ما ينشره في كتبه مما ينكره العقل ويأباه الدين والعلم، وإليك مثلا من ذلك، ننقله بحرفه عن الرسالة القشيرية التى نشرها اخيرا (بالصفحة ٦٩) وهو كاف وحده = (*)



ومن أجل ذلك - واستجابة لرغبات كثير علماء أجلاء عقلاء - رأينا أن نتجاوز عما اقترفه الشيخ في حقنا وتركنا الامر لله، وهو سبحانه يفتح بيننا وبينه بالحق، وهو خير الحاكمين. ومن كان هذا مثله وأحواله، لو أنت اعتبرته ممن رفع القلم عنهم، الذين لا يؤاخذون بشئ مما يقع منهم، فإنك لا تبعد عن الحق، ولا تجانب الصواب. ذلك بأن رجلا مثل هذا لا يصح أن يحاسب على ما يصدر منه. وإذا كنا قد تجاوزنا عن حقنا الشخصي الذى نملكه، فإنه لا يجوز لنا أن ندع حق العلم أو نفرط في جنب الحق. فنسكت عما في هذا الكتيب مما يستوجب النقد، ورأينا حقا علينا أن نلقى عليه نظرة عابرة لا نستوفي فيها نقد كل ما جاء به مما هو مخالف للعلم والعقل والمنطق، وبخاصة فإن الذين ألفوه أساتذة كبار يعملون في جامعة إسلامية كبيرة، ويهم الناس جميعا أن يعرفوا مبلغ هؤلاء الاساتذة من العلم، ومدى بصرهم بالنقد والبحث، ولا سيما في مثل

هذا الامر الخطير الذى تصدوا للكلام فيه، وهو تاريخ الحديث المحمدى - وقد فعلنا مثل ذلك من قبل عندما أمطنا اللثام عن حقيقة علم بعض أساتذة جامعة القاهرة (من الشيوخ) الذى ظهر في كتاب آخر نشر باسم (أبو هريرة راوية الاسلام) (١).

---

= للحكم على عقليته، ذلك أنه كتب تعليقا على خرافة أوتاد الارض التى ذكرت في هذه الرسالة " قال العروسى *: الاوتاد هم الرجال الاربعة الذين هم على منازل الجهات الاربع في العالم، أي الشرق والغرب والشمال والجنوب يحفظ الله تلك الجهات بهم " ! ! ونكتفى بهذا المثل وندع للعلماء (العقلاء) أن يبدوا فيه رأيهم، والرسالة القشيرية هذه التى نشرها الشيخ يقرؤها طلابه في الازهر ومريدوه وغيرهم في غير الازهر، ثم لا ننسى أنه كان عميدا لكلية أصول الدين، وهو الآن (رئيس قسم العقيدة بالازهر) - أي العقيدة الاسلامية ! ! (١) راجع ذلك في آخر هذا الكتاب. * ما نقله الشيخ عن العروسى لم يكن في الطبعات القديمة من هذه الرسالة (*)

---



كان مما وصل إليه علم وتحقيق هؤلاء الشيوخ في موضوع كتابة الحديث النبوى، أن خرجوا على الناس برأى ابتدعوه من عند أنفسهم، لم يقل به أحد. من قبل ! ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله قد نهى عن كتابة حديثه في العهد المكى ! ولما انتقل إلى المدينة أباح كتابته، فكتبه أصحابه، وهاك ما جاء في كتيبهم هذا بنص حرفه: " إن موضوع القرآن في هذه الفترة (أي في العهد المكى) كان موضوعا محددا: لقد كان جملة من القضايا تتصل بالغيب، الغيب الالهى، أو - بتعبير آخر - توضيح العقيدة: توحيدا، ورسالة، وبعثا. وكان أسلوب القرآن في ذلك واضحا لا لبس فيه، بينا بيانا سافرا " (١) أي لا يحتاج إل بيان أو تفسير من النبي صلى الله عليه وآله " من أجل ذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن كتابة حديثه، صلوات الله وسلامه عليه " (٢)، " ولكن في فترة العهد المدنى تغير الوضع " (٣) أي بما نزل من آيات التشريع وغيرها مما يحتاج إلى بيان وشرح، " من أجل ذلك أباح الرسول صلى الله عليه وآله كتابته بعد أن كان قد نهى عنها، وبدأ الصحابة رضوان الله عليهم يكتبون " (٤). هذا ما انتهى إليه تحقيق شيوخنا في أمر كتابة الحديث. وهى مجازفة خطيرة لا تغتفر ! ينبذها العقل الصريح ويأباها النقل الصحيح ! ذلك بأنها تقضى حتما بأن النبي صلى الله عليه وآله قد ظل طوال العهد المكى صامتا لا ينطق بكلمة واحدة، لا في بيان ما ينزل من القرآن، ولا في أي غرض من أغراض الرسالة مما يتصل بشؤون الناس وحياتهم ! وإذا تحدث بشئ، فإنه لا يستحق أن يكتب عنه، ولا يستأهل أن يوثر من بعده ! وهذا ما لا يمكن تصوره أو تصديقه، فضلا

---

(١) ص ٣٤. (٢) ص ٣٥. (٣) ص ٣٨. (٤) ص ٤٠. (*)

---



عن التسليم به، اللهم إلا إذا فقد الناس عقولهم، وتجردوا من علمهم، وأصبحوا أغبياء لا يفقهون ! ومن ذا الذى يتصور أو يصدق أو يسلم بأنه صلوات الله عليه قد قضى بمكة ثلاث عشرة سنة نزل عليه فيها أكثر من ثمانين سورة، ولا يكون فيها شئ لا يحتاج إلى بيان أو إيضاح، أو قول من الحق فيما يختلف الناس فيه ! هذا - وإن مما تدفعه بدائه العقول أن تخلو مجالس النبي صلى الله عليه وآله التى كان يعقدها بمكة ليلا ونهارا مدى هذا الزمن الطويل من تعاليم

وآداب وحكم وغير ذلك مما ينفع الناس في حياتهم، ويهديهم إلى الصراط المستقيم من أمورهم ! ومعلوم أن كل لفظة من ألفاظه التى ينطق بها إنما تنطوى على منافع وفوائد جليلة مما يجب حفظه والحرص عليه إن في حياته، أو بعد مماته. وأين الذين يستعلنون بهذا القول الفاسد والرأى العقيم مما أمر الله به رسوله غير مرة في القرآن الكريم، أن يبين للناس ما نزل إليهم ويبين ما يختلفون فيه من مثل قوله تعالى (١٦ - ٤٤): " وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون "، وقوله تعالى (١٦ - - ٦٤): " وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون " فهل كان ذلك لما نزل بالمدينة فحسب، ولم يكن لما نزل بمكة ؟ وإن في هاتين الآيتين وحدهما للرد المفحم والجواب المسكت على هذا القول العجيب - ومن الغريب أنهما مكيتان جاءتا في سورة النحل - وهى مكية بالاجماع إلا بعض آيات في آخرها. هذا وإن هذا الادعاء الباطل الذى أتى به شيوخنا من أن النبي صلى الله عليه وآله قد أباح كتابة الحديث، وكتبه أصحابه (١) (في العهد المدنى) لا بد له من

---

(١) غير خاف أن الصحابة الذين سمعوا من النبي كان عددهم أكثر من مئة ألف، وبديهى أن يكون لدى كل واحد منهم حديث أو حديثان أو ما هو أكثر من ذلك، وكان النبي يحدث قوما بما لم يحدث به غيرهم، وكان يقع من الحوادث أمام قوم ما لم يشهده سواهم، وقد تفرق هؤلاء الصحابة بين مختلف الامصار فإذا كان جميع الكاتبين منهم قد كتبوا ما سمعوه من النبي - كما زعم الشيخ فيجب استيعاب ما كتبه كل صحابي والاتيان به كاملا صحيحا، وإلا فإن هذا الزعم يصبح باطلا ومفضوحا. (*)



برهان على صحته - كما قال تعالى: " قل هاتوا برهانكم، إن كنتم صادقين وإن برهان هذا الادعاء أن يأتي مصداقه بالفعل الثابت لا بالكلام الذى لا حقيقة له ولا جدوى منه ! ذلك بأن يرى الناس بأعينهم ما كتب في العهد المدنى، ويقفوا على رصيده أو حصيده منشورا عليهم لكى يتبعوه، ويذروا غيره ! من مصادر الحديث الموجودة بين أيدى المسلمين، وهى كثيرة لا عداد لها ! ومن وراء ذلك كله دليل قوى يثبت أن النهى قد جاء الامر به وهو بالمدينة لا بمكة، وهذا دليل لا يعقله إلا العالمون، ذلك أن الحديث الذى حمل نهى النبي صلى الله عليه وآله عن كتابة غير القرآن قد رواه أبو سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وآله واتبعه الصحابة جميعا وعملوا به - هو أنصارى خزرجي مدنى، لا قرشي مكى (١) ! ! أفهمت يا مولانا ! أما الشطر الآخر من شطحة مولانا الشيخ الذى زعم فيه أن النبي صلى الله عليه وآله قد أباح كتابة الحديث في العهد المدنى فهذا لا ندفعه ولا نمارى فيه - وكل ما نطلبه، أنه لكى يتبين صحته، ويبدو صوابه أن نرى كما قلنا مصداقه بالحس والعيان، لا بالزعم والبهتان، وذلك فيما كتب من الاحاديث في هذا العهد فليأتوا لنا به إن كانوا صادقين ! هذا هو البرهان الصحيح - وما عداه يكون لغوا لا خير فيه. ولا يعول عليه. ومن المعلوم الذى لا ريب فيه أنه صلى الله عليه وآله قد قضى بالمدينة عشرة أعوام كاملة أي نحو ٣٥٠٠ يوم فلو أنه صلوات الله عليه قد صدر عنه في كل يوم ثلاثة أحاديث فقط لجاءنا من ذلك مصحف ضخم يحتوى على أكثر من عشرة آلاف حديث تكون كلها، لا ريب، صحيحة متواترة لفظا ومعنى، ويكون هذا المقدار أو نصفه أجدى وأنفع للمسلمين من هذه السبعمائة ألف حديث التى قالوا: إنها رويت عن النبي صلى الله عليه وآله وإن أبا زرعه قد حفظها، ولرجع المسلمون كافة إليها في مشارق الارض ومغاربها ولا عتمدوا المصحف الذى يضمها ليعرفوا منه الحديث النبوى، كما اعتمدوا مصحف القرآن لمعرفة

(١) هو من مشهورى الصحابة ولم يكن أحد منهم أفقه منه، وكان يكثر من الحديث. (*)



الكلام الالهى، ولاستغنوا به عن تلكم الكتب الضخمة الكثيرة العدد التى تحمل الاحاديث المروية وفيها الصحيح والموضوع وغير ذلك مما كان مدعاة للاختلاف بين المسلمين على مد العصور، وسيظل قائما إلى يوم الدين وبخاصة بين علماء الفقه الذين تفرقوا في الدين مذاهب وشيعا، ثم لاتخذ علماء النحو من الحديث أوثق مصدر لهم في الاستشهاد به على اللغة والنحو بعد كتاب الله وقبل كلام العرب، بعد أن تجافوا عن الاستشهاد به لما ثبت لديهم ولدى غيرهم يقينا أنه قد جاء على غير لفظه الذى نطق النبي به صلى الله عليه وآله وإنما جاءت روايته (بالمعنى)، ثم لكان قبل ذلك كله أعظم ثروة في البلاغة العربية لا يوجد مثلها في كلام العرب، ولا نحصى ما وراء ذلك من المنافع والفوائد - إذا كان الحديث قد جاء مكتوبا كالقرآن - كما زعموا. نعم هذا ما يجب على شيوخنا أن يؤدوه لكى يصدق الناس ما أدعوه، وأم المنطق لم تلد غير ذلك ! وإنا لنتحداهم في ذلك فإن أتوا بهذا المصحف كانوا علماء محققين، وإن لم يفعلوا كانوا على نقيض ذلك جهلاء غير عالمين. ولم يرد مشايخنا عفا الله عنهم أن يقفوا عند هذه الدعوى الباطلة بل لجوا في الادعاء الباطل فتنبل زعيمهم الشيخ عبد الحليم وازدهى وقال في كتيبه ما نصه: " ولقد وقر في أذهان الناس، بصورة راسخة أن السنة لم تدون إلا في القرن الثاني، ومن أجل اقتلاع هذه الفكرة الخاطئة أطلنا في نقل بعض النصوص التى تثبت الحقيقة ! وهى أن السنة دونت في القرن الاول في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وفى عهد الصحابة الاجلاء " (١) وإن هذه النصوص التى يقول الشيخ عبد الحليم إنه أطال في نقلها بغير فهم ولا إدراك قد مر عليها العلماء المحققون وعرفوها ولكنهم لم يعرجوا عليها، ولم يلتفتوا إليها، ذلك بأن أمر النهى عن كتابة الحديث يلقفها كلها، لانه قاطع ثابت لا يستطيع أحد أن يسترب فيه وآية ذلك أن الصحابة قد اتبعوه (فعلا)

(١) ص ٤٨. (*)



وانتهوا عن الكتابة انتهاء مطلقا، إن بمكة وإن بالمدينة (١)، وكل ما جاء عنهم من حديث عن رسول الله إنما كان من طريق الرواية لا من طريق الكتابة وجرى الامر على ذلك إلى أن جاء عهد التدوين (٢) - وكان ذلك في القرن الثاني ثم تطور فيما يلى هذا القرن من القرون، وانعقد الاجماع على أن أول من أمر بتدوين الحديث هو عمر بن عبد العزيز الذى تولى سنة ٩٩ وأنه كلف بذلك أبا بكر بن حزم الانصاري المتوفى سنة ١٢٠، ولكن لم يأت خبر عن الانصاري هذا لا صحيح ولا مكذوب بأنه ألف كتابا في هذا التدوين، وقد ذكروا أن أول كتاب دون في الحديث هو موطأ مالك المتوفى سنة ١٧٩ هـ وهذا الكتاب، وكل ما جاء بعده من كتب الحديث، قد أتانا من طريق الرواية لا من طريق الكتابة عن النبي صلى الله عليه وآله. والمقطوع به الذى لا يختلف عليه اثنان ولا يحتاج في إثباته إلى برهان، أنه لم يدون كتاب في الحديث في القرن الاول. كل ذلك إنما ينسخ بل ينسف ما سماه هذا الشيخ نصوصا، ويقضى عليها قضاء مبرما، وإنا لنتحدي شيوخا مرة

ثانية أن يثبتوا - إن استطاعوا - أن كتابا واحدا من كتب الحديث كلها ما سموه صحيحا وما سموه سننا قد جاء من طريق الكتابة عن النبي صلى الله عليه وآله أو عن صحابته في القرن الاول أو غيره من القرون حتى تصدق دعاواهم الباطلة !

---

(١) لو أنهم درسوا هذا الموضوع حق الدرس كما يدرس العلماء لعرفوا كيف اتبع الصحابة جميعا ما أمر به النبي صلى الله عليه وآله من عدم كتابة حديثه ولوقفوا على ما فعله عمر بن الخطاب خاصة من عدوله عن تدوين الحديث بعد أن أراد أن يدونه، ومما قاله عمر في ذلك: " إنى كنت أريد أن أكتب السنن، وإني ذكرت قوما كانوا قبلكم، كتبوا كتبا فأكبوا عليها، وتركوا كتاب الله تعالى وإنى والله لا ألبس - وفى راوية - لا أشوب - كتاب الله بشئ أبدا (ص ٦٤ ج ١ جامع بيان العلم وفضله) لحافظ المغرب ابن عبد البر وص ٢٠٦ / ١ / ٣ طبقات ابن سعد وكتب إلى الامصار: من كان عنده منها شئ فليمحه (ص ٦٥ ج ١ جامع بيان العلم وفضله) ويراجع كتابنا الاضواء في طبعته الثالثة لانه بحث هذا الامر وغيره بحثا مستوعبا. (٢) جعلوا للرواية أقساما ثمانية مبينة في كتبهم ومن هذه الاقسام (الوجادة) وهى أن يقف على كتاب شخص فيه أحاديث يرويها بخطه ولم يلقه أو لقيه ولم يسمع منه، ذلك الذى وجده بخطه، وقد اختلف في العمل بالوجادة فقال بعضهم لا يجوز، وقال بعضهم يجوز، ولهم في ذلك كلام طويل يرجع إليه في مظانه. (*)

---



هذا مثل واحد مما بدا في هذا الكتيب الهزيل من علم شيوخنا وتحقيقهم في أمر كتابة الحديث، وهو وحده آية تدل على المجازفة الفاضحة في الظهور بهذه البدعة التى ابتدعوها في أمر كتابة الحديث والتى لم يقل بها من قبل أحد غيرهم. وهاك مثلا آخر في نقدهم وتحقيقهم، نعزز به ما بيناه من حقيقة علمهم: ذلك أنى كنت أرتقب من أمثالهم أن يكون نقدهم نابعا من فيض علمهم، وعصير أفكارهم ولكنهم واأسفا قد كشفوا عن حقيقة أنفسهم بأنهم فقراء معدمون حتى في النقد، فقد اضطروا إلى أن يستجدوا غيرهم عندما أرادوا أن ينتقدوا كتابنا الاضواء وأخذوا يتكففون الناس حتى وقعوا على رجل شامى اسمه مصطفى السباعي، وكان هذا الرجل قد انتقد كتابنا الاضواء عند ظهوره ولضغن أموى (١) يكنه في صدره تجنى علينا في نقده، وتسفل في عباراته، إلى ما ليس بعده غاية في القذف والسباب، وكتابه ينطق عليه بذلك حتى استوجب مقت الناس وسخطهم فانتقدوه في الصحف على ما بدا منه (٢)، ومن تجنيه أن تشبث بهنات مطبعية وقعت في الكتاب مما يقع مثله في كل مطبوع بالعربية، وعلق عليها بعبارات له يصدر مثلها إلا من الجهلاء، فجاء شيوخنا الافاضل وتلقفوا هذه الهنات وما علق عليها بغير أن ينظروا في حقيقتها، ثم خرجوا على الناس فخورين بها، أن قدموا للعلم والنقد بحثا ليس له من قبل نظير !

---

(١) يشابه هذا الضغن ما بدا من الاستاذ دروزه الذى تكلمنا عنه في أول هذه المقدمة. (٢) لم نستطع أن نرد على هذا السباب لاننا لا نحسن السفاهة، ولكى لا نجاريه في خلقه فنكون معه سواء فيه، ولما كان الله سبحانه، يدافع عن الذين آمنوا، فقد قيض الدكتورة بنت الشاطى لتتولى الرد عليه عنا، وقد وفته حسابه، ولطمته لطمات أليمة، وذلك في مقال طويل نشرته بجريدة الاهرام الصادرة في ٢٨ / ٧ / ١٩٦١ ومما جاء في مقدمة هذا المقال الممتع. " إن الذى أو من به أن أسلوب القذف والسباب تأباه الخصومة الفكرية التى لا تجيز غير سلاح الفكرة والمنطق والدليل، ثم هو لا يغنى عن الحق شيئا، بل لعله أجدر بأن يضعف مركزنا بما يثير من نفور القارئ الواعي وما يلقى في روعه من وهن مركزنا، بحيث لا نملك إلا أن نستعين على خصومنا بالشتائم واللعنات إلخ " والمقال كله على هذا الغرار اللاذع الاليم.. هذا هو السباعي وسفاهته الذى جاء شيوخنا - بعد بضع سنين - ليقلدوه وليتلقوا عنه، وليستعينوا بسبابه وقذفه وعلمه علينا، فما أشبه الليلة بالبارحة، وحقا ما قالوا: إن الطيور على أشباهها تقع. (*)

---

ولو أنهم كانوا على شئ من العلم والفهم، واصطنعوا أناة العقلاء، وتحقيق العلماء، وأصول النقد العلمي، والتفتوا وراءهم قليلا، لوجدوا أن هذه الهنات التى استلبوها من هذا السباعي، ثم هللوا بها وكبروا، وقذفونا من أجلها بما قذفوا، وعلى أساسها بنوا حكمهم علينا (بالفسق) قد صححت هي وغيرها من سائر الهنات التى وقعت في الطبعة الاولى، لا لان السباعي هذا قد لاحظها، ولكن لاننا قد عثرنا عليها لما قرأنا الكتاب بعد طبعه ! ولم يكن هذا التصحيح مرة واحدة بل مرتين اثنتين في طبعتين متواليتين صدرتا من كتاب (شيخ المضيرة) إحداهما في سنة ١٩٦٣ والاخرى في سنة ١٩٦٤ أي قبل ظهور كتيب، مشايخنا ببضع سنين ! وهذه والله وحدها لآية أخرى بينة تدل دلالة واضحة على أنهم قوم لا يفقهون من أمر النقد شيئا. ولو أن مشايخنا كانوا على شئ من معرفة أصول الدين وحقائق العلم لنأوا بأنفسهم عن الكلام في هذه الهنات لانها في نفسها - حتى لو بقيت بغير تصحيح لا تمس الدين ولا العلم في شئ.. وليس في إتيانها أي وزر أو ذنب. ومن التهم التى نقلها شيوخنا عن شيخهم السباعي هذا بغير فهم ولا إدراك، أننا بكتابنا الاضواء إنما نخدم المستشرقين، بما نطلعهم على خفايا الدين التى لا يعرفها أحد من غير المسلمين ! كأنهم يستعنلون بذلك أن الدين الاسلامي وتاريخه وكتبه، كل ذلك محجوب علمه عمن ليسوا بمسلمين، وأن هؤلاء المستشرفين كانوا عن ذلك كله من الغافلين الجاهلين، حتى أتاهم كتابنا فكشف لهم الغطاء عن المكنون من أسرارنا، والمخفى من ديننا، فعرفوا منه ما لم يكونوا يعرفون ! وهذا والله هو الجهل والغباء بعينه. ولقد وقع في هذه الجهالة أخيرا الشيخ محمد أبو شهبة علامة الازهر في كتابه الذى سنتكلم عنه فيما بعد، فقال مثل قولهم ! ألا فليعلم شيوخنا - سلمت عقولهم - أن المستشرفين إنما يعرفون من أمر الاسلام وتاريخه ما لو عرفتم أنتم بعضه لكنتم من العلماء المحققين.

---



على أن هؤلاء المستشرقين الذين تنحطون عليهم وترمونهم دائما بأنهم يطعنون في ديننا ويشوهون ديننا وعلمنا هم في الحقيقة لم يتجنوا علينا ولم يفتروا شيئا من عند أنفسهم، وإنما وجدوا مادة خصبة من الخرافات والاوهام قد أنبثت في ديننا ونسب بعضها - وأسفاه - إلى النبي صلى الله عليه وآله فتشبثوا بها وتسلقوا عليها وانتقدونا من أجلها، ولا تثريب عليهم في ذلك. لانهم قوم يفهمون بعقول راجحة وأذهان مستنيرة وعلوم واسعة وأفكار متحررة لا يكبلهم شئ من تقليد أو عبادة للاسلاف، ولا يعرفون عبارة (قال المصنف رحمه الله !) من أجل ذلك لا تلوموهم ولوموا أنفسكم. ثم اجعلوا ردكم عليهم وصدكم لهجومهم أن تعمدوا إلى دينكم فتمحصوه وتطهروه من الشوائب التى لحقت به حتى يعود كما جاء على لسان محمد صلى الله عليه وآله دينا قيما صافيا يتبين منه لاهل هذا العصر ومن يأتي بعدهم إلى يوم الدين أنه دين العقل والعلم والحرية والفكر. هذا هو ما يجب عليكم إن كنتم تستطيعون، أما طريقتكم هذه التى تتبعونها من الطعن فيهم في كل مناسبة ونبز كل من يتكلم بكلمة الحق أنه يساعدهم فهذا ليس بسبيل العلماء المحققين الذين يعرفون قدر أنفسهم، ولو أنكم قد فهمتم كتابنا كما يجب أن يفهمه العلماء المحققون لتبين لكم أن الامر فيه بعكس ما تظنون، ذلك أن من أغراضه الواضحة أنه يصحح للمستشرقين وغير المستشرقين من المسلمين ما قد يوجد في بعض الاحاديث من شبهات أو مشكلات فيحيل وزرها على الذين أتوا بها من الرواة وينزه النبي صلى الله عليه وآله عن قولها، مثل حديث: أين تذهب الشمس بعد الغروب، الذى قالوا فيه: إن إسناده جيد،

ذلك الذى يضحك الاطفال لانه يخالف دليل العلم وشاهد الحس، إذ يفيد أن الشمس عندما تغرب تصعد إلى عرش الرحمن فتسجد تحته ثم تستأذن ربها في الطلوع في اليوم الثاني فلا يؤذن لها، وتظل تستأذن حتى يجيئها الاذن فيجرها سبعون ألف ملك من المغرب إلى المشرق لكى تطلع على الناس في اليوم الثاني ! ومثل حديث خلق الله التربة يوم السبت الذى صرح فيه أبو هريرة بأنه تلقاه عن النبي صلى الله عليه وآله ويده في يده ! ثم تبين للعلماء أنه قد تلقاه عن كعب الاحبار اليهودي - وهذا الحديث مخالف لنص القرآن الكريم. والامثلة على ذلك كثيرة بيناها في كتابنا هذا وفى كتاب الاضواء

---



ومثل آخر من علمهم ! ونسوق هنا مثلا آخر يفصح عن حققية دار الحديث هذه التى أنشأوها، ويثبت أنه ليس فيها عالم بالحديث بصير بأمره، يمكنه أن يميز بين الصحيح منه وغير الصيح، بل كله عند العرب صابون ! ! لقد أقحموا في كتيبهم هذا بغير ما مناسبة (١) حديثا رواه البخاري عن أبى هريرة، واعتبروه صحيحا، ما دام البخاري قد رواه ! وهذا نصه: من عادى لى وليا فقه آذنته بالحرب، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وإن سألني أعطيته، ولئن استعاذني لاعيذنه. ولقد كان على الشيخ عبد الحليم - خاصة - وجماعة دار الحديث عامة أن يرجعوا - قبل أن يأخذوا بهذا الحديث إلى ما قاله العلماء فيه، كالذهبي وابن رجب والخطابى وما ذكره أبو نعيم في الحلية من أنه منقول عن وهب بن منبه اليهودي، وكان أبو هريرة راوي الحديث تلميذا لكهان اليهود يتلقى عنهم ويبث ما يتلقاه بين الناس على أنه من قول النبي صلى الله عليه وآله. حقا كان على مشايخنا أن يفعلوا ذلك، إن كانوا علماء حقا، ولكنهم لم يفعلوا لجهلهم بأمر الحديث وما قاله العلماء الاجلاء فيه.

---

(١) لعل الشيخ عبد الحليم قد أتى بهذا الحديث في كتيبه لكى يتقى به معاداة المبغضين له، واعتراض المعترضين عليه، - ومن قولهم في ذلك: من اعترض انطرد - أي من اعترض على مثل الشيخ عبد الحليم في شئ من أقوال أو أفعاله فإنه (ينطرد) من رحمة الله والعياذ بالله. (*)

---



قيمة كتيب هذه الجماعة هذا بعض ما لاحظناه على كتيب هذه الجماعة، وإذا كان الشيخ عبد الحليم قد فال إن ما فيه هو من ثمار وتوجيه وبركات هذه الدار التى أنشأوها لخدمة الحديث وتحقيق أمره، وإنهم قد عرضوا هذه الباكورة، على الناس ليتذوقوها ! فتبين لهم أن الفساد قد دب فيها - فالويل إذن للعلم وأهله مما تخرجه هذه الدار بعد ذلك من ثمار ! ولقد كان الاجدر بمشايخنا هؤلاء أن يعرفوا قدر أنفسهم ويحفظوا للعلم كرامته حتى لا يتورطوا في معالجة أمر هو من وراء علمهم، وفوق طاقتهم، ومن أجل ذلك جاء كتيبهم كغيره وليس فيه دراسة علمية تظهر خطأ أو تصحح غلطا، أو تعدل رأيا، وكذلك ليس فيه نقد موضوعي يقوم على المنهج العلمي الحديث - وإنما يحمل مثل ما يحمله غيره من السب والشتم، ورمى الناس بالتهم بغير رادع من دين، ولا زاجر من خلق كريم، مما أصبح بين الناس ممقوتا مرذولا، لا يستسيغه عالم، ولا يرضى به عاقل. إن النقد العلمي الصحيح إنما يقوم على قرع الحجه بالحجة، ودفع

الدليل بالدليل، وأن يكون ذلك في أسلوب عف وعبارة مهذبة، أما ما عدا ذلك فإنه يعتبر هراء وهذيانا، يرتد على صاحبه بالمقت ويرمى من أجله بالجهل والسفاهة والغباء. ولتجدن الذين قابلونا بنقدهم، ليس فيهم عالم محقق، ولا بينهم ناقد بصير، وليس ذلك بغريب عليهم لانهم جميعا قد جمعوا بين التقليد الدينى، والجمود الفكري، والحشو الذهنى، ومثل هؤلاء جميعا يجب أن يقابلوا بما يستحقون من الاهمال والاعراض، ومن أجل ذلك تركناهم في جهلهم يعمهون. أما المقلدون فحسبك ما ذكره حافظ المغرب ابن عبد البر في وصفهم في كتابه (جامع بيان العلم وفضله) إذ يقول: قال عبيدالله بن المعتز: لا فرق بين بهيمة تقاد وإنسان يقلد (١) وقال هو وغيره من كبار الائمة: أجمع

---

(١) ص ١١٤ و ١١٥ ج ٢. (*)

---



الناس على أن المقلد ليس معدودا من أهل العلم، وأن العلم معرفة الحق بدليله. وقال ابن القيم تعليقا على هذا القول: قد تضمن هذان الاجماعان اطراح المتعصب بالهوى، والمقلد الاعمى من زمرة العلماء وأسقطوهما باستكمال من فوقهما الفروض من وراثة الانبياء. وقال الاصفهانى في كتابه (أطباق الذهب) (١) مثل المقلد بين يدى المحقق، مثل الضرير بين يدى البصير المحدق، ومثل الحكيم والحشوى كالميتة والمشوى. أقنعه رواية الرواية عن در الدراية، وما أشقى جهالا قلدوا آباءهم فهم على آثارهم مقتدون، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ! وقال العلماء: المقلدون للمذاهب (٢) المتعصبون لها لا يعدون من العلماء حقيقة وإن عدوا عرفا. وكان السلف يعبرون عن المقلد بالجاهل مهما اشتغل بالعلم، لان العالم من كان مستقلا في فهمه للعلم واستدلاله على مسائله، وسئل بعض العارفين عن معنى الذهب، فأجاب أن معناه دين مبدل (٣). والحشويون سموا بذلك لانهم يحشون الاحاديث التى لا أصل لها، في الاحاديث المروية عن رسول الله. وهنا نقف عن المضى في الكلام عن هذا الكتيب وبحسبنا ما قدمناه في نقده، وهو كاف في بيان قيمته العلمية، وفى تعريف الناس بمبلغ الذين ألفوه من العلم، ومقدار حظهم في النقد والفهم، ثم ندع للعلماء المحققين بعد ذلك الحكم فيما بيننا وبينهم، وغفر الله لنا ولهم أجمعين.

---

(١) المقالة ٣٦ ص ٣٦. (٢) مما لا يخفى على أحد أن كل شيوخ الازهر مقلدون يدرسون الفقه على المذاهب الاربعة وقد قرروا أن باب الاجتهاد قد أقفل بعد هؤلاء الاربعة ولا يجوز لاحد فتحه مهما أوتى من العلم ومن أجل ذلك لا نجد بين هؤلاء الشيوخ مجتهدا واحدا. (٣) ص ١٠ من مختصر كتاب المؤمل للرد على الامر الاول للامام أبى شامة. (*)

---



كتاب الازهر وبعد أن فرغنا من الكلام عن كتيب دار الحديث وزعيمها الشيخ عبد الحليم محمود نقف وقفة قصيرة مع كتاب الازهر الذى ظهر أخيرا في نقد كتابنا. كان هذا الكتاب آخر الكتب التى تصدت لنقد كتابنا (الاضواء) وقد جعلوا عنوانه " دفاع عن السنة المحمدية من شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين " ومؤلف هذا الكتاب هو (الدكتور) (١) الشيخ محمد أبو شهبة الاستاذ بكلية أصول الدين -

وهذا الكتاب يعتبر ولا ريب كتاب الازهر (الرسمي) للرد على كتابنا، وأن ما عداه مما كتبه شيوخ الازهر من قبل في هذا النقد هو (برانى غير مدموغ ! !) ومن أجل ذلك نرى الازهر قد اهتم به وأعد له كل ما استطاع من قوة للدفاع عن السنة (كما زعموا) ثم عهدوا بالقيادة في هذه الحملة إلى بطل الازهر الشيخ محمد أبو شهبة لكى يتولى الدفاع ضد العدو المغير على السنة وهو: محمود أبوريه بكتابه الاضواء. بخ. بخ ! ونحن قبل كل شئ نرحب والله بذلك ترحيبا شديدا ونشكر الله شكرا جزيلا على ما أتانا من فضله، وأن نرى الازهر يقف بجحافله الجرارة لمحاربتنا، وأن ينازلنا وحدنا في ميدان النضال دون سوانا. ولو أنت قرأت كتاب الازهر هذا بتدبر لوجدته - وكأنه مرآة مصقولة يتراءى على صفحاتها علم الازهر وتحقيقه ونقده، وما أوتى شيوخه من عقل وفطنة، ويصور أصدق تصوير مناهجه في البحث والدرس والنقد وما إلى ذلك مما اختص به وعرف عنه منذ إنشائه، ويكشف عن الاسلوب الغالب على كثير من الشيوخ في الجدل

---

(١) كلهم ما شاء الله دكاترة، وربنا يزيد ويبارك ! ورحم الله العقاد فيما صرح به لجماعة طلبوا منه أن يتقدم للجامعة المصرية لكى ينال منها درجة الدكتوراه، لانه عاطل منها ! فقال كلمته المشهورة: قولوا لى قبل كل شئ من هم هؤلاء الذين سيمتحنونني ثم يمنحونني هذه الدرجة لكى أعرفهم لانى لا أجد أمامى من يستحق ذلك ! ! (*)

---



والمناقشة العلمية ذلك الذى يقوم على السب والشتم والطعن في دين الغير (١) مما يحسبونه من أسباب التفوق والغلب. وفى الكتاب غير ذلك أمور كثيرة يجب أن تعرف عن هذا المعهد العتيق تولى بيانها بقلمه السيال عالم الازهر ومدرهه الشيخ أبو شهبة. ولخطر هذا الكتاب عند الازهر وأنه لا يداينه في المنزلة أي كتاب غيره تراهم قد عنوا به عنايه فائقة واهتموا به اهتماما شديدا فطبعوه على نفقه الازهر الخاصة وهى ليست هينة ولا قليلة وأخرجوا منه عدة آلاف من النسخ وزعت كلها بالمجان على المعاهد الدينية في بلادنا وغير بلادنا وعلى كثير من العلماء والوزراء والكبراء - وكأنهم يباهون العالم كله به ! ولعل الذين اهتموا بهذا الكتاب، وبذلوا ما بذلوا في سبيل إخراجه ظنوا أنهم قد بلغوا به ما يريدون، وأنهم قد أحسنوا الدفاع عن السنة، وأن المغيرين عليها الذين يقصدونهم، قد لاذوا بالفرار، وولوا الادبار ! وأن كتابهم قد ظهر على كتابنا ظهور الشمس في رائعة النهار ! إن كان هذا ظنهم فقد أخطأوا خطأ كبيرا، ذلك بأن سنة الله قد مضت بأن الحق لا يدحض بالباطل، وأن نور العلم لا يطفأ بالجهل، وأستغفر الله من أن أصف علم الازهر بالجهل ! ! فكتابي - بحمد الله - الذى قام على دعائم قوية من البراهين الساطعة، والحجج الدامغة، رابض في مكانه كالصخرة العاتية، لا يؤثر فيه ما يظهر من جهالات الجامدين ولا ينال منه ما يبدو من تلفيقات الحشويين - ويعتز أيما اعتزاز، أنه قد أصبح بغير نزاع بين العلماء الفهماء، هو الكتاب الاول والمصدر الوحيد الذى يؤرخ لحياة الحديث المحمدى أصدق تاريخ من لدن روايته، بعد أن نهى النبي عن كتابته، إلى أن خرج إلى الناس مدونا في كتبه، وهذه الحقيقة قد تقررت ورسخت، فإن يكفر بها بعض المعاندين فقد وكل الله

---

(١) كنت ذات يوم مع الشيخ محمد أبو زهرة في كلية الحقوق وجاء ذكر طريقة الازهر في المناقشة، وكان قد أفاض علينا ذنوبا من هجائه المعروف فسألته: لم يتخذ الازهر هذه الطريقة ؟ فقال: إن هذه هي طريقتنا ولا يمكن أن نتحول عنها فهنأته عليها وسكت ! (*)

---

بها علماء أجلاء في جميع الاقطار الاسلامية - ليسوا بها بكافرين. وقد بدا ذلك جليا في أنهم قد قدروا كتابنا حق قدره، ووفوه من جميل التقريظ (١) وحسن الثناء حقه وهذا من توفيق الله وفضله. أما نحن فسنظل بعون الله وحوله ثابتين في موقفنا لا يزعجنا أي صوت يرتفع بالطعن فينا، مهما كان ناعقه ! وإذا كانوا قد توهموا أن كتابهم متى ظهر باسم الازهر، واكتسب الصفة الرسمية الازهرية فإن ذلك سيكون مدعاة لان يتزاحم الناس على ورده، ويهيموا شوقا إلى إحرازه، فقد فاتهم أن تقدير الناس لما كان يصدر عن الازهر من كتب أو مطبوعات، قد ذهبت أيامه، وأن ما كان لشيوخه الكبار من احترام موروث قد تضاءل، ذلك بأن أكثرهم قد هانوا على الناس. ومر ذلك إلى أن الجيل الجديد قد بلغ درجة من السمو العلمي، والنضج الفكري والعقلي بحث أصبح وهو ينفر من الاوهام ولا يهتم إلا بالحقائق ولا يسعى إلا إلى معرفة العلم النافع، ينبذ كل ما عدا ذلك مهما كان ومهما كان قائله، وآية ذلك ظاهرة لا تحتاج إلى بيان، وهذه الآية تتجلى في مجلة (الازهر) وهى التى تصور ولا ريب علم الازهر وأدبه وفكره أصدق تصوير، وتبين

---

(١) نشرنا في الطبعة الثانية من كتابنا (الاضواء) طائفة من تقاريظ كبار علماء أفغانستان والعراق والشام ومنها خطاب من أحد علماء زنجبار جاء فيه هذه العبارة " كدت أجن طربا لظهور مثل هذا الكتاب الذى يجب على كل مسلم شفيق على دينه أن يقتنى نسخة منه " ومثل هذه العبارة ما سمعته بأذنى من العالم المحقق الاستاذ إسماعيل مظهر رحمه الله، فقد قابلني ذات يوم في الطريق وقال لى هذه العبارة بنصها (كتابك مجننى) وكتب عنه كلمة رائعة في جريدة الاخبار ختمها بقوله: " وفى القرن العشرين - عصر النور والعلم الذى حضنا على الاستزادة منه وطلبه ولو بالصين - ينبغى لكل مسلم أن يقرأ هذا الكتاب، ويطيل التأمل في حقائقه ليعرف أين هو من دينه، دين العقل والمنطق وحرية التفكير ". وممن قرظوا كتابي الدكتور طه حسين فقد نشر عنه مقالا نفيسا في جريدة الجمهورية ذكر فيها أنه قرأ كتابنا مرتين وكتب على رأس هذا المقال هذه العبارة. " جهد وعبء ثقيل لا يقوم به في هذه الايام إلا القليلون، وختم مقاله ببيت بشار وهو: إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه وهذا البيت الحكيم - لا نفتأ نردده فإنه ينطق عن حقيقة أمرنا من الذين يتلقوننا كل يوم بقذائف جهالاتهم وشتائمهم. (*)

---



ما بلغ إليه شيوخه في مضمار الثقافة العربية الاسلامية في هذا العصر أجلى بيان، والتى كانوا قد جلبوا لها كاتبا كبيرا مشهورا (١) لكى يرفع من شأنها، ويجذب القراء إليها - هذه المجلة كان الظن بها - بعد كل ذلك - أن تكون هي المجلة الاسلامية الوحيدة بين مشارق الارض ومغاربها، وأنها ستكون أوسع سائر المجلات بينها انتشارا ! ترى ماذا هو شأنها الآن ؟ لو أنك اختبرت أمرها وعرفت مكانها بين سائر المجلات العربية والاسلامية التى تصدر في مصر خاصة وفى غيرها من الاقطار عامة لرثيت لها، ولهالك ما تجد من حالها، إذ ترى أنها أقل المجلات رواجا وأندرها ذيوعا، على رغم رخص ثمنها، ولولا بقية من قراء رئيس تحريرها القدماء في مجلاته لما وجدت لها اليوم بين الناس قارئا، وحسبنا ذلك دليلا على قيمة ما يظهر من الازهر للناس من كتب أو مطبوعات، ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه. هذا ولا يفوتنا قبل أن ننتهي من الكلام عن كتاب الازهر أن نذكر أن الشيخ أبو شهبة هذا كان من أوائل الذين انتقدوا كتابنا (الاضواء) عند ظهوره في سنة ١٩٥٨ وكان ذلك بمجلة الازهر وكان يشاركه في هذا النقد محب الدين الخطيب وكان يومئذ رئيسا لتحرير هذه المجلة، ففضحنا علمهما، وأظهرنا للناس جهلهما (٢)، هما وغيرهما من الذين انتقدوا معهم كتابنا وذلك في كتاب طبعناه يومئذ ووجهنا الكلام فيه إلى (مشيخة الازهر) وإلى المراقبة العامة للثقافة الاسلامية بالازهر، وإلى العلماء والمفكرين ثم وزعناه على كثير من العلماء وقادة الفكر،

ومن أجل ذلك تمزق قلب الشيخ غيظا منا، وامتلا ضغنا علينا وأصبح لا يفتأ يرمينا بين آن وآخر بترهاته في مقالات ينشرها في مختلف المجلات لا ينى في ذلك ولا يفتر ! وكنت أعجب لذلك وأخجل ثم أقول: ما وراء

---

(١) هو الاستاذ أحمد حسن الزيات وقد توفى رحمه الله في ١١ / ٦ / ١٩٦٨ رحمه الله رحمة واسعة. (٢) كان ردنا هذا من أسباب إقصاء محب الدين الخطيب عن رياسة تحرير مجلة الازهر لما تبين من جهله وتلفيقه في علمه وقد تميز هو الآخر من الغيظ فأخذ يؤلب الناس ويحرضهم على نقد كتابنا في كتب يطبعها بمطبعته لينتفع بأجر طبعها، وقد حسب هذا المغرور أن ذلك ينال منا، ولكنا بما نعرف من تاريخه المشهور بين المطلعين عليه لم نأبه له ولا حسبنا له حسابا وتركناه يحترق بنار غيظه. (*)

---



ذلك كله ؟ وقد بدا ما أخفاه في نفسه: ذلك أن ضغنه قد انتهى به إلى أن يجمع كل ما سوده قلمه في مدى عشر سنين كاملة مما حسبه نقدا وهو ليس من النقد في شئ، وأن يسوى منه كتابا لم يلبث أن فزع به إلى رؤسائه مهولا لهم في الامر، واستصرخهم بأن يدركوا السنة المحمدية مما يراد بها،، ويكاد لها، وصور لهم كتابنا الاضواء في صورة مخيفة مروعة فاعتراهم الخوف، ورأوا أن يستنصروا علماء الاقطار الاسلامية في أمر هذا الخطر الداهم على السنة، فعرضوا الامر على مجمع البحوث الاسلامية (١) الذى يتألف من مئة عالم من أربعين دولة إسلامية، وبعد أن بحثوا الامر من جميع نواحيه اتفق رأيهم على طبع كتاب الشيخ أبو شهبة على نفقة الازهر لانه بزعمهم هو الذى يستطيع أن يدفع عن السنة النبوية غوائل أعدائها الذين انقضوا عليها، وكذلك طبع الكتاب. أصبح الامر قضية بيننا وبين الازهر وإنى بعد ذلك كله لاستعلن بهذه الصيحة الصريحة وأرسلها تدوى بين جميع الارجاء، أن الازهر قد وضع كتابه وسماه (دفاع عن السنة) ليدفع به هجمات الطاعنين فيها، وجعف كتابي هو وحده الطاعن في السنة مع المستشرقين والذى يجب محاربته والقضاء عليه. وإنى في تواضع شديد أقول: إن كتابي هذا إنما وضعته في الحقيقة ليكون دفاعا عن الحديث المحمدى مما ناله بفعل أعدائه وأوليائه على السواء، وما بذلت ما بذلت من جهد ونصب سنين طويلة - في سبيل تأليفه إلا من أجل هذه

---

(١) نشرت جريدة الاخبار المصرية في عددها المؤرخ ٢٠ / ٧ / ١٩٦٦ " أن أكثر من مئة عالم من ٤٠ دولة سيجتمعون في القاهرة خلال الشهر القادم بدعوة من (مجمع البحوث الاسلامية ويرأس المؤتمر شيخ الازهر - وسيكون في جدول أعمال المؤتمر " مكانة السنة في بيان الاحكام الاسلامية والرد على مثيرى الشبهات حول حجيتها أو رجالها وسندها والحديث وقيمته العلمية والدينية " وقد علمنا أن الدكتور محمود حب الله أمين هذا المجمع كان أشد أعضاء المجمع حماسة لطبع كتاب الازهر - وقالوا: إن ذلك قد جاء من قوة إيمانه وشدة غيرته على السنة، ولانه من كبار علمائها وله مؤلفات ومواقف عديدة في الذب عنها وبيان حقيقتها ! (*)

---



الغاية البعيدة وعلى ذلك أصبح الامر بينى وبين الازهر قضية تحتاج إلى تحكيم قضاة عادلين، ليقضوا فيها بحكمهم النزيه. وتلقاء ذلك رأيت من الواجب على أن أسارع إلى وضع كتابي هذا بين أيدى جميع العلماء المحققين وقادة الفكر النابهين ذوى الرأى السديد، والعقل الرشيد، الذين نزعوا عن أعناقهم أغلال الجمود، وخلصوا أيديهم وأرجلهم من قيوده الثقيلة مصريين وغير مصريين، ليدرسوه

مع كتاب الازهر ويوازنوا بينهما ثم يصدروا فيهما حكما قاطعا يتبين منه قيمة كل كتاب منهما، وأيهما هو الاحق بالدفاع عن السنة، والاجدر بالقيام بهذا العبء الثقيل، ثم أيهما الذى يخدم الحديث خدمة صحيحة ويحرص عليه ويبين حقيقة ما بأيدى الناس منه أو غير ذلك: أهو كتاب الازهر ! أم هو كتاب الاضواء ؟ على أن لا يكون بين القضاة في هذه القضية شيخ أزهرى، حتى تتحقق النزاهة ويصدر الحكم عدلا. وفى بلادنا وغير بلادنا من العلماء الاجلاء من غير هؤلاء الشيوخ من يتولون هذه الحكومة بعدل وعلم ونزاهة. وإنى لراض كل الرضا ومطمئن غاية الاطمئنان بما يصدر في ذلك من حكم الحاكمين سوآء أكان على هذا الحكم أم لى ! ولو أن هذا الكتاب قد خرج باسم الشيخ أبو شهبة ولم يكن باسم الازهر، لاهملنا أمره ولنبذنا ظهريا كما فعلنا بغيره من سائر الكتب التى صدرت قبله في نقد كتابنا، ذلك بأنه لا يمتاز منها بشئ، ولان مؤلفه لا فرق بينه وبين من سبقوه في النقد لا في العلم ولا في الفهم، فهم جميعا والحمد لله سواسية، ونحن نعرفهم على حقيقتهم، ولا ينبئك مثل خبير. ونختم هذه المقدمة بكلمة نبين فيها شيئا مما كيد لكتابنا. إن هذا الكتاب - الذى قامت قيامتهم عليه، واعتوروه بالنقد سنين عديدة من كل نواحيه، وهو كتاب الاضواء قد كتب الله له النجاح والرواج بما لم نكن نحتسب، فبعونه تعالى نفدت طبعتة الاول في زمن وجيز، ثم طبع

---



مرة ثانية بلبنان، وأخيرا ظهرت طبعته الثالثة على أكبر مطابع الشرق (١). وهذا صنوه (شيخ المضيرة) نخرجه اليوم في طبعته الثالثة على مطابع هذه الدار اكذلك بعد أن طبع مرتين في مدى سنتين، مما لا يتفق وقوعه لاى كتاب إلا في الندرة - وقد جاء ذلك كله على رغم ما كان يتمنى أعداء الكتاب الذين كانوا يقدرون أن لا يظهر في غير طبعته الاولى، وكانت تضم الكتابين معا، فجمعوا له كيدهم. وحسبوا أنهم قد وأدوه بوهمهم، وبخاصة بعد أن حذروا الناس من قراءته أو شرائه - وكأن الاقدار كانت تضحك وتسخر مما يقدرون، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون. ولقد كان من توفيق الله وفضله أن ترجم كتاب شيخ المضيرة، وهو هذا الكتاب، باللغة الفارسية، وانتشر في بلاد إيران وما وراءها من البلاد الاسلامية وسننشر ترجمة مقدمة هذه الترجمة في آخر الكتاب لنفاستها ليطلع القراء عليها. فنحمده تعالى أخلص الحمد، وشكره أجزل الشكر على أن كتب لكتابنا هذا البقاء والنماء، وأن يظل نوره يتأرج في الارجاء. وهو سبحانه يحق الحق ويبطل الباطل ولو كره الكافرون. محمود أبوريه يطيب لنا هنا أن نتمثل ببيتين من الشعر لولى الدين يكن رحمه الله: كتابي سر في الارض واسلك فجاجها * وخل عباد الله تتلوك ما تتلو فما بك من أكذوبة فأخافها * ولا بك من جهل فيزرى بك الجهل

---

(١) هي مطابع دار المعارف المشهورة. (*)

---



تمهيد قبل أن نمضى في الحديث عن تاريخ أبى هريرة، نرى من التدبير أن نقدم بين يدينا صدرا وجيزا من القول عن الدعوة الاسلامية، ومن تصدى لها من أعدائها في أول أمرها، لنمهد به إلى ما نحن بسبيله من غرضنا. ذلك بأن أبا هريرة هذا الذى نؤرخ له قد عاش بجوار صاحب هذه الدعوة صلوات الله عليه وقتا ما. وقد

اصطلحوا على أن يجعلوا مثله من صحابته - ثم انقلب بعد ذلك فاتصل بمن كانوا أكبر أعداء الدعوة المحمدية وصاحبها من أول ظهورها، فظاهرهم، وسار تحت رايتهم، ونال جزاءه على ذلك من رفدهم ونوالهم كما سنبينه بعد. بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم بإذنه إلى الصراط المستقيم. كان يدعو إلى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر، ويأمر بالعدل والاحسان وعمل الخير، واجتناب الشر، وما إلى ذلك من الاغراض النبيلة، والمقاصد الجليلة، التى تكفل للانسان السعادة في دنياه وآخرته. وإذا كان الاساس الاول للدعوة الاسلامية هو عبادة الله وحده وترك الشرك في جميع مظاهره، فإن أهم غرض يرمى إليه الدين بعد ذلك، هو إنصاف أهل الفقر من أهل الغنى، وأن يكون الناس جميعا سواسية في الحقوق الاجتماعية والسياسية. ومن أجل ذلك كان أول من ثار على هذه الدعوة الاغنياء، ذوو الثراء، وبخاصة بنو أمية وبنو أبى معيط، وهم الذين كانوا مسيطرين على مكة حينئذ، وسنعقد فصلا خاصا لدولتهم وكيف نشأت. أما الفقراء والمساكين فقد استبشروا بدعوة محمد صلى الله عليه وآله والتفوا حوله، وأيقنوا أنهم بفضل دينه سينالون في الحياة حقهم الذى كتب الله لهم، وأنهم سيعيشون كما يعيش الناس سعداء مطمئنين.

---



الحياة في مكة زمن البعثة قضت حكمة الله أن يكون مبعث الرسول محمد صلى الله عليه وآله في البلاد العربية، وأن تكون مكة أول بلد يشرق منه نور الاسلام. وكان أهل مكة حينئذ يتألفون من طبقات ثلاث، طبقد أرسطقراطية غنية، وهم صناديد قريش، وكانت مكة خالصة لهم، وأخرى متوسطة. وثالثة فقيرة، وكان يعيش بين هذه الطبقات (الرقيق) الذين لم يكن لهم أي حق في الحياة في الحقوق الانسانية، وإنما كانوا كالانعام أو العروض التجارية، ملكا خالصا لاسيادهم، يسخرونهم في كل ما يريدون، ويتصرفون فيهم كما يشاءون، إن بالهبة، وإن بالبيع، ويعاقبونهم بأنواع العقاب بغير أن يسألهم أحد عما يفعلون. فلما أمر النبي صلى الله عليه وآله أن ينذر قومه، وأن يدعوهم إلى البر والتقوى والعدل والمساواة، وأنه لا فضل لعربي على عجمى إلا بالتقوى، وتلا عليهم الآية الكريمة (٤٩: ١٣): " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا. إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير " كبر ذلك على كبار القوم وأغنيائهم، وعز عليهم أن يعلو شأن الفقراء بينهم، وأن يكون لهم، حق معلوم في أموالهم، وأخذوا يحاربون هذه الدعوة بكل ما استطاعوا من قوة فلم يجد النبي مناصا من أن يهاجر من مكة إلى المدينة، بعد ما لقى من أذى قريش وعنتهم ما لقى أكثر من عشر سنين، ولكن قريشا لم تدعه يهدأ في مهجره، بل لاحقوه هناك بعدائهم وبغيهم، وكان أبو سفيان بن حرب أشد الناس عداوة للنبى صلى الله عليه وآله مما ستعرف نبأه فيما بعد. ولم يجد النبي (صلوات الله عليه) راحة في المدينة التى هاجر إليها بعد ما أصابه بمكة ما أصابه، فقد كثرت هناك أعداؤه، وزادت فيها أعباؤه، فبعد أن كان في مكة يكيد له قريش وحدهم أصبح في المدينة وقد ظهر له

---



عدو شديد ماكرهم اليهود، ومع هؤلاء وهؤلاء انبعث عدو أخبث من خلق الله وهم المنافقون - وكانت المدينة مباءة للنفاق، ولعل ذلك بسبب وجود اليهود بينهم. وأجمع هؤلاء الاعداء الاشداء أمرهم بينهم على أن يحاربوا النبي صلى الله عليه وآله ودعوته حربا لا هوادة

فيها، واتصلت هذه الحرب بينهم وبينه بضع سنين حتى كان يوم فتح مكة فاستسلمت قريش وعلى رأسها أبو سفيان بن حرب ومن النبي صلى الله عليه وآله عليهم بالعفو وسموا من هذا اليوم (الطلقاء) ثم زاد من فضله عليهم وبره بهم - على ما كانوا يضمرون من بغض له ولدعوته في نفوسهم - فتألفهم بالمال يهبه لهم وعاملهم بالحسنى وهم المعروفون (بالمؤلفة قلوبهم). وقعة خيبر وإذا كان ليس من همنا أن نتوسع هنا بالكلام عن تلك الحروب التى وقعت بين النبي صلى الله عليه وآله وبين أعدائه لان هذا الكتاب لم يعقد لذلك، فإنه لابد لنا من أن نشير إلى وقعة منها، لانها تتصل بموضوعنا الذى نحن فيه، تلك هي وقعة (خيبر). كانت وقعة خيبر هذه سنة سبع من الهجرة وبعد أن فرغ النبي منها منتصرا، قدم اليمنيون من بلادهم على النبي صلى الله عليه وآله ليسلموا، وكذلك قدم أبو هريرة الذى هو موضوع كتابنا. قدوم الاشعريين والدوسيين إلى النبي صلى الله عليه وسلم خرج أبو موسى الاشعري ومن كان معه من الاشعريين من بلادهم - كما قال هو - وقدم على النبي صلى الله عليه وآله الاشعريون منهم والدوسيون وهو بخيبر وكان ذلك بعد أن افتتحت في سنة ٧ هـ. وإليك ما رواه البخاري عن أبى موسى الاشعري:

---



بلغنا مخرج النبي صلى الله عليه وآله ونحن باليمن (١) فخرجنا مهاجرين إليه أنا وإخوان لى، أنا أصغرهم في ٥٣ أو ٥٢ رجلا من قومي، فركبنا سفينة فألقتنا إلى النجاشي بالحبشة فوافقنا جعفر بن أبى طالب (٢) فأقمنا معه حتى قدمنا جميعا فوافقنا النبي حين افتتح خيبر (٣). وروى عنه البخاري كذلك: قدمنا على النبي بعد أن افتتح خيبر فقسم لنا ولم يقسم لاحد لم يشهد الفتح غيرنا (٤). قال ابن حجر في الفتح وهو يشرح هذا القول: أراد أنه لم يسهم لاحد لم يشهد الموقعة من غير استرضاء أحد من الفاتحين إلا لاصحاب السفينة التى قدم عليها أبو موسى ومن معه. ووقع عنه البيهقى، أن النبي قبل أن يقسم لهم كلم المسلمين فأشركوهم. سبب تأخر الاشعريين في القدوم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد تكلم ابن حجر العسقلاني في فتح الباري عن أسباب تأخر الاشعريين في القدوم إلى النبي فجعل من هذه الاسباب أنهم علموا ما كان المسلمون فيه من المحاربة مع الكفار، فلما بلغتهم المهادنة أمنوا وطلبوا الوصول إليه (٥) ومعنى كلام ابن حجر صريح بأن هؤلاء الاشعريين لم يقدموا إلى النبي أيام محنته في مكة ولا في زمن حروبه الطاحنة وهو بالمدينة لينصروه، ويجاهدوا معه، بل هرعوا إليه بعد الغزوات الكبيرة التى انتصر فيها، وغنم منها المغانم، من غزوة بدر وأحد والحندق أي بعد أن استقر أمر البعثة وأصبح لها شوكة وهيبة وصولة ! (٦)

---

(١) من العجيب أن يقول أبو موسى الاشعري ذلك وقد كان مخرج النبي قبل ذلك بعشرين سنة. (٢) قال البلاذرى إنه كان مع أبى موسى ٤٠ رجلا وكان مع جعفر ١٦ رجلا. (٣) ص ٣٩١ ج ٧ فتح الباري ويراجع ص ١٨٢ ج ٦ من فتح الباري لابن حجر العسقلاني. (٤) ص ٣٩٢ ج ٧ من نفس المصدر. (٥) ص ٣٩ ج ٧ فتح الباري. (٦) ص ٥٤ و ٥٥ ج ٣ أسد الغابة. (*)

---



هذا هو أمر الاشعريين عامة الذين كانوا مع أبى موسى الاشعري، وقدومهم على النبي صلى الله عليه وآله. أما قدوم أبى هريرة،

فإليك نبأه الصحيح. قدوم أبى هريرة إلى النبي صلى اله عليه وسلم إن الثابت الصحيح الذى لا ريب فيه ومن قوله هو نفسه في ذلك: " أتيت رسول الله وهو بخيبر بعد ما افتتحها، فقلت يا رسول الله أسهم لى، فكلم المسلمين فأشركونا من سهامهم (١). هذا هو أمر إسلام أبى هريرة وزمنه على حقيقته أما ما يقال غير ذلك فمحض افتراء لا يلتفت إليه، وقد فندنا ما زعمه بعضهم من أنه أسلم وهو في بلاده (٢). وقفة قصيرة هنا لماذا تأخر قدوم أبى هريرة إلى النبي صلى الله عليه وآله ؟ وهنا نقف وقفة قصيرة مع أبى هريرة ننظر: لماذا تأخر قدومه إلى النبي صلى الله عليه وآله عشرين سنة كاملة، من مبدأ البعثة إلى وقعة خيبر التى كانت في سنة ٧ من الهجرة ! على حين أن بلاده دانية من بلاد الحجاز ؟ لم تأخر هذا الزمن الطويل إذا كانت له رغبة صادقة، ونية خالصة في أن يتبع هذا الدين، ويكون مسلما مجاهدا مع المجاهدين ؟ وإذا كان ابن حجر العسقلاني قد بين في إيجاز ورفق سبب تأخر الاشعريين عن القدوم إلى النبي، فإن لابي هريرة شأنا آخر غير شأن الاشعريين الذين أسلموا مع في وقت واحد، ذلك أنه ثبت من تاريخه أنه كان لفقره يخدم الناس بطعام بطنه (٣) !.

---

(١) ص ٣١ ج ٦ وص ٣٩٣ ج ٧ من فتح الباري، وستقابلك قصة هذا القدوم مفصلة في مكانها من كتابنا هذا. (٢) راجع الكلمة التى رددنا فيها على العجاج مصنف كتاب (أبو هريرة) في آخر الكتاب. (٣) سترى كلاما مفصلا عن ذلك في مكانه من هذا الكتاب. (*)

---



فإذا ما انتهى إلى مسمعه أن نبيا ظهر بمكة بدين يدعو إلى مساعدة البائسين، وسد عوز المحتاجين، فإنه ولا ريب يغتبط بذلك ويشرق قلبه فرحا ! وإذا ما بلغه كذلك أنه بعد أن هاجر إلى المدينة قد أصبح مأوى المجاويع، وأنه قد جعل للفقراء الذين يقصدون المدينة مكانا خاصا يؤون إليه، يطمعهم فيه ويسقيهم (!) فإن نفسه تشرئب ولا جرم إلى ذلك، ويتمنى لو يضمه هذا المأوى ليطعم فيه، ويكفى مشقة خدمة الناس، وما يلقى في سبيل ذلك من نصب ؟ وإذا علم غير هذا وذاك، أنه قد جعل للفقراء والمساكين نصيبا في مغانم الحرب وأنه (صلوات الله عليه) قد اتخذ له موالى وخدما (٢).. إذا ما انتهى إليه كل ذلك وغيره فترى ماذا يكون أمره ؟ إنه ولا شك يطير فرحا، ويهيم سرورا، وتشتد به الرغبة، ويستبد به الطمع، وتلح عليه الحاجة، في أن يهرع إلى صاحب هذا الدين ليعيش في كنفه، ويستظل بظله. هذا أمر لا شك فيه، والجبلة الانسانيد تميل إليه وتبعث عليه " ولكن أنى له بلوغ ذلك، وكيف السبيل إليه وهو يسمع فيما يسمع كذلك أن الناس يحاربون هذا النبي وأصحابه، وأن النضال المسلح متصل بينهم وبينه لا ينقطع - وهو بطبعه يريدها سهلة غير ذات شوكة، لانه ليس من أبطال الحروب، ولا عهد له بميادين القتال، وأنه لم يخلق إلا ليخدم ويطعم من أجر خدمته ! تلقاء ذلك لم يجد مناصا من أن يصبر على مضض وأن يرتقب حتى تسكن غمغمة الحرب بين النبي وأعدائه، ويرى لمن تكون الغلبة، شأنه في ذلك شأن غيره في ذلك العهد ممن على شاكلته. وهم الذين كانوا يقولون في أنفسهم " دعوه وقومه فإن غلبهم دخلنا في دينه. وإن غلبوه كفونا شره ". وظل أبو هريرة يرتقب حتى فتح الله على نبيه ورسخت قواعد الدين.

---

(١) هو المكان المعروف بالصفة. (٢) انظر في ذلك أنساب الاشراف للبلاذرى ص ٤٦٧ تجد أسماء موالى النبي وخدمه. (*)

وثبتت دعائمه، وبسط على أرجاء الارض جناح سلطانه، وأصبح كل من اتبعه وصدق بدعوته آمنا مطمئنا لا يخشى ظلما ولا رهقا. حينئذ طابت نفسه، واطمأن قلبه، وذهب الخوف عنه. ولم يلبث أن ركب رجليه واتخذ طريقه إلى النبي ليخدمه على ملء بطنه، ويملا يده من مغانمه، ويسكن المأوى الذى أعده للفقراء من أتباعه. وكان ذلك في شهر صفر سنة ٧ هـ. وكان له ما أراد عندما اتصل بالنبي، وحقق كل ما كان يبتغيه، فأطعمه النبي ومن عليه بالعطاء من غنائم خيبر - وهو لم يشهدها -، وأسكنه المأوى الذى أعده للفقراء وهو الصفة (١). وما نذكره هنا أمر ثابت لم نتهمه به، ولم نفتر عليه فيه، ذلك بأنه قد اعترف هو مرارا بأنه قد خدم النبي على ملء بطنه وستري ذلك مبينا في مكانه من هذا الكتاب، واعترافه الصريح من أول يوم لقى فيه النبي. وما كاد يملا عينه من رؤية مغنم خيبر حتى رنا إليها، وطالب بنصيب فيها، على حين أنه لم يشهدها، وله في ذلك قصة ستقف عليها في موضعها من هذا الكتاب. والذى نستطيع أن نقطع به ونحن مطمئنون إليه بما تبين لنا من القرائن والادلة الصحيحة وما بدا من اعترافاته الصريحة أن أبا هريرة - إنما كان يبتغى من قدومه على النبي صلى الله عليه وسلم أن يحقق مطامعه الشخصية، ومآربه الذاتية لا ليلتمس أن يتفقه في الدين كما يفعل غيره من الذين أسلموا مخلصين. ولعلك ترى الفرق الهائل بينه وبين غيره من الذين كانوا يقدمون على النبي عن طواعية، مخلصة قلوبهم، راضية نفوسهم بالدين الحنيف. ولنضرب لذلك مثلا واحدا من أمثله كثيرة لا تحصى. ذلك هو مثل إياس بن عمير الحميرى الذى قدم وافدا على النبي في نفر من حمير - إذ بينما نجد أبا هريرة يصرح تصريحا لا لبس فيه ولا إبهام بأنه قد جاء إلى النبي ليخدمه على ملء بطنه، إذ بهذا الحميرى ومن معه يقولون للنبى:

---

(١) زعم أبو هريرة أنه كان عريفا لاهل الصفة واعتمد المؤرخون على روايته وحده في ذلك ولكن لم يأت في ذلك خبر صحيح من غيره. (*)



" أتيناك يا رسول الله لنتفقه في الدين " (١). هذا هو الاسلام الصحيح، والايمان الخالص لوجه الله، الذى ليس وراءه أي مأرب شخصي أو غرض ذاتي. وإنا بعد ذلك نمضى فيما أخذنا على أنفسنا أن نقوم به من ترجمة أبى هريرة الذى أفردناه دون الصحابة جميعا بالتأريخ، لانه كان أكثرهم تحديثا عن النبي، على حين أنه لم يصاحبه صلوات الله عليه إلا عاما وبعض عام، ونفذت رواياته إلى عقائد المسلمين وأحكامهم وغير ذلك على ما فيها من خرافات وشبهات ومشكلات كانت مبعث ضيق لصدر المسلمين، وانتقادا على الدين الاسلامي من غير المسلمين !

---

(١) ص ٧٩ ج ٨ فتح الباري. (*)

أبو هريرة الاختلاف في اسمه: لم يختلف الناس في اسم أحد في الجاهلية والاسلام، مثل ما اختلفوا في اسم " أبى هريرة " فلا يعرف على التحقيق اسمه الذى سماه به أهله ليدعى بين الناس به، وكذلك اختلفوا في اسم أبيه اختلافا كثيرا. قال النووي: اختلف في اسمه واسم أبيه على نحو من ثلاثين قولا. وقال القطب الحلبي: اجتمع في اسمه واسم أبيه أربعة وأربعون قولا مذكورة الكنى للحاكم وقد ذكر ذلك ابن حجر في الاصابة (١). وقال حافظ المغرب ابن عبد البر في الاستيعاب: " واختلفوا في اسم أبى هريرة واسم أبيه اختلافا كثيرا، لا يحاط به، ولا يضبط في الجاهلية والاسلام - وقال: ومثل هذا الاختلاف والاضطراب لا يصح معه شئ يعتمد عليه، وقد غلبت عليه كنيته - فهو كمن لا اسم له غيرها، وأولى المواضع بذكره الكنى (٢) أي لا يذكر اسمه بين الاسماء، وإنما يذكر في الكنى. وفى أسد الغابة: وقد اختلف في اسمه اختلافا كثيرا لم يختلف في اسم آخر قبله ولا يقاربه (٣). أما أمه فقد ذكروا أن اسمها (أميمة). وقال الفيروز آبادى: واختلف في اسمه على نيف وثلاثين قولا. ومما أوردناه لك يكون الجزم باسم صحيح يطلق عليه من ضروب التخمين، فنكتفي بذكر كنيته التى التصقت به والتحمت وظهرت على الالسنة في حياته وبعد موته، وقد بين هو سببها فقال:

---

(١) ٩٩ ج ٧. (٢) ص ٧١٨ و ٧١٩ ج ٢ طبعة الهند و ١١٧٠ و ١١٧١ من القسم الرابع طبعة مصر. (٣) ص ٣١٥ و ٣١٦ ج ٥. (*)

---



كنت أرعى غنم أهلى، وكانت لى هرة صغيرة فكنت أضعها بالليل في شجرة وإذا كان النهار ذهبت بها معى فكنوني أبا هريرة، ولا ضير من تصديق ما قاله، ويبدو أن هذه الهرة قد ظلت تلازمه وهو بالمدينة، فقد رآه النبي وهو يحملها في كمه فقال: يا أبا هريرة، واشتهر به، كما ذكر ذلك الفيروزآبادى في قاموسه المحيط. أصله ونشأته كل ما عرف عن أصله - على ما قيل - أنه من عشيرة سليم بن فهم من قبيلة أزد، ثم من دوس إحدى قبائل العرب الجنوبية - أما نشأته فلم يعرفوا عنها شيئا - وكذلك لم يعرف الناس عن حياته في بلاده (اليمن) في مدى السنين التى قضاها بها قبل إسلامه - غير ما قاله هو عن نفسه من أنه كان يرعى الغنم وكان فقيرا معدما يخدم الناس بطعام بطنه، وروى عنه ابن قتيبة قال: نشأت يتيما وهاجرت مسكينا وكنت أجيرا لبسرة بنت غزوان بطعام بطني وعقبة رجلي فكنت أخدم إذا نزلوا، وأحدوا إذا ركبوا (١). وأخرجه ابن سعد عن أبى هريرة قال: وقد رأيتنى وإنى لاجير لابن عفان وابنة غزوان بطعام بطني وعقبة رجلى (٢)، أسوق إذا ارتحلوا وأحدوا (٣) بهم إذا نزلوا (٤). ولقد كان أبو هريرة أميا لا يقرأ ولا يكتب، وظل على أميته طول حياته.

---

(١) ص ١٢٠ من كتاب المعارف. (٢) العقبة أي نوبة ركوبه. (٣) يبدو أن هذا الحداء الذى كان يحسنه أبو هريرة هو الذى جعله يطلب من العلاء بن الحضرمي أن يجعله مؤذنا وهو بالبحرين * وقد ظل يهوى التأذين حتى بعد أن زادت سنه على الستين. فقد ثبت أنه كان يؤذن كذلك لمروان بن الحكم وهو حاكم على المدينة من قبل معاوية سنة ٤١ هـ. كما ستراه فيما بعد. (٤) ص ٥٣ ج ٤ قسم ٢ من الطبقات وص ٤٤٠ ج ٢ سير أعلام النبلاء. (*)

---

قدومه إلى النبي وهو بخيبر لما سمع أبو هريرة ببعثة النبي وانتشار دعوته وانتصاره على أعدائه قدم إليه صلوات الله عليه وهو بخيبر كما قدم غيره من الدوسيين الاشعريين (١) وكان ذلك بعد أن تخطى الثلاثين من عمره، وذلك بعد ما افتتحوها - كما ذكر هو نفسه في قوله: أتيت رسول الله وهو بخيبر بعدما افتتحوها (٢). قال ابن سعد في طبقاته وهو يتكلم عن غزوة خيبر: وقدم الدوسيون فيهم أبو هريرة وقدم الطفيل بن عمرو وقدم الاشعريون ورسول الله بخيبر فلحقوه بها فكلم رسول الله أصحابه فيهم أن يشركوهم في الغنيمة ففعلوا (٣). وقال المقريزى في إمتاع الاسماع: وقدم الدوسيون فيهم أبو هريرة والطفيل بن عمرو وأصحابهم ونفر من الاشعريين، فكلم رسول الله أصحابه فيهم أن يشركوهم في الغنيمة، فقالوا نعم يا رسول الله (٤). ونقل ابن حجر في الاصابة عن ابن أبى حاتم قدوم الطفيل بن عمرو وأبى هريرة على النبي بخيبر (٥). ولما رأى كثرة مغانم هذه الغزوة جاشت مطامعه وطلب من رسول الله أن يسهم له، ثم تدخل فيما لا يعنيه، فطلب من النبي أن لا يسهم لابان بن سعيد ابن العاص الذى كان ممن خاضوا غمار هذه الغزوة. فانبرى له أبان بن سعيد وأغلظ له في القول وأهانه، لانه لم يكن من الذين اصطلوا بنار الغزو ولا اشترك في الجهاد - فكيف تطمع نفسه في أن يشارك في المغانم، وقد بلغ من إيلام

---

(١) راجع ما كتبنا آنفا. (٢) ص ٣١ ج ٦ و ٣٩١ و ٣٩٧ ج ٧ من فتح الباري وص ٤٣٦ ج ٢ سير أعلام النبلاء الذهبي وص ١٠٢ ج ٨ من البداية والنهاية. (٣) ص ٧٨ ج ١. (٤) ص ٣٢٦ ج ١. (٥) ص ٢٨٧ ج ٣. (*)

---



أبان لابي هريرة، أن قال له: واعجبا لوبر (١) تدلى علينا من قدوم ضأن (٢)، وفى رواية: ياوبر تحدر من رأس ضال، فقال النبي: يا أبان، اجلس، ولم يقسم له، وتلقى أبو هريرة هذه الاهانة فقبع، ولم يجد له جوابا يرد به على أبان. وقد علق الخطابى على قول أبان هذا فقال: أراد أبان تحقير أبى هريرة،. وأنه ليس في قدر من يشير بعطاء، ولا منع، لانه قليل القدرة على القتال. وعن أبى الحسن القابسى: أن معناه أنه ملصق في قريش، وشبهه بما يعلق بوبر الشاة من الشوك وغيره. ولو كان لابي هريرة نفس يعرف قدرها، أو كرامة يحافظ عليها، لابي أن تمتد يده إلى ما ليس من حقه، أو يرنو بعينيه إلى مغانم حرب لم يشهدها، ولما تعرض لهذا الازدراء والتحقير - وبخاصة - وهو في أول يوم يلقى النبي وأصحابه فيه. ومن العجيب أنه كان حينئذ بين بضع وخمسين من الاشعريين ومنهم أبو موسى الاشعري، وقد أسلم معهم عمران بن حصين الخزاعى وأبوه سبيد ابن خلف والطفيل بن عمرو (٣) ولكن لم يبد من أحد منهم جميعا مثل ما بدا من أبى هريرة بل ظلوا قانعين حتى أعطاهم النبي من مغانم خيبر من غير أسهم المحاربين.

---

(١) الوبر دويبة صغيرة وحشية كالسنور، ونقل أبو على القالى عن أبى حاتم أن بعض العرب يسمى كل دابة من حشران الارض وبرا - وقال الفريق أمين المعلوف باشا في كتابه " معجم الحيوان ": إنه حيوان، من ذوات الحافر في حجم الارنب اطحل اللون أي ما بين الغبرة والسواد. قصير الذيل يحرك فكه الاسفل كأنه يجتر. (٢) قدوم ضأن جبل في أرض دوس قوم أبى هريرة - وقيل هو رأس جبلى لانه في الغالب مرعى غنم. (٣) ص ٣٩٣ ج ٢ سير أعلام النبلاء. (*)

---

مفتاح شخصيته وإن ما بدا من أبى هريرة في خيبر، وكشف به - من أول يوم - عن مكنون مطامعه، وخفى مآربه، وحقيقة نفسه، ثم ما وقع منه وهو في الصفة، لمما يصح أن يجعله المؤرخ (مفتاحا لشخصيته). ولا ريب في أن النبي صلى الله عليه وآله قد أسقطه من عينه، فلم يقم له من يومئذ وزنا، ووضعه بين أصحابه في المكان الذى يليق به - وآية ذلك أنه صلوات الله عليه لم يؤاخذ أبانا بما أغلظ له في القول - على حين أنه كان صلى الله عليه وآله يغضب غضبا شديدا عندما ينال أحد (أصحابه) إهانة من (صحابي) آخر كما فعل عندما حصل لعمار بن ياسر، أو عبد الرحمن بن عوف أو غيرهما - فإنه عندما تقاول خالد بن الوليد، وعبد الرحمن بن عوف في بعض الغزوات، وأغلظ خالد في المقال لعبد الرحمن بن عوف، وبلغ ذلك رسول الله غضب غضبا شديدا وقال: لا تسبوا أصحابي - الحديث، ومن جهلهم يجعلون حكم هذا الحديث عاما بحيث يشمل الصحابة جميعا (١) أما ما كان بين أبان وأبى هريرة فقد أغضى النبي عنه، ولم يقل لابان شيئا، واكتفى بأن قال له: اجلس يا أبان، ولم يسهم لابي هريرة وتركه يغدو مغيظا محنقا، وكأنه بذلك قد أقر أبانا على ما فعل بأبى هريرة. وأبو هريرة كان في هذا اليوم يعد ضيفا، والضيف له حرمة يستحق التكريم من أجلها، ولو بكلمة طيبة، ولكنه لم يظفر من النبي بها. وحقت عليه المهانة أمام الصحابة جميعا من أول يوم جاء فيه إلى النبي صلى الله عليه وآله. سبب صحبة أبى هريرة للنبى صلى الله عليه وسلم: كان أبو هريرة صريحا في الابانة عن سبب صحبته للنبى فلم يقل إنه قد صاحبه للمحبة أو للهداية كغيره، من الذين كانوا يسلمون وإنما قال: إنه صاحبه على (ملء بطنه).

---

(١) يراجع فصل عدالة الصحابة بكتابنا (أضواء على السنة) الطبعة الثالثة. (*)

---



ففى حديث رواه أحمد والشيخان عن الزهري عن عبد الرحمن بن الاعرج قال: سمعت أبا هريرة يقول: إنى كنت امرأ مسكينا أصحب رسول الله على ملء بطني (١). وفى رواية أخرى " لشبع بطني " ورواية الكشميهنى " بشبع بطني " (٢). وفى رواية لمسلم كنت رجلا مسكينا أخدم رسول الله على ملء بطني - وفى رواية له أيضا - وكنت ألزم رسول الله على ملء بطني (٣). وقال ابن حجر العسقلاني في شرح أحاديث البخاري التى جاءت بلفظ (لشبع ولفظ بشبع) والمعنى مختلف فإن الذى بالباء يشعر بالمعاوضة - ولكن رواية اللام لا تنفيها ورواية بشبع أي لاجل الشبع. وقال كذلك في شرح الرواية التى جاءت بلفظ (لشبع): لشبع بلام التعليل وهو الاكثر وهو الثابت في غير البخاري (٤). وهذا الذى اعترف به أبو هريرة ننقله على حقيقته بغير أن نخرم منه حرفا. والاعتراف كما يقولون (سيد الادلة) ولا علينا مما يقال بعد ذلك (٥) ! !

---

(١) ص ٢٧١ و ٢٧٢ ج ١٣ من فتح الباري والاعرج هو تلميذ أبى هريرة. (٢) ص ٦١ ج ٧ من نفس المصدر. (٣) على هنا للتعليل - قال ابن هشام وهو يتكلم عن معاني (على) في المعنى: إنها تكون للتعليل كاللام نحو: ولتكبروا الله على ما هداكم. أي لهدايته إياكم. (٤) ص ١٧٣ ج ١ فتح الباري. (٥) كان هذا الامر من الهنات الثلاث التى أخذها الدكتور طه حسين علينا في كلمته النفيسة التى كتبها عن كتابنا (الاضواء) * وأولاها أنه شك في اشتراك كعب الاحبار في مؤامرة قتل عمر وزاد من شكه أن تهكم بالخبر ! وشك كذلك في أن أبا هريرة قد أسلم على ملء بطنه، وأنه كان يأكل مع معاوية ويصلى خلف على (ع) وقد عجبنا أن يجهل مثله وهو من كبار العلماء هذه الامور ويفوته معرفتها، وهى ثابتة صحيحة لا يستطيع أحد أن يمارى فيها - وقد زال عجبى عند ما تبين للدكتور بعد دراسته لتاريخ عمر أن ما قلناه عن اشتراك كعب في مؤامرة قتل عمر صحيح * * وقلنا ولو أنه قد درس تاريخ أبى هريرة حق الدرس كما درس تاريخ عمر لعرف أن كل ما قلته لا شك فيه ولا يمكن دفعه. * راجع هذه الكلمة

في صدر الطبعة الثالثة من كتاب الاضواء. * * راجع ص ٢٥٤ إلى ٢٥٧ من كتاب (الشيخان) للدكتور طه حسين. (*)



حياة أبى هريرة بعد إسلامه في المدينة: لما انصرف النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة بعد فتح خيبر رجع معه أبو هريرة فيمن رجعوا - كان الظن أن يتخذ سبيله وهو بالمدينة إلى السعي في مناكب الارض ليأكل من رزق الله، إما بالصفق في الاسواق، أو بالزرع في الارض، كما كان يفعل غيره. لكى يعيش عيشة كريمة، ولكنه تنكب طريق العمل واتخذ سبيله إلى مثابة ليس لمن يؤمها أي عمل إلا أن يتلقى ما تجود به نفوس المحسنين من فضلاتهم وصدقاتهم، التى سماها النبي أوساخا - فيطعم هو ومن معه من الذين أخلدوا إلى الخمول والكسل، شأن سكنة التكايا والخوانق، وقد فعل ذلك ليثبت بفعله ما أعلنه بقوله: من أنه خدم النبي لملء بطنه، ولو أنه آثر الاجدر بالرجال، والاخلق بالذين يحافظون على كرامتهم - أو لو أنه اتبع ما رواه هو عن النبي صلى الله عليه وآله من قوله صلى الله عليه وآله: والذى نفسي بيده لان يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره فيأكل - خير له من أن يأتي رجلا أعناه الله من فضله فيسأله، أعطاه أو منعه (١). لو أنه فعل ذلك لوجد في الارض مراغما كثيرا وسعة، ولعاش كريما، عيشة رغدا ! ولكنه اختار أن يسأل الناس فهذا يعطيه - وهذا يمنعه، كما صرح هو مرارا فيما ستقرؤه من بعد. وانظر الفرق بينه وبين غيره مثل عبد الرحمن بن عوف، الذى آخى النبي بينه وبين سعد بن الربيع، وكان ذا غنى. فقال له سعد: أقاسمك مالى نصفين وأزوجك ! فقال له عبد الرحمن بن عوف، بارك الله لك في أهلك ومالك. دلوني على السوق (٢). ومن يقرأ ما صرح به أبو هريرة مرارا عن نفسه، وما وصف من سوء حاله، يتبين له أن معيشته كانت ضنكا أيام إقامته بالمدينة في عهد النبي، حتى لقد بلغ من شدة بؤسه وفاقته، أن كان يصرع من الجوع، حتى وصف بعضهم هذا الصرع بالجنون.

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم. (٢) ص ٢٣٢ ج ٤ من فتح الباري. (*)



سكنه في الصفة أما المثابة التى لجأ إليها أبو هريرة، ورضى بها مقاما له فهى (الصفة) (١) وقد نص أبو نعيم في حلية الاولياء (٢) على أن أبا هريرة كان أشهر من سكن الصفة ولم ينتقل عنها - إلا عندما أقصى من المدينة كما ستعرف ذلك. ومن قول أبى هريرة: كنت من أهل الصفة، وكنا إذا أمسينا حضرنا رسول الله، فيأمر كل رجل فينصرف برجل أو أكثر (٣). وقال (٤): رأيت سبعين من أصحاب الصفة، وما منهم رجل عليه رداء، وإنما عليه إما إزار وإما كساء ربطوه في أعناقهم، فمنها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته. وقال واثلة بن الاسقع (٥): كنت من أصحاب الصفة، وما منا إنسان يجد ثوبا تاما، قد جعل الغبار والعرق في جلودنا طرقا. حياة أبى هريرة في الصفة أما حياته في الصفة، فندع له هو وصفها بلسانه، ولا نزيد شيئا من عندنا عليها حتى لا نرمى بالطعن فيه أو بالتحامل عليه. قال رحمه الله فيما أخرجه ابن نعيم في الحلية (٦):

(١) الصفة موقع مظلل في مؤخرة مسجد النبي بالمدينة من الجهة الشمالية، وأهلها الذين يتخذونها سكنا لهم هم - كما قال أبو الفداء في تاريخه المختصر -: أناس فقراء لا منازل لهم ولا عشائر ينامون على عهد رسول الله في المسجد ويظلون فيه - وكانت صفة المسجد مثواهم، فنسبوا إليها - وكان إذا تعشى رسول الله يدعو طائفة منهم يتعشون معه أو يفرق طائفة منهم على الصحابة ليعشوهم، وكانوا يكثرون فيها ويقلون بسبب من يتزوج منهم أو يسافر أو يعمل في الارض - اللهم إلا أبو هريرة فقد ظل فيها لا يبرحها إلى أن انتقل منها إلى البحرين كما سنبينه لك. (٢) ص ٣٧٦ ج ٢ من فتح الباري. (٣) ص ٢٣٨ ج ١١ البخاري. (٤) ص ٤١٦ من نفس المصدر. (٥) ص ١٧٢ ج ١ من أنساب الاشراف. (٦) ص ٣٧٨ ج ١. (*)

---



كنت من أهل الصفة فظللت صائما فأمسيت وأنا أشتكى بطني، فانطلقت لاقضى حاجتى، فجئت وقد أكل الطعام، وكان أغنياء قريش يبعثون بالطعام لاهل الصفة، وقلت: إلى من أذهب ؟ فقيل لى، اذهب إلى عمر بن الخطاب، فأتيته وهو يسبح بعد الصلاة، فانتظرته فلما انصرف دنوت منه، فقلت: أقرئنى ! وما أريد إلا الطعام ! قال: فأقرأني آيات من سورة آل عمران، فلما بلغ أهله دخل وتركني على الباب، فأبطأ فقلت ينزع ثيابه ! ثم يأمر لى بطعام ! فلم أر شيئا ! وروى البخاري (١) عنه قال: والله الذى لا إله إلا هو، إن كنت لاعتمد بكبدي على الارض من الجوع، وإن كنت لاشد الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوما على طريقهم الذى يخرجون منه من المسجد، فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله وما سألته إلا (ليشبعني) - فمر ولم يفعل ثم مر عمر بى فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعني فلم يفعل - الحديث وروى البخاري عن أبى هريرة قال: أصابني جهد شديد فلقيت عمر بن الخطاب. فاستقرأته آية من كتاب الله، فدخل داره وفتحها على فمشيت غير بعيد فخررت لوجهي من الجهد والجوع ! قال ابن حجر في شرح هذا الحديث (فاستقرأته آية) أي سألته أن يقرأ على آية من القرآن، آية معينة، على طريق الاستفادة وفى غالب النسخ (فاستقريته) بغير همزة - وهو جائز على التسهيل، وإن كان أصله الهمزة (٢). وبينما يقول ابن حجر ذلك، إذ ببعض الجهلاء الذين ردوا علينا يقول إنها من القرى ! وروى البخاري عنه قال: لقد رأيتنى وإنى لاخر فيما بين منبر رسول الله إلى حجرة عائشة مغشيا على فيجئ الجائى فيضع رجله على عنقي ويرى أنى مجنون وما بى من جنون ! ما بى إلا جوع (٣).

---

(١) ٢٣٦ و ٢٣٧ ج ١١ من فتح الباري. (٢) ص ٤٢٨ ج ٩ من فتح الباري. (٣) ص ٢٥٩ و ٢٦٠ ج ١٣ من فتح الباري (*).

---



والاخبار كثيرة عن حياته وهو في الصفة فنكتفي بما أوردناه هنا منها، وليس القصد من نقلها أن نعيب على أبى هريرة فقره الذى اعترف به، كما فهم بعض الاغبياء، فليس في الفقر من عيب وإنما لنبين ناحية من تاريخه لا بد أن تعرف. أين كان المزود وهو يتلوى من الجوع ؟ على أن مما لا يقضى الانسان منه عجبا، أن أبا هريرة بينما يصف هنا ما ناله من الجوع هذا الوصف الذى يرق له قلب الشحيح، إذ به يزعم في ناحية أخرى أنه كن له مزود فيه بقية من تمر فمسها النبي صلى الله عليه وآله بيده الكريمة وقال له: كل من هذا المزود (١) ما شئت في أي وقت، فأصبح به غنيا عن الناس، وظل يأكل منه حياة النبي صلى الله عليه وآله وحياة أبى بكر وحياة عمر، وحياة عثمان إلى أن أغارت جيوش الشام على المدينة بعد قتل عثمان

فانتهبته، وقد حسب أبو هريرة ما أكله من مزوده في هذه الفترة فوجده مئتى وسق ! فانظر إلى هذه الغرائب بغير أن تحدثك نفسك بالاعتراض عليها أو الشك فيها، لان أبا هريرة لا تنقضي عجائبه ! ثم إنه يعد من الصحابة الذين يحرم أن يتجه إليهم أي نقد ! وهنا يبدو سؤال: هل يا ترى ظل هذا المزود معلقا بحقوه عند ما أقصى إلى البحرين مع العلاء بن الحضرمي، أو تركه أبو هريرة ليأكل منه غيره من أهل الصفة حتى يعود فيأخذه ؟ ولعلنا نجد من يتفضل بالجواب، ويكون له من الله حسن الثواب، ومن الناس ومنا الثناء المستطاب. * * *

---

(١) سيأتيك نبأ هذا المزود فيما بعد. (*)

---



أبو هريرة وجعفر بن أبى طالب (١) كان الذى يسعف أبا هريرة عندما كان يستطعم الناس فيزورون عنه، وينفرون منه - كما علمت - جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه. فقد روى البخاري (٢) عن أبى هريرة قال: " كنت أستقرئ الرجل الآية - هي معى - كى ينقلب بى فيطعمني، وكان أخير الناس للمسكين - جعفر بن أبى طالب - كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته ". وروى الترمذي عنه: وكنت إذا سألت جعفرا عن آية لم يجبنى حتى يذهب إلى منزله (٣). ومن أجل ذلك كان جعفر عند أبى هريرة أفضل الصحابة جميعا، ففضله على أبى بكر وعمر وعلى وغيرهم، فقد أخرج الترمذي والنسائي بإسناد صحيح عن أبى هريرة: ما احتذى النعال، ولا ركب المطايا ولا وطئ التراب - بعد رسول الله - أفضل من جعفر بن أبى طالب، وقد جاء هذا الخبر كذلك في كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي (٤). هذه كانت حياة أبى هريرة في الصفة وهو بالمدينة، فلم يكن له شأن يذكر، ولا عمل يؤثر.

---

(١) كان جعفر بن أبى طالب يحب المساكين، ويحسن إليهم، وكان رسول الله يكنيه أبا المساكين. وفى كتاب " أنباء نجباء الابناء " لابي ظفر الصقلي: دخل مرة أبو سفيان بن حرب على ابنته أم حبيبة زوج النبي فوجد عندها عبد الله بن جعفر وهو صبى، فقال لها. أي بنية، من هذا الغلام الذى يتضوع كرما، ويتألق شرفا، ويتميع حياء ؟ فقالت: من تظنه ؟ فقال: أما الشمائل فهاشمية ! قالت: نعم، وهو هاشمى، فمن تظنه من بنى هاشم ؟ فتأمله، ثم قال: إذا لم يلده جعفر فلست بسداد البطحاء ! فقالت أم حبيبة: نعم هو ابن جعفر ! فقال: أما إنه لم يمت من خلف مثل هذا. (٢) ص ٦١ و ٦٢ ج ٧ من فتح الباري. (٣) لما يعرف من عادته. (٤) ص ١٥٨ ج ١. (*)

---



نهم أبى هريرة لشخصية أبى هريرة نواح كثيرة منها نهمه الشديد للطعام، ومن أجل ذلك كان - كما علمت - يتكفف الابواب ويستكف الناس (١)، وهذا النهم كان له ولا ريب أثر بعيد في حياته، وقد لازمته هذه الصفة طول عمره حتى لقد جاءت الرواية الصحيحة أنه لما نشب القتال في صفين بين على رضى الله عنه وبين معاوية - كان يأكل على مائدة معاوية الفاخرة، ويصلى وراء على، وإذا احتدم القتال لزم الجبل (٢). ومرد ذلك إلى أنه لم يؤت قناعة في نفسه تعصمه من التعرض لما يأتي من ورائها من زراية الناس واحتقارهم. وقد عرضنا لذكر هذه الخلة فيه حتى لا يبدو تاريخنا له غير كامل. ولقد تبين لك مما رواه هو عن نفسه أنه قد بلغ من أمره أنه كان يعترض الناس في طرقهم، ويغشاهم في بيوتهم ليستطعمهم،

وأنهم كانوا، يصرفون وجوههم عنه. وقد اشتهر ذلك عنه حتى لقد اضطر النبي صلوات الله عليه أن يأمره بأن يزور الناس غبا كما ستقف عليه فيما بعد، وقد ظلت هذه الشهرة تلاحقه على مد التاريخ كله. وسيقابلك كذلك بعض ما ذكره العلماء والكتاب في هذا النهم وبخاصة شغفه بالمضيرة.

---

(١) استكف مد كفه للسؤال، وتكفف الابواب إذا وقف بها سائلا. (٢) ص ٦٤ ج ١ شذرات الذهب في تاريخ من ذهب لابن العماد الحنبلى - وقد ذكر هذا الخبر مؤرخون كثيرون غير ابن العماد وما يزال يدور على الالسنه في كل عصر ومصر. (*)

---



شيخ المضيرة كان أبو هريرة يلقب (بشيخ المضيرة) وهو صنف من الطعام كان مشهورا بين أطعمة معاوية الفاخرة. وقد نالت هذه المضيرة من عنايه الكتاب والشعراء ما لم ينله صنف آخر من الطعام، وظلوا يتندرون بها، ويغمزونه قرونا طويلة من أجلها. وإليك بعض ما كتبوه فيها: قال الثعالبي في كتابه (ثمار القلوب في المضاف والمنسوب) (١) ما يلى: شيخ المضيرة (٢): كان أبو هريرة على فضله واختصاصه (٣) بالنبي مزاحا أكولا وكان يدعى الطب (٤) فيقول: أكل التمر أمان من القولنج، وشرب العسل على الريق أمان من الفالج، وأكل السفرجل يحسن الولد وأكل الرمان يصلح الكبد، والزبيب يشد العصب، ويذهب الوصب والنصب، والكرفس يقوى المعدة، والقرع يزيد في اللب، ويرق البشرة، وأطيب اللحم الكتف وحواشي فقار العنق والظهر. وكان يديم أكل الهريسة والفالوذج (٥)

---

(١) ص ٨٦ و ٨٧ من طبعة مطبعة الظاهر سنة ١٣٢٦ هـ وص ١١١ و ١١٢ طبعة دار نهضة مصر ١٣٨٤ - ١٩٦٥. (٢) المضيرة لحم يطبخ باللبن وربما خلط بالحليب وهو الاجود ثم يضيفون إليه من الابزار ما يوفر اللذة في طعمه، وله مريقة يحمدون أكلها. قال الاستاذ الامام محمد عبده في شرح مقامات بديع الزمان الهمذانى: ربما تكون لبنية بلاد الشام هي المضيرة، وكانت من أطايب أطعمة معاوية حتى ضربوا المثل بها. (٣) لم يكن أبو هريرة مختصا بالنبي كما ذكر الثعالبي. (٤) من ينعم النظر في طب أبى هريرة يجده كله أطعمة تشفى داء الامعاء. وتداوى نهم البطن. (٥) أطايب أطعمة العرب التى ضرب بها المثل: مضيرة معاوية، وثريد غسان. وفالوذج ابن جدعان، وكان ملوك غسان يختصون من بين ملوك العرب بالطيبات، ولهم الثريدة التى أجمعت العرب على أنه ليست ثريدة أطيب منها - وكان عبد الله بن جدعان من مطعمي قريش كهاشم بن عبد مناف، وهو أول من عمل الفالوذج للاضياف وفيه يقول أمية بن أبى الصلت. له داع بمكة مشمعل * وآخر فوق دارته ينادى إلى ردح من الشيزى ملاء * لباب البر يلبك بالشهاد * * الشهاد عسل النحل. (*)

---



ويقول: هما مادتا الولد، وكان يعجبه المضيرة جدا، فكان يأكل مع معاوية فإذا حضرت الصلاة صلى خلف على رضى الله عنه، فإذا قيل له في ذلك قال: مضيرة معاوية أدسم، والصلاة خلف على أفضل، وكان يقال له (شيخ المضيرة) وفيه يقول الشاعر. وتولى أبو هريرة عن نص * ر على ليستفيد الثريدا ولعمري إن الثريد كثير * للذى ليس يستخف الهبيدا (١) وقال الزمخشري في ربيع الابرار: وكان أبو هريرة يعجبه المضيرة فيأكلها مع معاوية، وإذا حضرت الصلاة، صلى خلف على، فإذا قيل له في ذلك قال: مضيرة معاوية أدسم، والصلاة خلف على أفضل، وكان يقال له: شيخ المضيرة. وله في أساس البلاغة: على مع الحال المضيرة، خير من معاوية مع المضيرة. وفى شذرات الذهب في أخبار من ذهب للعماد الحنبلى (٢). وكان أبو

هريرة يصلى خلف على ويأكل على سماط معاوية ويعتزل القتال ويقول: الصلاة خلف على أتم، وسماط معاوية أدسم، وترك القتال أسلم. وقد أورد هذا الخبر كذلك برهان الحلبي في السيرة الحلبية (٣) وصاحب كتاب روض الاخيار المنتخب من ربيع الابرار لمحمد بن قاسم ابن يعقوب في باب الطعام وألوانه: فقال: إن أول من صنع المضيرة معاوية، وإن أبا هريرة كان يستطيبها ويأكل عنده في أيام صفين ويصلى خلف على وبذلك سمى " شيخ المضيرة، وموقعة صفين كانت في شهر صفر " (٤) سنة ٣٧ هـ.

---

(١) الهبيد هو حب الحنظل - كان يطحنه الناس في أيام الجدب. (٢) ص ٦٤ ج ١. (٣) ص ٣٩٧ ج ٣. (٤) ص ١٢٢ واختلاف الالفاظ في هذا الخبر جاء من أنهم كانوا يروون بالمعنى كما فصلنا ذلك بكتابنا أضواء على السنة. (*)

---



وعقد بديع الزمان الهمذانى مقامة خاصة بين مقاماته سماها (المقامة المضيرية) غمز فيها أبا هريرة غمزة أليمة فقال: حدثنا عيسى بن هشام، قال: كنت في البصرة ومعى أبو الفتح الاسكندرى، رجل الفصاحة، يدعوها فتجيبه، والبلاغة يأمرها فتطيعه، وحضرنا معه دعوة بعض التجار فقدمت إلينا مضيرة، تثنى على الحضارة، وتترجرج في الغضارة وتؤذن بالسلامة - وتشهد لمعاوية بالامامة ! وقال أستاذنا الامام محمد عبده رضى الله عنه في شرح هذه العبارة: " ومعاوية ادعى الخلافة بعد بيعة على بن أبى طالب رضى الله عنه، فلم يكن من يشهد له بها في حياة على، إلا طلاب اللذائذ، وبغاة الشهوات، فلو كانت هذه المضيرة من طعام معاوية لحملت آكليها على الشهادة له بالخلافة، وإن كان صاحب البيعة الشرعية حيا، وإسناد الشهادة إليها لانها سببها الحامل عليها، والامامة والخلافة في معنى واحد (١). وقد حملت فعلا أبا هريرة وغيره على الشهادة لمعاوية بالخلافة ! وإذا كان الاستاذ الامام لم يذكر أبا هريرة صراحة، فإنه قد وفاه حسابه تلميحا. وكذلك فعل الهمذانى (٢)

---

(١) ص ١٠٩، وأمر هذه المضيرة وشيخها ثابت على مر التاريخ لا يمترى فيه باحث عالم مدقق لم يلعب بعقله الهوى، وقد جرى لقب (شيخ المضيرة) على ألسنة الناس من عهد معاوية بن أبى سفيان ودونه كبار المؤرخين في كتبهم - كما رأيت، وقد التصق لقب (شيخ المضيرة) بأبى هريرة لا ينفك عنه حتى إنه إذا ذكر هذا اللقب مجردا فإنه لا ينصرف إلا إليه. وكان الدكتور طه حسين قد استراب في هذا الخبر وفى خبر اشتراك كعب الاحبار في مؤامرة قتل عمر كما بيناه آنفا في صفحة ٤٨، ويراجع ردنا على الدكتور طه حسين فيما سماه هنات وذلك في كتابنا. الاضواء الطبعة الثالثة. (٢) مما يجب التنبيه عليه هنا أن بديع الزمان الهمذانى كان " ثقة في الحديث يعرف الرجال والمتون متعصبا لاهل الحديث والسنة (ص ١٦٢ ج ٢ معجم الادباء) فكلامه هذا يعتبر ولا ريب طعنا صريحا في أبى هريرة ورواياته - ولو كان لابي هريرة قدر عند هذا العالم المحدث الكبير لما رماه بهذا النبذ المعيب الذى يلاحقه على مد العصور. (*)

---



وفى الحلية لابي نعيم (١) أن أبا هريرة كان في سفر فلما نزلوا وضعوا السفرة وبعثوا إليه وهو يصلى فقال إنى صائم ! فلما كادوا يفرغون، جاء فجعل يأكل الطعام فنظر القوم إلى رسولهم ! فقال: ما تنظرون ! قد والله أخبرني أنه صائم. فقال أبو هريرة صدق. إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: صوم رمضان وصوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر، وقد صمت ثلاثة أيام من أول

الشهر فأنا مفطر في تخفيف الله صائم في تضعيف الله. وهذا الخبر أورده ابن كثير بتغيير في بعض الالفاظ (٢). وفى خاص الخاص للثعالبي (٣): كان أبو هريرة يقول ما شممت رائحة أطيب من رائحة الخبز، وما رأيت فارسا أحسن من زبد على تمر ! ولنهمه بالطعام جعل الاكل من المروءة ! فقد سئل ما المروءة ؟ قال: تقوى الله وإصلاح الصنيعة والغداء والعشاء بالافنية ! ونكتفى بهذا القدر من الكلام عن المضيرة، ونأخذ في الكلام عن عيرها. وفى البداية والنهاية أن أبا هريرة كان يقول: اللهم ارزقني ضرسا طحونا، ومعدة هضوما ودبرا نثورا. وقد أورد هذ الخبر الزمخشري في ربيع الابرار (٤). وقد أضربنا عن أخبار كثيرة غير ما أوردناه حتى لا نزيد في إيلام الحشوية وعبدة الاشخاص الذين يكرهون ذكر الحقائق. ولا يؤاخذنا أحد إذا ذكرنا مثل هذه الاخبار لان كبار العلماء قد ذكروها قبلنا، ونحن قد نقلنا عنهم وناقل الكفر ليس بكافر.

---

(١) ص ٣٨٠ / ١ حلية الاولياء. (٢) ص ١١١ ج ٨ من البداية والنهاية. (٣) ص ٤٣. (٤) ص ١١٣ ج ٨ وص ١٢٥ وكتاب روض الاخبار المنتخب من ربيع الابرار. (*)

---



حديث: زر غبا تزدد حبا لما رأى النبي كثرة غشيان أبى هريرة لبيوت المسلمين، وتبرم أصحابها به، أراد أن يلقنه درسا في الادب حتى يفئ إلى القناعة، ويحفظ لنفسه كرامتها - وكان صلوات الله عليه نعم المؤدب لاصحابه يتولاهم دائما بتأديبه وحكمته، ويغرس فيهم مكارم الاخلاق بكمال سيرته، وما كان له صلى الله عليه وآله أن يذر مثل أبي هريرة على ما كان عليه من اقتحام بيوت الناس في كل وقت، وأخذ الطريق على أصحابها على ما لا يقضى به أدب اللياقة - من غير أن يؤدبه بأدبه العالي وتربيته الحكيمة، فقال له يوما: أين كنت أمس يا أبا هريرة ؟ قال زرت أناسا من أهلى، فقال: يا أبا هريرة، " زر غبا تزدد حبا ". ولكن أبا هريرة لم يرعو وظل على ما تعود، ومن أجل ذلك لم يجد النبي بدا من أن يقصيه عن المدينة كما سيتبين لك ذلك فيما بعد. انصر أخاك ظالما أو مظلوما وكنا نشرنا كلمة بمجلة الرسالة (١) عن حديث - زر غبا - وحديث انصر أخاك نجتزئ منها هنا بما يلى لاتصاله بما نحن بصدده. إن كلمة (انصر أخاك ظالما أو مظلوما) كانت مبدأ جاهليا مقررا، فلما جاء الاسلام نسخ ما كانت تعتقده الجاهلية من هذه العبارة، وفسرها الرسول بما يتفق ومبادئ الاسلام العادلة القويمة. وقد ذكر المفضل الضبى في كتابه الفاخر أن أول من قال: " انصر أخاك ظالما أو مظلوما، جندب بن العنبر بن عمرو بن تيم، وأراد بذلك ظاهره، وهو ما اعتاده من حمية الجاهلية، وفى ذلك يقول شاعرهم:

---

(١) العدد ٩١٨ السنة ١٩ / ٥ فبراير سنة ١٩٥١. (*)

---



إذا أنا لم أنصر أخى وهو ظالم * على القوم لم أنصر أخى وهو يظلم

ولقد كان النبي يتكلم بما للعرب من أمثال فلا يلبث الرواة أن يصيروه من كلامه ويتلقاه الناس على أنه حديث، وأصله ما علمت. ومثل هذه الكلمة المثل المشهور " زر غبا تزدد حبا " فقد أورده رجال الحديث على أنه من قول النبي ودونوه في كتبهم - وكان أول من قاله معاذ بن حزم الخزاعى فارس خزاعة. وقد ذكر أبو حيان

التوحيدي في كتابه (الصداقة والصديق) (١) ما يلى: " قال أبو هريرة: لقد دارت كلمة العرب " زر غبا تزدد حبا " (٢) إلى أن سمعت من رسول الله، ولقد قالها لى. قال العسجدى: ليست هذه الكلمة محمولة على العام، ولكن ها مواضع يجب أن تقال فيها، لان الزائر يستحقها، ألا ترى أنه صلوات الله عليه لا يقول ذلك لابي بكر ولا لعلى بن أبى طالب وأشباههما، فأما أبو هريرة فأهل ذاك لبعض الهنات التى يلزمه أن يكون مجانبا لها، وحائدا عنها. وهنات أبى هريرة التى يغتمزه بها العسجدى أنه كان لنهمه يغشى بيوت الصحابة في كل وقت، وكان بعضهم يزور عنه، وينزوى منه، فأراد الرسول أن يلقى عليه درسا في أدب الزيارة فذكر له المثل العربي " زر غبا تزدد حبا ". وفى الزيارة المتواترة قال الشاعر: إذا شئت أن تقلى فزر متواترا * وإن شئت أن تزداد حبا فزر غبا ولم يكتف الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا القول بل كرره مرة ثانية لما وجده لم يرجع عن طبيعته، وأشار عليه بأن يسلك في الحياة طريقا كريما لابتغاء العيش، بأن يعمل ولو بأن يحتطب ! وها هو ذا يعترف بأنه سمع هذه النصيحة من النبي صلى الله عليه وآله كما اعترف في حديث: زر غبا تزدد حبا.

---

(١) ص ٥١. (٢) قول النبي صلى الله عليه وآله لابي هريرة هذه الكلمة ثابت ولا يمكن لاحد أن يمارى فيه وقد أورده فيلسوف العربية ابن جنى في كتابه الخصائص ص ٨٩ ج ١. (*)

---



فقد روى أحمد والشيخان عنه أنه قال: سمعت رسول الله يقول: " والله لان يأخذ أحكم حبلا فيحتطب على ظهره فيأكل ويتصدق، خير له من أن يأتي رجلا أغناه الله عزوجل من فضله فيسأله، أعطاه أو منعه " (١). ويبدو أن الرسول صلوات الله عليه لما وجد أن طبيعة أبى هريرة قد استعصت عليه أقصاه عن المدينة إلى البحرين وسنعرض لهذا الامر فيما بعد. وإليك حديثا رواه مسلم عن أبى هريرة نأتى به هنا لانه يتصل بموضوعنا: شر الطعام طعام الوليمة، يمنعها من يأتيها " أي بغير دعوة " ويدعى إليها من يأباها، ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله ! أي أنك إذا لم تجب الدعوة إلى الولائم لتتملا منها فقد عصيت الله ورسوله، بهذا يقضى أبو هريرة بمقتضى أحكام شريعته في الطعام ! مزاح أبى هريرة وهذره أجمع مؤرخو أبى هريرة على أنه كان رجلا مزاحا يتودد إلى الناس ويسليهم بكثرة مزاحه وبالاغراب في قوله، ليشتد ميلهم إليه، ويزداد إقبالهم عليه. قالت عائشة وهى أعلم الناس به في حديث المهراس: " لقد كان رجلا مهذارا " (٢).

---

(١) راجع صفحة ٤٩ من هذا الكتاب. (٢) في لسان العرب مادة " هذر " الهذر هو الكلام الذى لا يعبأ به، وهذر في كلامه كفرح. أكثر من الخطأ والباطل، والهذر الكثير الردئ، وقيل هو سقط الكلام والاسم الهذر وهو الهذيان. وحكى ابن الاعرابي: من أكثر أهذر أي جاء بالهذر - وقد أثارت كلمة عائشة هذه ثائرة - مصطفى السباعي - أحد الذين انتقدونا عندما قرأها في كتابنا " أضواء على السنة " وكذب خبرها ثم اندفع فألقى إلينا هذا التحدي " إن أحدا لم يصف أبا هريرة بأنه مهذار ! ونحن نتحداه أن يأتينا برواية صحيحة في هذا الشأن " وقد لف هذا التحدي في خرقة قذرة من السب والشتم الذى ملا به كتابه، وخصنا به ! وقد عجبنا أن يصدر هذا التحدي من مثله وهو - كما يزعم - رئيس قسم الفقه ومذاهبه في جامعة دمشق وأستاذ الاحوال الشخصية في كليتي الشريعة والحقوق - ما أكثر الالقاب وما أحقر الهر.. وكيف غاب عنه أن يطلع على هذا الخبر وهو في أكبر مصدر يجب على مثله أن يدرسه ويطلع عليه ؟ وهذا المصدر هو الاحكام في أصول الاحكام للآمدي الذى لم يؤلف مثله في موضوعه فليرجع إليه في الصفحة ١٠٦ من الجزء الثاني ونصه فيه " إن الصحابة أنكرت على أبى هريرة كثرة روايته، حتى قالت عائشة رضى الله عنها: رحم الله أبا هريرة

لقد كان رجلا مهذارا " في حديث المهراس. أفهمت يا مولانا، وهذا الكتاب طبع بمطبعة المعارف بمصر في سنة ١٣٣٢ هـ ١٩١٤ ميلادية. (*)



وإليك بعض ما أوردوه في مزاحه وهذره: عن أبى رافع قال: كان مروان (ابن الحكم) ربما استخلف أبا هريرة على المدينة فيركب حمارا قد شد عليه برذعة وفى رأسه خلبة (١) من ليف فيسير فيلقى الرجل فيقول: الطريق، قد جاء الامير ! وربما أتى الصبيان وهم يلعبون بالليل لعبة الغراب فلا يشعرون حتى يلقى نفسه بينهم ويضرب برجليه فينفر الصبيان فيفرون (٢). ورواية ابن كثير " كأنه مجنون يريد أن يضحكهم فيفزع الصبيان منه، ويفرون هنا وههنا يتضاحكون (٣) ". وعن ثعلبة بن أبى مالك القرظى قال: أقبل أبو هريرة في السوق يحمل حزمة حطب - وهو يومئذ خليفة لمروان فقال: أوسع الطريق للامير (٤) (يا ابن أبى مالك، فقلت له، يكفى هذا، فقال: أوسع الطريق للامير والحزمة عليه) (٥). وخلافة أبى هريرة لمروان على المدينة قد نالها بعد ما اتصل بمعاوية وكان من أنصاره كما سنبينه في محله من هذا الكتاب.

(١) الخلبة: الحلقة. (٢) ص ١٢١ من كتاب المعارف لابن قتيبة وص ٤٤١ و ٤٤٢ ج م من سير أعلام النبلاء وص ٥٣. ج ٤ / ٢ طبقات ابن سعد. (٣) ص ١١٣ ج ٨ من البداية والنهاية. (٤) ص ٤٤٢ ج ٢ من سير أعلام النبلاء. (٥) هذه الزيادة من الحلية لابي نعيم. (*)



إقصاء أبى هريرة إلى البحرين ومدة صحبته للنبى صلى الله عليه وآله بينا لك من قبل كيف كانت حياة أبى هريرة وهو من أهل الصفة بالمدينة، ولكى تعرف ماذا كانت حياته بعدها، نسوق إليك نبأ ذلك لكى يتصل الحديث عن حياته كلها بعضه ببعض. لبث أبو هريرة في الصفة يعانى فيها ما يعانى كما وصف ذلك بلسانه زمنا يبتدئ من شهر صفر سنة ٧ هـ وهو الشهر الذى وقعت فيه غزوة خيبر - وينتهى إلى شهر ذى القعدة سنة ٨ هـ ثم انتقل بعد ذلك إلى البحرين وبذلك يكون قد قضى بالمدينة: سنة واحدة وتسعة أشهر (١) - لا كما اشتهر بين الجمهور (٢) من أنه قضى بالمدينة حياة النبي - ثلاث سنين ! وبعضهم أوصلها إلى أربع سنين ! وإليك قصة ذهابه إلى البحرين وإقامته بها نوردها لك من أوثق المصادر، وأصح الاسانيد (٣). بعث رسول الله صلى الله عليه وآله منصرفه من الجعرانة (٤) - بعد أن قسم غنائم حنين

(١) هذه المدة مقدرة على اعتبار أن وقعة خيبر كانت في شهر صفر سنة ٧ هـ كما هو المشهور ولو نحن أخذنا بما روى ابن سعد في طبقاته من أن هذه الوقعة كانت في جمادى الاولى لكانت مدة صحبة أبى هريرة للنبى أقل من عام ونصف عام. وثم رواية أخرى ذكرها أبو سعيد الخدرى ورواها عنه ابن سعد أنه خرج مع النبي إلى خيبر لثمان وعشرين في رمضان، فلو اعتمدنا عليها لرجعت صحبة أبى هريرة للنبى إلى سنة واحدة وشهرين ! فحسب. (٢) إن ما اشتهر بين الجمهور إنما كان أخذا بما ادعاه هو من أنه صحب النبي ثلاث سنين - ص ٤٧٦ ج ٦ فتح الباري. (٣) رجعنا في هذا البحث إلى طبقات ابن سعد وتاريخ الطبري وسيرة ابن هشام والاستيعاب لحافظ المغرب ابن عبد البر وابن خلدون وأسد الغابة وأعلام النبلاء والتاريخ الكبير للذهبي والبداية والنهاية لابن كثير ومعجم البلدان وفتح الباري والاصابة لابن حجر العسقلاني. (٤) الجعرانة ماء بين الطائف ومكة وهو إلى مكة أقرب وعلى هذا الماء وزع النبي مغانم حنين وكان ذلك في شهر ذى القعدة سنة ٨ هـ )*(

العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدى عامل الفرس على البحرين (١) وكتب له كتابا فيه فرائض الصدقة في الابل والبقر والغنم والثمار يصدقهم على ذلك، وأمره أن يأخذ الصدقة من أغنيائهم، وبعث معه نفرا كان فهم (أبو هريرة) وقال له: استوص به خيرا (٢). فقال له العلاء: إن رسول الله قد أوصاني بك خيرا فانظر ماذا تحب ؟ فقال: تجعلني أؤذن لك، ولا تسبقني بآمين، فأعطاه ذلك (٣). فأسلم المنذر وحسن إسلامه وأسلم معه أهلها العرب ومن لم يسلم من مجوس تلك البلاد صالحهم على الجزية. ومات المنذر بن ساوى بعد رسول الله قبل ردة أهل البحرين - والعلاء عنده أميرا لرسول الله. ولما ارتد أهل البحرين فيمن ارتدوا بعد موت رسول الله - بعث أبو بكر العلاء بن الحضرمي في جيش من المسلمين لمحاربة المرتدين وبينه وبينهم البحر يعنى الرقراق، فمشوا فيه بأرجهلم وقطعوا كذلك مكانا تجرى فيه السفن،

---

(١) بلد مشهور بالعراق وهى بين البصرة وعمان - وكان يسكن هذه المنطقة قبل الفتح الاسلامي خلق كثير من عبد القيس وبكر بن وائل وتميم وكانت إذ ذاك تحت حكم الفرس. وقال البلاذرى عن المنذر بن ساوى هذا إنه من قوم كانوا يعبدون الخيل بالبحرين ص ٩٦ ج ١ من فتوح البلدان. (٢) انظر نص اعتراف أبى هريرة نفسه بذلك فيما بعد. (٣) يتبين من هذا الخبر الصحيح أن أبا هريرة كان لا يحسن شيئا من أمور الدين أيام ذهابه إلى البحرين إلا (التأذين) فقد روى البخاري في (باب جهر الامام بالتأمين قال: وكان أبو هريرة ينادى الامام (لا تفتني بآمين) هذا لفظ البخاري ومن شرح الحافظ ابن حجر لهذا الحديث " ومراد أبى هريرة أن يؤمن مع الامام داخل الصلاة، ومعناه: لا تنازعني بالتأمين الذى هو من وظيفة المأموم - وقد جاء عن أبى هريرة من وجه آخر أخرجه البيهقى قال: كان أبو هريرة يؤذن لمروان فاشترط أن لا يسبقه بالصلاة حتى يعلم أنه دخل في الصف وكأنه كان يشتغل بالاقامة وتعديل الصفوف، وكان مروان يبادر إلى الدخول في الصلاة قبل فراغ أبى هريرة، وكان أبو هريرة ينهاه عن ذلك ومعلوم أن مروان تولى المدينة في عهد معاوية أي بعد سنة ٤١ هـ وقد وقع له مع غير مروان فروى سعيد بن منصور من طريق محمد بن سيرين: أن أبا هريرة كان مؤذنا بالبحرين، وأنه اشترط على الامام أن لا يسبقه بآمين والامام بالبحرين كان العلاء بن الحضرمي، بينه عبد الرزاق من طريق أبى سلمة عنه ص ٢٠٨ و ٢٠٩ ج ٢ فتح الباري. (*)

---



وحاربهم وانتصر عليهم - وبذلوا الزكاة ثم سار إلى مدينة دارين فافتتحها وظل يقاتل هناك حتى مات أبو بكر والعلاء على البحرين، وتولى عمر والعلاء على البحرين وكان حينئذ محاصرا لاهل الردة (١)، ثم بعث إليه: أن صر إلى عتبة ابن غزوان (٢) فقد وليتك عمله - فخرج العلاء في رهط منهم (أبو هريرة) وولى عمر على البحرين قدامة ابن مظعون (٣) ثم عزله في سنة ٢٠ كما روى الطبري لانه شرب الخمر واستعمل أبا هريرة بعده وكان يومئذ لا يزال هناك. ولان العلاء بن الحضرمي قد تولى البحرين عهد النبي وعهد أبى بكر وعمر، فقد قال الذهبي ولاه رسول الله صلى الله عليه وآله البحرين ثم وليها لابي بكر وعمر (٤). اضطرابهم في أخبارهم: ولا بد لنا هنا من أن نشير إلى بعض أمور مما اضطربت أخبارهم فيها. وتناقضوا - كعادتهم - في ذكرها، وأهملوا العقل والمنطق في فهمها. فمن ذلك: أنه بينما تترادف الاخبار بأن النبي صلوات الله عليه قد ولى العلاء بن الحضرمي البحرين وتوفى صلى الله عليه وآله وهو عليها، فأقره أبو بكر خلافته كلها عليها، ثم أقره عمر وتوفى في خلافة عمر (٥) وأن هذه الاخبار يعززها ما جاء في الاستيعاب لابن عبد البر قال: مات أبو بكر والعلاء محاصر لاهل الردة (٦) فأقره عمر. وذلك لان أبا بكر كان قد عهد بمحاربة المرتدين في البحرين إليه. والردة كما هو

معلوم كانت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله. وبينما يتفق كثير من المؤرخين على أن العلاء بن الحضرمي قد ظل عاملا

---

(١) ص ٥١٨ ج ٢ من الاستيعاب لابن عبد البر. (٢) عتبة بن غزوان أسلم سابع سبعة، وكان من الامراء الغزاة وهو الذى اختط البصرة وأنشأها وهو الذى مصرها لما استعمله عمر عليها وبنى بها مسجدا ولم يبن بها دارا، توفى سنة ١٨ وقيل سنة ١٥ (له حديث في مسلم). (٣) قدامة بن مظعون من السابقين البدريين. (٤) ص ١٩١ ج ١ سير أعلام النبلاء للذهبي. (٥) جاء ذلك الخبر بلفظه صريحا في الاستيعاب ص ٥١٨ ج ٢ وأسد الغابة ص ٧ ج ٤ الاصابة ص ٢٥٩ ج ٤ وسير أعلام النبلاء ص ١٩١ ج ١. (٦) ٥١٨ ج ٢. (*)

---



على البحرين بعد ما أرسله النبي صلى الله عليه وآله إليها إلى سنة ٢١ ه وأن عمر قد استعمل في هذه السنة أبا هريرة مكانه، إذ بهم يقولون إن العلاء قد توفى سنة ٢٠ ه وإن عمر ولى أبا هريرة قبل موت العلاء وإن العلاء قد أتى توج من أرض فارس وعزم على المقام بها ثم رجع إلى البحرين فمات هناك، ثم تأتى رواية أخرى لابي مخنف ذكرها البلاذرى في فتوح البلدان أن عمر كتب إلى العلاء وهو عامله على البحرين يأمره بالقدوم عليه، وولى عثمان بن العاص الثقفى البحريين وعمان، فلما قدم العلاء المدينة ولاه البصرة مكان عتبة بن غزوان فلم يصل إليها حتى مات وذلك في سنة ١٤ ه أو سنة ١٥ ه ثم إن عمر ولى قدامة ابن مظعون الجمحى جباية البحرين ثم عزله وحده على شرب الخمر، وولى أبا هريرة مكانه ثم عزله وقاسمه ماله ثم ولى عثمان بن أبى العاص البحرين وعمان ! بينما يقولون ذلك كله إذ بهم يذكرون في تأريخ أبان بن سعيد أن رسول الله استعمله على البحرين بعد أن عزل العلاء عنها فلم يرل عليها إلى أن توفى رسول الله فرجع إلى المدينة وقال: لا أعمل لاحد بعد رسول الله، ونحن أبناء بنى أحيحة لا نعمل لاحد بعد رسول الله ! وكأنه أنف من أن يعمل تحت إمرة أبى بكر التيمى. ثم تخرج رواية بأنه لما عاد أبان إلى المدينة غير راغب في الولاية دعا أبو بكر العلاء بن الحضرمي وقال له: إنى وجدتك في عمال رسول الله الذين ولى فرأيت أن أوليك - ما كان رسول الله ولاك، وظل إلى أن توفى أبو بكر وولى عمر، وفى خبر أن أهل البحرين سألوا أبا بكر أن يرد عليهم العلاء ففعل، ثم يعودون بعد ذلك كله فيقولون: إن أبان هذا قد عمل لابي بكر على بعض اليمن ! كل هذا وغيره من التناقض والتخليط قد حشوا به كتبهم وهو كثير لا يمكن تفصيله وإنما أشرنا إلى بعضه (١).

---

(١) من أراد أن يطلع على تفصيل هذا التناقض والتخليط في هذا الامر فليرجع إلى الاستيعاب لابن عبد البر ص ٥١٨، و ٥٤٨ ج ٢ طبعة الهند، وإلى الكامل لابن الاثير ص ١٦ ج ٣ طبعة ليدن، وتاريخ الرسل والملوك للطبري ص ٢٩٤، ج ٥ طبعة ليدن وطبقات ابن سعد ص ٧٧ - ٧٩ ج ٣ طبعة ليدن وسير أعلام النبلاء للذهبي ص ١١٦ و ١٨٩ ص ١٩٢ ج ١ وأنساب الاشراف = (*)

---



ومن تناقضهم كذلك: أنه على رغم اعتراف أبى هريرة نفسه بأن النبي قد بعثه إلى البحرين كما مر بك، وأنه رأى بعينه حرب المرتدين هناك مع العلاء وزعمه بأنه شاهد الخوارق التى وقعت من العلاء في هذه الحرب كخوضه لخليج البحر، وسيره بفرسه على وجه الماء..

الخ ما خرف به وتلوته قريبا - ثم شهادته على قدامة عندما شرب الخمر وهو في البحرين - على رغم ذلك كله وغيره. من الادلة القاطعة، والقرائن الصحيحة التى تقطع بوجوده في البحرين من يوم أن ذهب مع العلاء بن الحضرمي - يأتي ابن حجر الذى يقولون عنه بأنه أمير المؤمنين في الحديث فيروى من مزاعم أبى هريرة هذا الخبر بغير مناقشة ولا اعتراض، كأنه من الاخبار الصحيحة كعادتهم في تصديق كل صحابي فيما يرويه مهما كان، على حين أنه ينادى على نفسه بأنه كذب محض وهذا الخبر هو: " قدمت ورسول الله بخيبر وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين، فأقمت معه حتى مات ! ! أدور معه في بيوت نسائه ! وأخدمه - وأغزو معه وأحج فكنت أعلم الناس بحديثه (١). وهذه المتناقضات وغيرها مما لا نعرض له، لا نعنى بها، ولا نلتفت إليها، وندعها لاصحابها ! وإنما الذى يهمنا ويعنينا ويجعلنا لا نحول وجهنا إلى غيره مهما كان، ومهما كان قائله - هو إثبات وجود أبى هريرة في البحرين من يوم أن ذهب إليها مع العلاء بن الحضرمي في شهر ذى القعدة سنة ٨ هـ وأنه ظل هناك ولم يعد إلى المدينة إلا بعد وفاة النبي صلوات الله عليه بسنين طويلة - لكى يتبين للناس كافة مقدار الزمن الصحيح الذى قضاه تحت ظل الصفة بمسجد المدينة في حياة النبي صلى الله عليه وآله، وهذا الزمن هو عام وتسعة أشهر فقط،

---

= للبلاذرى ص ٥٢٩ ج ١ وأسد الغابة لابن الاثير ص ٣١ ج ١ وص ٧ و ١٩٩ ج ٤ والاصابة لابن حجر ص ٧ و ٢٥٩ ج ٤ و ٢٣٣ ج ٥ والبداية والنهاية ص ١٢٠ ج ٧ وفتوح البلدان ص ٩٩ - ١٠٤ ج ١. (١) ص ٢٠٥ ج ٧ من الاصابة. (*)



وهذه حقيقة ثابتة لا يستطيع أحد أن يدفعها، أو يمارى فيها. ومن كان عنده دليل صحيح يثبت عودته من البحرين إلى المدينة في عهد النبي فليبده، ونحن لا نجد ما يمنع من تصديقه. أما ما زعمه هو وروته عنه كتب السنة، من أنه أقام مع النبي حتى مات أو صحب النبي صلى الله عليه وآله حتى مات ! فهذا كله محض افتراء منه وممن رووه عنه. ولا يمكن لعاقل أن يستمع إليه، أو يعول عليه. اللهم إلا إذا كان قد فقد عقله ومنطقه. * * * يتبين مما ذكرنا آنفا أن أبا هريرة قدم من بلاده على النبي وهو بخيبر سنة ٧ هـ وأن النبي بعثه مع العلاء بن الحضرمي إلى البحرين بعد منصرفه من الجعرانة (١) بعد أن قسم مغانم خيبر، وكان ذلك في شهر ذى القعدة سنة ٨ هـ وبذلك تكون مدة إقامته بجوار النبي - مقيما مع أهل الصفة تبتدئ من شهر صفر سنة ٧ هـ وتنتهى في شهر ذى القعدة سنة ٨ هـ، وإذا حسبناها وجدنا أنها لا تزيد على سنة واحدة وتسعة أشهر فقط ! وهاك نص ما قاله أبو هريرة في ذلك ونقله ابن سعد في طبقاته الكبرى (ص ٧٧ ج ٤ ق ٢) عن سالم مولى بنى نصر قال: سمعت أبا هريرة يقول: بعثنى رسول الله صلى الله عليه وآله مع العلاء بن الحضرمي وأوصاه بى خيرا، فلما فصلنا قال لى: إن رسول الله قد أوصاني بك خيرا، فانظر ماذا تحب ؟ قال قلت: تجعلني أؤذن لك ولا تسبقني بآمين. فأعطاني ذلك (٢): وقد جاء هذا الخبر بحرفه في الاصابة لابن حجر العسقلاني (ص ٢٠٤ ج ٧) وإليك نص ما قاله: " بعثنى رسول الله مع العلاء بن الحضرمي فأوصاه بى خيرا، فقال لى:

---

(١) ص ٧٠ و ٧٧ ج ٤ ق ٢ من طبقات ابن سعد وكذلك ورد هذا الخبر في كثير من المصادر الموثوق بها كالاصابة لابن حجر ص ٢٠٤ ج ٧. (٢) راجع ص ٤٦. (*)

ما تحب ؟ قلت: أؤذن لك ولا تسبقني بأذانى. ولما ذهب إلى البحرين، كان عمله هناك (التأذين) كما طلب هو، ولو أن العلاء كان يأنس من أبى هريرة القدرة على أداء أي عمل دينى، لما قال له: انظر ماذا تحب ؟ وكذلك لو كان النبي يعلم منه أنه كفى للقيام بأى أمر من أمور الدين لقال للعلاء وهو يوصيه: إنى أرسله معك ليعلم الناس دينهم، كما كان يرسل غيره مثل معاذ بن جبل وابن مسعود، وأبى موسى الاشعري (١) - الذى أسلم مع أبى هريرة في وقت واحد - وغيرهم - ليعلموا الناس دينهم ! (٢). ويخلص من ذلك كله، أن أبا هريرة لم يكن كما قلنا يفقه شيئا من أمور الدين ينفع الناس به في زمن النبي صلى الله عليه وآله وزمن أبى بكر وعمر وعثمان وسنثبت ذلك بأدلة قوية أخرى فيما بعد إن شاء الله. أما التأذين الذى كان يحسنه مع العلاء بن الحضرمي، وظل يؤدية إلى زمن مروان بن الحكم الذى كان واليا لمعاوية على المدينة بعد سنة ٤١ هـ التى تم فيها الغلب للطليق معاوية. فيبدو أن إحسان أبى هريره له إنما جاءه، لانه كان يجيد الحداء في زمن شبابه أيام خدمته لابن عفان وبسرة ابنة غزوان - وبذلك يثبت ثبوتا قاطعا صحة ما حققه ابن سعد في طبقاته وغيره من أن أبا هريرة لم يظهر بالفتوى والتحديث إلا بعد مقتل عثمان - وسنأتيك بما ذكره ابن سعد وغيره في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله. ومن الادلة القوية التى نسوقها لاثبات وجود أبى هريرة في البحرين - غير

---

(١) قدم أبو موسى على النبي عند فتح خيبر كما علمت ولم يلبث أن صار له شأن فولاه رسول الله مخاليف اليمن وولاه عمر البصرة ثم عزله بعد أن قاسمه ماله، وولاه عثمان الكوفة فعزله على، ومن أجل ذلك انقلب على على وأخذ يطعن فيه وانحرف عنه يوم الحكمين، ونال بذلك مكانة عظيمة عند معاوية، قال ابنه أبوه بردة: إن معاوية لم يغلق دونه بابا، ولا كانت له حاجة إلا قضيت، وذلك لولاء أبيه لمعاوية. (٢) قال الغزالي في المستصفى إنه قد تواتر أن الرسول صلى الله عليه وآله كان لا ينفذ أمراءه وقضاته ورسله وسعاته إلى الاطراف إلا لقبض الصدقات وحل العهود وتبليغ أحكام الشرع (ص ٩٦ ج ١). وليس أبو هريرة من هؤلاء جميعا في شئ. (*)

---



ما قدمناه آنفا - أن العلاء لما غزا زارة (١) ودارين (٢) في خلافة عمر بن الخطاب رأى أبو هريرة أن يهتبل هذه الفرصة لكى يزدلف بشئ إلى مولاه العلاء، فأخذ يظهر براعته في تصوير ما بهره مما زعم أنه (شاهد بنفسه) من بطولة العلاء وشجاعته في هذه الغزوة مما يجعله في منزلة سعد بن أبى وقاص أو خالد بن الوليد في البطولة. وكان كلامه في ذلك أقرب إلى الخرافات منه إلى الحقيقة، وإليك شيئا مما قاله لكى تقف على مقدار براعته وتفننه في الرواية ! زعم غفر الله له: أنه كان مع العلاء بن الحضرمي لما بعث في أربعة آلاف إلى البحرين فانطلقوا حتى أتوا على خليج من البحر ما خاضه قبلم أحد ! ولا يخوضه بعدهم أحد ! وأخذ العلاء بعنان فرسه فسار على وجه الماء ! وسار الجيش وراءه، قال: (فوالله) ما ابتل (لنا) قدم ولا خف، ولا حافر ! وفى حديث آخر (رأيت) من العلاء أشياء لا أزال أحبه أبدا، قطع البحر يوم دارين وقدم يريد البحرين، فدعا الله بالدهناء، فنبع لهم ماء فارتووا، ونسى رجل منهم بعض متاعه فرد عليه فلقيه ولم يجد الماء، ومات ونحن على غير ماء فأبدى الله لنا سحابة فمطرنا فغسلناه، وحفرنا له (بسيوفنا) ودفناه ولم نلحد له ! وفى رواية له قال: دفنا العلاء، ثم احتجنا إلى رفع لبنة فرفعناها فلم نجد العلاء في اللحد: وكل الذى هول به أبو هريرة لم تكن حقيقته إلا أن جيش العلاء لما تحصن منه في دارين جمع من المحاربين له - وكان الماء يفصل بينهم دله كراز النكرى (٣) على مخاضة في الماء فخاضها العلاء بجيشه ووصل إلى دارين وفتحها، وقد عبر إلى دارين من

مخاضة كان يخوض منها الناس وأن كراز النكرى هو الذى دلهم عليها (٤).

---

(١) زارة قرية كبيرة بالبحرين. (٢) دارين فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك وغيره من الهند. (٣) النكرة بضم فسكون فخذ من بنى ثعلبة. (٤) ارجع في ذلك إلى الاستيعاب لابن عبد البر، والاصابة لابن حجر، وسير أعلام النبلاء للذهبي، ومعجم البلدان، وفتوح البلدان للبلاذرى، وطبقات ابن سعد وص ١٦٢ من كتاب عبد الله بن سبأ للعلامة مرتضى العسكري من كبار علماء العراق الطبعة الثالثة. (*)

---



وما كان تهويل أبى هريرة هذا إلا ليتقرب بذلك إلى العلاء ليجعله من كبار قواد المسلمين، ثم ليثبت لنفسه أنه كان في هذه الوقعة من أبطال المحاربين. من هذا كله يتبين بما لا شك فيه أن أبا هريرة قد ظل بالبحرين من يوم أن بعثه النبي مع العلاء في سنة ٨ هـ ولم يعد إلى المدينة لا في عهد النبي صلى الله عليه وآله ولا في عهد أبى بكر، وهذا ينافى قطعا ما زعمه هو من أنه كان مع أبى بكر في حجته سنة ٩ هـ، ويثبت ما قلناه ثبوتا قاطعا لا ريب فيه أن مدة صحبته للنبى صلى الله عليه وآله كانت من شهر صفر سنة ٧ هـ إلى ذى القعدة سنة ٨ هـ لا كما هو مشهور لدى الجمهور من أنه صاحب النبي ثلاث سنين ! أخذا بروايته هو ! ولا بد لنا - لكى نمتلخ عروق الشك فيما أدى إليه بحثنا الذى لم يصل إليه أحد من قبلنا - من أن نقول إن أبا هريرة لم يصاحب النبي صلى الله عليه وآله غير عام وتسعة أشهر، لان المشهور أنه صاحب النبي ثلاث سنين - ورفعها بعضهم إلى أربع ! وأول شئ نعرض له في صدر بحثنا هو ما ذكره بعض المؤرخين من أن أبا هريرة عاد مع العلاء إلى المدينة في حياة النبي بعد أن أقصاه إلى البحرين، حتى لا يتشبث بهذا الخبر أحد من الذين يصدقون بكل ما ينشر في الكتب بغير أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث عن حقيقته فنقول: إن هذا الخبر الذى شذ به بعضهم لم يذكره أحد من كبار المؤرخين، ولا أتى به راو من ثقات المحدثين، ولو أنه كان صحيحا لجاءوا به ولكان مشهورا بينهم، ومن أجل ذلك تراه متهافتا يحمل في طياته برهان بطلانه، وعلة كذبه، وقد أرسله (واضعه) بغير زمام، فلم يسنده بدليل ثابت، أو يؤيده بسند صحيح، وكذلك لم يبين فيه هل كان ذلك بأمر النبي، كما أمر بإبعاده، أو أن العلاء الذى حمله إلى البحرين قد رده لامر أتاه ؟ أو أن أبا هريرة قد عافت نفسه الحياة في البحرين واستوخم مناخها فانقلب عنها ! أو أنه قد مل عمل التأذين فعاد إلى النبي ليعهد إليه بأمر آخر ؟ كل ذلك لم يتبين ! وكل ذلك مجهول لا يعرف.

---



وكذلك لم يتضح: في أي زمن عاد أبو هريرة إلى المدينة حتى تعرف المدة التى قضاها في البحرين فتطرح من مدة صحبته للنبى صلى الله عليه وآله ! ولا في أي وقت كان رجوعه إلى البحرين ثانية، وقد ثبت أنه كان هناك مع جيش العلاء الذى حارب المرتدين في عهد أبى بكر - وكان مما زعمه في هذه الحرب أنه خاض الخليج على فرسه ! مع العلاء وجيشه، وأيد زعمه هذا بيمين غموس - كعادته - هذا نصه " فوالله ما ابتل لنا قدم ولا خف ولا حافر " ؟ ! كل ذلك وغيره لم يفصح عنه (واضع الخبر) حتى يكون لخبره وزن، ولكلامه اعتبار ! وعلى فرض صحة الخبر وقولهم: إن أبا هريرة قد ظل بالمدينة مع النبي إلى أن قامت حروب الردة فبعثه أبو بكر فيمن اختارهم ليكونوا في جيش العلاء في حربه، فإنا نذكر أن هذا القول

يدفعه ويدحضه ما علم من تاريخ أبى هريرة، - فهو لم يكن من أبطال الحروب ولا فرسان الملاحم، حتى يختاره أبو بكر فيمن اختارهم ليحاربوا مع العلاء ! وإنما كان بطبيعته وما جبلت عليه نفسه، لا يصلح لخوض غمرات الحروب وحمل السيوف، لا فارسا (ولا راجلا) بل كان - كما هو مشهور عنه - جبانا رعديدا - على أن هذا القول لم يذكره أحد من الثقات. وسنبين لك فيما بعد مثلا من شجاعته. وكأن هذا الخبر قد (وضع) لكي يثبتوا به صدق أبى هريرة فيما ادعاه - ورواه عنه البخاري. من أنه صاحب النبي ثلاث سنين. لانهم ولا يستطيعون أن يشكو فيما يروى اتباعا لقاعدتهم التى ألزموا بها أنفسهم، وهى تصديق كل صحابي في جميع ما يرويه، لانهم بزعمهم كلهم عدول (١) ولو كان فيه ما فيه ! ! على أن هذا الخبر (الموضوع) الذى اجتلب لتأييد أبى هريرة لم يحل المشكلة ولم يغير من وجه الحقيقة شيئا - ذلك أنهم قد أجمعوا على أمرين في تاريخ أبى هريرة، أولهما: أنه أسلم بعد فتح خيبر في سنة ٧ هـ. وثانيهما أن

---

(١) راجع فصل عدالة الصحابة في كتابنا أضواء على السنة الطبعة الثالثة. (*)

---



النبي قد أقصاه من المدينة إلى البحرين في العام الثاني من إسلامه أي في سنة ٨ هـ فأى زمن يقضيه في البحرين سواء أكان قليلا أم كثيرا فإنه ينقص ولا ريب من السنين الثلاث المزعومة - وبذلك ينهدم أساس هذا الادعاء وتنهار قواعده، على رأس من وضعه، وتفصح الرغوة عن الصريح. ويصبح ما حققناه هو الصحيح، والحمد الله على توفيقه. على أن لا أدرى ما جداء هذا اللجاج والتشبث بالاخبار الواهية لدفع ما هو صحيح ثابت ؟ وهبه قد عاش بجوار النبي ثلاث سنين كما زعموا ! أو أربعا كما افتروا، أو أكثر من ذلك ! فهل ترى ذلك مغيرا شيئا مما وجه إليه من تهم ؟ وما نفذ إلى رواياته من شك ؟ وهل طول زمن الصحبة وحده لمثل أبى هريرة يكون سببا في أن يخلع على شخصه رداء العدالة والثقة، وأن يكسب مروياته رواء الصحة والصدق ؟ إن ذلك كله وغيره لا يجدى ولا ينفع ! ذلك بأنه هو هو أبو هريرة ملفف بتاريخه وما قيل فيه، حتى لو قضى حياته كلها بجوار النبي خادما أو صاحبا ! جبن أبى هريرة قرأت في الصفحات الماضية شيئا من أخبار حرب الردة وما زعم أبو هريرة من أنه كان له فيها سيف وفرس ! وكأني بك قد حسبت أن ما زعمه أبو هريرة كان صحيحا ! وأنه قد شهد هذه الحرب وكان من أبطالها الذين اصطلوا بنارها ! ولكنه في حقيقة الامر كان بعيدا عنها كما هو شأنه في غيرها من سائر الحروب الاسلامية التى وقعت، ذلك بأنه لم يدخل في أية حرب منها سواء في عهد النبي صلى الله عليه وآله أو في عهد الخلفاء، وذلك بأن الله قد حرمه نعمة الشجاعة وخلقه جبانا رعديدا، ولقد كان هذا الجبن من أسباب إبعاده عن المدينة إلى البحرين ! وقد حاول مرة أن يخرج على جبنه ويتشبه بالرجال وينازل الابطال فذهب يحارب في غزوة مؤتة التى وقعت في جمادى الاول سنة ٨ هـ - وما كاد يسمع صليل السيوف ويرى لمعان الاسنة حتى غلب عليه طبعه فجبن وهلع وولى

---



الادبار ولاذ بالفرار، ولما عيروه بفعلته هذه لم يجد جوابا يدفع به عن نفسه واستخذى ! ولو أنت رجعت إلى كتاب المستدرك على

الصحيحين للحاكم النيسابوري (١) لوجدت في الصفحة الثانية عشرة من الجزء الثاني - أن أبا هريرة يعترف بهذا الفرار ويتوارى منه خجلا حتى من ابن عمه، ولا يدرى ماذا يقول له ! وهاك ما جاء في هذه الصفحة: عن الاعرج (٢) عن أبى هريرة قال: لقد كان بينى وبين ابن عم لى كلام فقال: إلا فرارك يوم مؤتة ؟ فما دريت أي شئ أقوله له ! ومن العجيب أن يأتي في آخر الزمان من يأتون بفرية مفضوحة ويزعمون أن أبا هريرة قد شهد حروب النبي كلها ! ثم اشترك بعد ذلك في حروب الردة (٣). وإنا نتحداهم جميعا أن يثبتوا أنه قد حضر غزوة أو سرية واحدة مع النبي صلى الله عليه وآله أو أنه قد شهد حروب الردة أو غيرها !

---

(١) نقلنا هذا الخبر عن المخطوطة الموجودة بدار الكتب المصرية والمسجلة برقم ٦١٧ (حديث). (٢) الاعرج صاحب أبى هريرة هو عبد الرحمن بن هرمز ويكنى أبا داود مولى محمد بن ربيعة ابن الحارث بن عبد المطلب خرج إلى الاسكندرية فأقام بها حتى توفى سنة ١١٧ هـ - ص ٢٠٥ من كتاب المعارف لابن قتيبة. (٣) انظر ما كتبناه عن كتاب ظهر حديثا ألفه طائفة من شيوخ الازهر وجامعة القاهرة لشخص اسمه العجاج الخطيب. (*)

---



سبب إقصاء أبى هريرة عن المدينة ذكرنا من قبل نبأ إقصاء أبى هريرة عن المدينة إلى البحرين ولم نبين سبب هذا الاقصاء الذى لم يصب غيره من الصحابة جميعا - وقد رأينا أن نقدم كلمة في هذا الامر الذى يجب أن يطيل الباحث نظره فيه. لم يبين النبي صلوات الله عليه السبب الذى من أجله أبعد أبا هريرة عن المدينة، إلى البحرين، ولم يعرف الناس ما هي العلة في أن ينتهى أمر هذا الرجل الذى قدم من بلاده ليخدم النبي على ملء بطنه، إلى هذا المصير الذى لم ينته إليه أحد غيره من الصحابة جميعا، ومما لا خلاف عليه أن النبي لا يصدر منه شئ عبثا، بل كل أعماله إنما يأتيها لحكمة بالغة، ظاهرة كانت أو باطنة. ولو نحن أردنا أن نتوسل بالقرائن التى تعد من الادلة القوية في القضايا، ونستعرض الامور بملابساتها، ونظرنا فيما يقضى به العقل والاستنتاج المنطقي، ثم رجعنا - بعد ذلك كله - إلى مفتاح شخصية (أبى هريرة)، الذى حدثناك عنه من قبل (١) والذى نستطيع أن نفتح به كل مغلق من نزعاته النفسية - لعلنا نصل إلى معرفة سبب إقصائه عن المدينة، فإنا بذلك كله يمكنا أن نرد هذا السبب - ونحن مطمئنون - إلى ما بدا من شرهه للطعام، وإيغاله في التطفل على الناس بغير وازع من أدب، ولا رادع من عفة، وأنه لاشباع نهمه كان يقتحم كل سبيل ويركب كل صعب. وما ظنك برجل يتصدى للصحابة في طرقهم أنى ساروا ملحا عليهم أن يطعموه، وبخاصة الكبار منهم كأبى بكر وعمر ويلاحقهم في سبيلهم حتى تضيق منه صدورهم، فيضجرون منه، ويزورون عنه ويفرون ! هذا هو أبو هريرة وقد كان لاشعبيته لا يدعهم حتى يدخلوا بيوتهم، ويضطروا إلى أن يقفلوا في وجهه أبوابها، هربا منه وتخلصا، كما اعترف

---

(١) راجع ص ٤٧. (*)

---

هو بذلك ورواه عنه البخاري فيما نقلناه من قبل. ولم يقف الامر عند ضجر كبار الصحابة ونفورهم بل كان يذهب إلى مكان عزيز من النبي (بين منبره وحجرة عائشة) فيتماوت ويمثل مشهدا تشمئز منه النفوس الابية، وتنفر منه الطباع الكريمة. وهذا المشهد كان لا يفتأ يأتيه في هذا المكان العزيز من النبي - إنما كان ولا جرم مما يؤذى النبي، ويبعث في نفسه الاسى - أن يكون بين من ينتمون إليه، ويحسبون عليه، من يبدو أمام الناس كل يوم في هذه الصورة المزرية المشينة ! وما نذكره هنا ليس من عندنا، ولا نفتري عليه به، وإنما هو أمر ثابت لا ريب فيه وذلك باعتراف أبى هريرة نفسه، فقد روى البخاري عنه هذا الحديث " لقد رأيتنى وإنى لاخر فيما بين منبر رسول الله إلى حجرة عائشة مغشيا على فيجئ الجائى فيضع رجله على عنقي ويرى أني مجنون ! وما بى من جنون ! ما بى إلا الجوع (١) ". ولا ريب في أنهم ما كانوا ليفعلوا ذلك معه إلا استهانة به، وازدراء له، إذ لو كان له حرمة عندهم، أو مكانة لديهم، لاشفقوا عليه وأعانوه ولم يطأوا عنقه ! ولما رأى النبي ذلك كله منه أراد أن يؤدبه بأدبه العالي ويردعه لكى يقلع عن هذه العادة الذميمة فنصع له أول الامر بأن يزور الناس غبا (٢) ولكن غلبته نفسه، واستعصت عليه طبيعته، فلم يستمع إلى هذه النصيحة الغالية واتبع هواه، ولما رأى النبي أن هذه النصيحة لم تبلغ منه، عززها بقوله في حديثه الشريف على مسمع منه " والله لان يأخذ أحدكم حبلا فيحتطب علي ظهره فيأكل ويتصدق، خير له من أن يأتي رجلا أغناه الله عزو جل من

---

(١) ص ٢٥٩ و ٢٦٠ ج ١٣ من فتح الباري ويرجع إلى ملاحقته لكبار الصحابة فيما أوردناه من قبل نقلا عن البخاري. (٢) راجع صفحة ٥٩. (*)

---



فضله فيسأله أعطاءه أو منعه " (١). وبديهى أنه صلوات الله عليه بعد أن عيل صبره لم ير مناصا من التفكير في اقصائه عن المدينة ليتخلص منه، وليريح الناس من ملاحقته إياهم، إذ لا يصح أن يكون بين أصحابه، ومن يعيشون بجواره، من لم يحمل نفسا أبية عفيفة قانعة. ومما نزيده توكيدا لذلك وتأييدا أن كثيرا من أهل الصفة الذين كان يعيش بينهم لم يفعل واحد منهم مثل ما فعل، فيخرج منها ليستطعم الناس مهما بلغ به الجوع، بل كان كثير منهم لا يرضون بعيشتهم فيها، ولا يطيقون المقام بها، ويهتبلون الفرص لمغادرتها، يضربون في الارض، ويأكلون بسعيهم من رزق الله. أما أبو هريرة فقد أخلد إليها، لا يريم عنها ثم كان (وحده) من دون إخوانه جميعا لا ينتظر حتى يأتيه طعامه مما يجود به النبي أو غيره من الصحابة، بل كان يخرج من الصفة ليتكفف الناس، وهذه صفه لا تقبلها نفس كريمة ولا يرضى عنها النبي (ص) بل يمقتها مقتا شديدا، لانه يريد من أصحابه وسائر من يتبعونه أن يكونوا شرفاء النفس مترديين برداء العفة، لا يعيشون من فضلات الناس، وإنما يأكلون من كسب أيديهم ولو أن يحتطبوا، لان هذه الفضلات إن هي إلا أوساخ. ومما يجب ملاحظته هنا، أن من المستحيل أن يأتي رجل من مكان سحيق ليخدم آخر متطوعا بغير أجر إلا أن يملا بطنه، ثم يكون الطرد جزاؤه ! إن هذا لمما تأباه كل نفس كريمة وبخاصة - عند العرب - فما بالك إذا كان ذلك من النبي صاحب الخلق العظيم، والذى أتى إلى الناس بمكارم الاخلاق. وإذا كان ذلك مما لا يصدقه أحد، ولا يسلم به عاقل، فإن الذى يقضى به العقل الصريح، ويحكم به المنطق الصحيح، أن النبي (ص) لم يخرج أبا هريرة من المدينة إلا لاسباب قوية، لا يمكن الصفح عنها، أو التسمح فيها !

---

(١) رواه أحمد والشيخان. (*)



وليس هناك من أسباب أقوى وأظهر مما بيناه. هذا ومما لا ريب فيه أن النبي صلى الله عليه وآله وهو الخبير بطبائع أصحابه، لو كان يعلم أن في أبى هريرة خيرا وفضلا، وأنه أهل لصحبته لابقاه بجواره ليستضئ بنوره، كسائر أصحابه، ولكنه لما علم فيه أنه غير صالح لصحبته، أقصاه عن هذا النور النبوى، ولم يرض أن يظل منه قريبا. ومن العجيب أننا لم نر النبي صلوات الله عليه قد صنع مع أحد من أصحابه جميعا حتى المنافقين منهم مثل ما صنع مع أبى هريرة، وبخاصة فإنه لم يخالفه في شئ، وإنما كان يبعث من يبعث من أصحابه إلى مختلف البلدان، إما ليعلموا الناس، أو ليكونوا ولاة عليها أو مصدقين فيها، أو رسلا وسفراء بينه وبين من يحكمونها كما بينا من قبل. وثم أمر خطير وراء ذلك يعتبر بالغ الاهمية، وهو أقوى وأشد في نقيصة نهمه وشرهه، يستوجب ولا ريب نفور النبي منه، وعدم رضاه عنه، ذلك هو ما بدا من جبنه، وهلعه في غزوة مؤتة، التى تكلمنا عنها من قبل إذ فر منها وولى مدبرا عندما احتدم القتال، مما جعل الصحابة جميعا يزدرونه ويعيرونه بهذه الفعلة التى انفضح بها، ذلك بأن الشجاعة الحربية كانت أول صفة حميدة في العربي ! ! وقد قتل في هذه المعركة زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة. ومثل هذا الجبان الرعديد لا يرضى به النبي صاحبا، ولا يقبل أن يكون له جارا، وهذا بديهى لا يقبل الجدل - وإنما يجب أن يقصيه عن صحبته، ويبعده عن جواره، بعد أن أصبح لا يصلح لا للعير ولا للنفير، وليس فيه خير لا قليل ولا كثير، وقد وقع هذا الاقصاء بعد أن بدا جبنه المزرى ببضعة أشهر، فقد كانت وقعة مؤتة في جمادى الاولى سنة ٨ هـ والاقصاء كان في ذى القعدة سنة ٨ هـ. هذا ما انتهى إليه بحثنا عن الهوى وخرجنا منه بنتيجة صحيحة يبدو منها واضحا سر إبعاد النبي صلى الله عليه وآله لابي هريرة عن المدينة إلى البحرين مع العلاء بن الحضرمي بعد أن لبث في الصفة سنة وتسعة أشهر !



ولعلنا نكون قد وفقنا في بحثنا هذا، وكشفنا عما يقصده النبي صلى الله عليه وآله من إقصاء أبو ؟ هريرة إلى البحرين - ومن يمارى في ذلك فليأتنا بسبب آخر على أن يكون صحيحا معقولا فنتبعه ! وإذا كان النبي (صلوات الله عليه) لم يفصح عن قصده في هذا الامر تصريحا، فإنه قد ترك لمن خلفه من ذوى الالباب أن يفهموه تلميحا. وإن من حكمته صلوات الله عليه أن يدع مثل هذا الامر بغير أن يكشف عن سببه، لانه يأبى بسمو أدبه، وعظيم خلقه، أن يؤذى أحدا عرف أنه من أصحابه، مهما يكن من أمره، حتى لا يظل على مد الزمن كله. موضع ازدراء الناس وتحقيرهم، وويل لمن يصيبه مثل ذلك ! سيرته في ولايته علمت مما سقناه إليك من قبل، أن أبا هريرة بعد أن قضى في الصفة ما قضى بعثه النبي فيمن بعثهم مع العلاء بن الحضرمي إلى البحرين، وكان ذلك في شهر ذى القعدة سنة ٨ هـ وأن العلاء قد سأله عما يستطيع عمله في البحرين فرغب في أن يكون (مؤذنا له). ونذكر هنا أن عمر قد ولاه على البحرين سنة ٢٠ هـ (١) كما روى الطبري وبعد ذلك بلغ عمر عنه أشياء تخل بأمانة الوالى فعزله وولى مكانه عثمان بن أبى العاص الثقفى - ولما عاد وجد معه لبيت المال أربعمائة ألف (٢) فقال له: أظلمت أحدا ؟ فقال لا. قال: فما جئت لنفسك ؟ قال: عشرين ألفا. قال: من أين أصبتها ؟ قال كنت أتجر (٣). قال: انظر رأس مالك ورزقك فخذه،

(١) رواية الطبري أن عمر ولاه سنة ٢٠ هـ بعد أن عزل عنها قدامة بن مظعون وذكر بعض المؤرخين أن ولايته كانت بعد العلاء سنة ٢١ هـ. وفى بعض الروايات أن توليته كانت في غير هذه السنة. (٢) يبدو أن البحرين كانت غنية جدا، وأنه كان يأتي منها لبيت المال ما لم يأت مثله من غيرها. قال حميد بن هلال: بعث الحضرمي إلى رسول الله بمال، ثمانين ألفا من البحرين فنثرت على حصير، فجاء النبي فوقف، وجاء الناس فما كان يومئذ عدد ولا وزن، ما كان إلا قبضا - ص ٦٦ ج ٢ سير أعلام النبلاء للذهبي، وقد ذكر البلاذرى هذا الخبر في فتوح البلدان ص ٨١ طبع أوربا. فقال: إنه ما أتاه أكثر منه قبله ولا بعده. (٣) هل يليق بالوالى الامين أن يتجر ؟ وانظر فيما بعد كيف يكون الولاة الامناء. (*)



اجعل الآخر في بيت المال (١) ثم أمر عمر بأن يقبض منه عشرة آلاف وفي رواية اثنا عشر ألفا. ورواية ابن سعد في طبقاته عن أبى هريرة أن عمر قال له: عدوا لله وللاسلام. وفى رواية عدوا لله ولكتابه. سرقت مال الله. وفى رواية: أسرقت مال الله ؟ (٢) وقد روى البلاذرى مثل ذلك في فتوح البلدان (٣). وفى رواية أن عمر قال: هل علمت من حين أنى استعملتك على البحرين، وأنت بلا نعلين، ثم بلغني أنك ابتعت أفراسا بألف دينار وستمائة دينار. قال: كانت لنا أفراس تناتجت وعطايا تلاحقت. قال: قد حسبت لك رزقك ومؤونتك، وهذا فضل فأده، قال: ليس لك ذلك، قال له عمر: بلى والله: وأوجع ظهرك. ثم قام إليه بالدرة فضربه حتى أدماه، ثم قال له: إيت بها. قال: احتسبتها عند الله. قال: ذلك لو أخذتها (من حلال !) وأديتها طائعا، أجئت من أقصى حجر البحرين يجبى الناس لك ؟ لا لله ولا للمسلمين. ما رجعت بك أميمة (٤) إلا لرعية الحمر (٥) ! وهذه الرواية أقرب إلى الصحة. لانها تتفق مع حزم عمر وصرامته، وطبع أبى هريرة ومهانته، وقد ثبت أن عمر شاطره ماله كما شاطر غيره مثل أبى موسى الاشعري والحارس بن كعب بن وهب وغيرهما (٦). وقال الاستاذ عبد الحليم الجندي رئيس أقلام قضايا الحكومة المصرية (سابقا) " إن عمر ضرب عامله على البحرين (أبو هريرة) حتى أدماه وأخذ

(١) ص ٣٣٨ ج ٢ تاريخ الذهبي الكبير. وص ٤٤٤ ج ٢ من سير أعلام النبلاء للذهبي. (٢) ص ٥٩ و ٦٠ ج ٤ قسم ٢. (٣) ص ٨٢ طبع أوربا. (٤) أميمة هي أم أبى هريرة والرجع والرجيع، والروث. والمعنى: ما روثت بك أمك لتكون واليا وأميرا وإنما تغوطت بك لترعى الحمير. (٥) والحمر هي الحمير. (٦) ص ٥٣ ج ١ العقد الفريد. وأبو موسى الاشعري أسلم مع أبى هريرة في وقت واحد كما قلنا من قبل. (*)



منه ١٦٠٠ دينار وقال له: " والله ما بعثناكم لتتجروا بأموال المسلمين ". وكان يقول لمن يتعلل بالتجارة في أحراز الاموال: " إنما بعثناكم ولاة ولم نبعثكم تجارا " (١). وقد يرد على ذلك: إذا كان أبو هريرة على ما وصفت من تاريخه فكيف يوليه عمر على البحرين ؟ إنه لم يفعل ذلك إلا لان له شأنا وقدرا ؟ والجواب عن ذلك ظاهر لا يحتاج إلى بيان، ذلك بأن سنة عمر في استعمال الولاة كانت تقضى بأن لا يستعمل كبار الصحابة، حتى لا يدنسهم بالعمل. أو لكى يمسكهم بالمدينة ليكونوا بين يديه، حتى لا يخرجوا عليه وإنما يستعمل صغارهم كما ستعرف ذلك فيما بعد، فاستعمال أبي هريرة على هذه السنة لا يكون مستغربا، هذا ولا يتوهمن أحد، أو يظن إنسان أن عمر قد استعمله عن جهل به، أو نسيان لتاريخه، وكيف ينسى ما وقع له نفسه منه أيام كان يعيش في الصفة فقد كان يلاحقه في

طريقه، ويضايقه في سيره، فلا يجد سبيلا إلى التخلص منه إلا بأن يدخل داره ويغلق الباب في وجهه (٢)، وكان لا يخفى عليه أن النبي صلى الله عليه وآله قد أخرجه من المدينة بعد أن ظهر منه ما ظهر مما اضجر الناس منه. فإذا كان عمر قد استعمله بعد كل ما بيناه ولم نبينه من تاريخه، فإنما يكون ذلك على ظن منه وأمل بأنه - بما قضى مع العلاء بن الحضرمي قرابة اثنتى عشرة سنة ملازما له في الصلاة، وبما شهد من أعماله الصالحة وأحكامه العادلة، قد يكون اكتسب شيئا من الدراية والخبرة، فيضطلع بأعباء الولاية كما يجب أن يكون عليه الوالى الصالح النزيه، وأنه سيأخذ نفسه بأن يجعل من العلاء قدوة صالحة له حتى لا يبدو عواره للناس إذا هو اعوج أو مال عن سيرة سلفه.

---

(١) ص ٦٢ من كتاب توحيد الامة العربية. (٢) وكذلك كان الامر مع أبى بكر وغيره ممن يضايقهم أبو هريرة بإلحاحه. (*)

---



هذا ما كان يظنه عمر في أبى هريرة ويرجوه عندما استعمله على البحرين وما كان عمر ليعلم الغيب، فقد خاب ظنه، ولم يتحقق رجاؤه - إذ ما كاد أبو هريرة يتولى أمر هذه البلاد الغنية بخيراتها حتى غلبته شنشنته، وانطلقت من عقالها مطامعه، فأرصد كل قوته لجمع المال وابتغاء الثراء ما وجد إلى ذلك سبيلا، وأنساه حب المال ذكر عمر وصرامته ودرته، وأنه يقف وراءه بالمرصاد يترقب الصغير والكبير من أعماله. ولقد كان أول ما انتهى إلى عمر من اخباره، أنه ابتاع أفراسا بألف وستمائة دينار ! فهاله ما سمع ! ولما استقدمه من البحرين - أتاه يحمل أربعين ألف درهم لبيت المال، وعشرين ألفا لنفسه فدهش عمر كيف يجبى من الناس كل هذه المبالغ الطائلة ! ولم يملك إلا أن فاجأ أبا هريرة بقوله: أسرقت مال الله ؟ إنك عدو الله وعدو المسلمين ! وعندما سأله عن المال الذى أصابه لنفسه، ومن أين أتى به، أجابه بجواب غريب لا يصدر من وال أمين ! إذ قال: كنت أتجر ! وكانت لنا أفراس تناتجت (١) فلم يجد عمر من حيلة معه إلا أن يشاطره هذا المال، وكانت هذه سنة عمر في الولاة الذين يخونون الامانة في ولاياتهم، ولم يكتف بذلك مع أبى هريرة - كما كان يفعل مع غيره، بل أوجع ظهره بدرته حتى أدماه، ثم أخذ يلذعه بموجع القول وقوارص الكلم، مما لا يوجه مثله إلا إلى رجل مهين فقد قال له: هل علمت من حين استعملتك على البحرين، وأنت بلا نعلين ! ولما طلب منه المال الذى استولى عليه من الناس ظلما بغير حق - وأجاب أبو هريرة: لقد احتسبته عند الله ! رد عليه عمر هذا الرد الاليم فقال له: ذلك لو أخذته من حلال ! أي أن هذا المال كان من المال الحرام ! وقوله له: أجئت من أقصى حجر يجبى الناس لك، لا لله ولا المسلمين ! ما رجعت بك أميمة إلا لرعية الحمر (٢). وماذا بعد أن يرميه بسرقة مال الله أو أنه عدو لله وعدو للمسلمين !

---

(١) رواية الذهبي: خيل نتجت وغلة رقيق لى ص ٤٤٠ ج ٢ سير أعلام النبلاء. (٢) تقدم معنى هذه العبارة في هامش رقم ١ ص ٨٨٠ فراجع. (*)

---



هذا وسواه قد صنعه عمر مع أبى هريرة عندما رآه قد أخل بأمانة الوالى الصالح الامين النزيه، واتبع هواه وكان من الخائنين ! وليس

بعجيب أن يأتي أبو هريرة بما أتى في البحرين، ولا أن ما فعله بمستغرب منه لانه في الحقيقة إنما يكشف بذلك للناس عن أهم جانب من جوانب شخصيته التى وضعنا في يدك مفتاحها عندما حدثناك عما بدا من جشعه وطمعه، في أن ينال من غنائم خيبر ما ليس من حقه. وإن ما سيقابلك من أفعاله مع معاوية لمما يزيدك إدراكا لحقيقة هذه الشخصية وأغراضها التى ترمى إليها، وأنها لا تتحرج من ركوب أي مركب في سبيل تحقيقها - فقد مثل مع معاوية وقومه آخر فصل من فصول روايته الغريبة التى كان يمثل - على توالى السنين - فصولها، ويعيش في الحياة ما يعيش من أجلها. وقد صدق رسول الله صلى الله عليه وآله حيث يقول: " كل ميسر لما خلق له ". وسيأتيك ما جاء في أمر تولية عمر لولاته، ننقله لنعزز كلامنا به. أما كثرة أحاديثه فقد كانت في عهد معاوية. أما في زمن أبى بكر وعمر فلم يستطع أن يحدث بحديث واحد لان عمر نهاه عن ذلك بل أوجع ظهره بدرته. وإليك طرفة نتحفك بها: طرفة عمر يرمى أبا هريرة بالتنطع في النهاية ! لما استعمل عمر بن الخطاب على البحرين قدامة بن مظعون - كما ذكروا - شرب هناك الخمر، فقدم الجارود العقدى سيد عبد قيس على عمر من البحرين وقال له: إن قدامة شرب فسكر ! فقال عمر: من يشهد معك ؟ فقال أبو هريرة، إذ كان حينئذ معهم هناك، فدعى أبو هريرة. فقال: لم أره يشرب، ولكني رأيته سكران يقئ ! فقال له عمر: لقد تنطعت في الشهادة ! وأرسل عمر إلى



زوجة قدامة هند بنت الوليد. فأقامت الشهادة على زوجها (١). ولما أراد عمر أن يحد قدامة، قال قدامة: ليس لك ذلك ! يقول الله عز وجل " ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا " (الآية ٩٣ من سورة المائدة). فقال له عمر: أخطأت التأويل فإن بقية الآية (إذا ما اتقوا) فإنك إذا اتقيت اجتنبت ما حرم الله عليك ثم أمر به فجلد ثم رجع فكلمه واستغفر له. ولم يحد أحد من أهل بدر في الخمر إلا قدامة (٢). ولا يفوتنا هنا أن نبين أن خبر شرب قدامة بن مظعون الخمر وهو وال على البحرين وشهادة أبى هريرة عليه قد ذكره كبار المؤرخين وأكدوه حتى ليصح أن يعد هذا الخبر متواترا بحيث لا يقبل أي شك، وإن كانوا لم يبينوا لنا - كما أسلفنا - متى استعمل عمر قدامة على البحرين ؟ وهل كان ذلك بعد العلاء ابن الحضرمي ؟ على أن الذى لا شك فيه أن هذا الخبر الثابت مما يزيد في توكيد الدلائل وتوثيق البينة على وجود أبى هريرة في البحرين إلى أن ولاه عمر عليها - ومن أجل ذلك أتينا به. سنة عمر في استعمال الولاة: كان عمر لا يستعمل كبار الصحابة ويستعمل من دونهم ممن لا شأن لهم ولا قدر من أصحاب رسول الله مثل عمرو بن العاص ومعاوية والمغيرة ابن شعبة حتى من الموالى مثل عمار بن ياسر (٣) فقد ولاه على الكوفة وسلمان

---

(١) انظر كيف كانت هذه السيدة الجليلة أقوى دينا وأصدق شهادة من أبى هريرة على حين أن الامر يعنيها هي وكان يجب أن تكون شهادتها عكس ذلك، إذ كانت هي أولى بأن تدرأ عن زوجها هذه التهمة حى ينجو من عقابها فتكتم الشهادة ! (٢) ص ٥٤٨ ج ٢ من الاستيعاب طبعة الهند وص ١٢٧٧ - ١٢٧٨ قسم ٣ طبعة مصر وص ٢٥٥ ج ٧ من فتح الباري وقدامة بن مظعون هذا من أخوال أم المؤمنين حفصة وابن عمر وله هجرة إلى الحبشة وممن شهد بدرا توفى سنة ٣٦ رضى الله عنه. (٣) قال عمر لعمار لما ولاه الكوفة: أردت أن أحقق قول الله عزوجل (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) (ص ٢٣٥) من كتاب الشيخان للدكتور طه حسين. (*)

الفارسى على المدائن وهما من الموالى، وكانت العرب عامة وقريش خاصة تحتقر الموالى - وكان يدع من هم أفضل منهم مثل على وعثمان وطلحة والزبير و عبد الرحمن بن عوف ونظرائهم. وقيل له: مالك لا تولى الاكابر من أصحاب رسول الله فقال: (أكره أن أدنسهم بالعمل (١)) ولم يقف الامر عند ذلك فقد حبس هؤلاء الاكابر في المدينة معه. قال الدكتور طه حسين نقلا عن الطبري: كان عمر بن الخطاب قد حجر على أعلام قريش من المهاجرين الخروج من البلدان إلا بإذن عاجل فشكوه فبلغه فقام فقال: ألا إنى قد سننت الاسلام سن البعير، يبدأ فيكون جذعا ثم ثنيا، ثم رباعيا ثم سديسا ثم بازلا، ألا فهل ينتظر من البازل إلا النقصان ! ألا فإن الاسلام قد يبزل، ألا وإن قريشا يريدون أن يتخذوا مال الله معونات دون عباده. ألا فأما وابن الخطاب حى فلا ! إنى قائم دون شعب الحرة، آخذ بحلاقيم قريش وحجزها أن يتهافتوا في النار. ولم يمت عمر رضى الله عنه حتى ملته قريش، وقد كان حصرهم بالمدينة فامتنع عليهم وقال، إن أخوف ما أخاف على هذه الامة انتشاركم في البلاد (٢) وقال: إن قريشا كانت تزعم لنفسها أرستقراطية متفوقة وقد اعترف لها العرب بهذه الاستقراطية في جملتهم (٣). وليس ببعيد أن يفعل ذلك عمر خشية أن يستأثر كل وال بولايته عندما يولى عليها ويقطع صلته بالمدينة حضرة الملك كما فعل معاوية عند ما استأثر بحكم الشام وبذلك تتمزق الدولة. وكان من سنة عمر إذا بعث عاملا له على مدينة أو ولاية كتب ماله لكى ينظر ماذا سيتصرف في ولايته ومدى ما ينتفع منها فإذا زاد هذا المال بعد توليته شاطره ما يزيد على أصل ماله. وكان من وصيته ألا يقر عاملا في عمله أكثر من سنة (٤).

---

(١) ص ٢٠٣ ج ٣ ق ١ طبقات ابن سعد. (٢) ص ٧٩ من الفتنة الكبرى ج ١ (عثمان). (٣) ص ٨٠ من نفس المصدر. (٤) ص ٢٨١ ج ٢ سير أعلام النبلاء. (*)



هذه هي سنة عمر من تولية الولاة فليس غريبا إذن أن يولى عمر أبا هريرة ولاية البحرين. على أن هذه الولاية قد كشفت عن حقيقة أمانة ونزاهة أبى هريرة - وانتشر نبأ ذلك بين الناس وسجله التاريخ فيما يسجل على صفحاته - فقد ظهرت بعد ذلك فرية تقول: إن عمر قد عاد فطلب من أبى هريرة بعد عزله أن يعمل ثانية ولكنه أبى ! وهذه الفرية ظاهرة البطلان ولا يمكن لذى لب أن يقبلها، لانه لا يمكن لمثل عمر في حزمه وصرامته أن يفعلها. وبخاصة مع مثل أبى هريرة ! ولقد يكون لمثل هذه الفرية وجه من الصحة إذا كان قد ثبتت لعمر براءة أبى هريرة مما رمى به، فقد اتهمه عمر بسرقة مال الله ووصمه بأنه عدو لله (١) وأنه قد رد إليه المال الذى انتزعه منه برغم أنفه ! ولكن هذا الامر لم يرد فيه خبر لا صحيح ولا موضوع ! اللهم إلا إذا كان عمر قد انقلب في آخر حياته فأصبح من الحكام الطعاة الظالمين الذين يسلبون أموال الناس بغير حق وينفقونها في سبيل أغراضهم الذاتية، ويستعينون على ذلك بولاتهم - ومن أجل ذلك أراد أن يعيد أن هريرة بعد ما آنس منه الكفاية والمقدرة على ابتزاز أموال الناس ليستأنف نشاطه ويأتى لعمر بما يريد من أموال الناس ثم أبى ورع أبى هريرة أن يقع في هذا الفخ وسلم ! وهذا ما يقضى به منطق هذه الفرية نذكره لذوى الالباب، أما الذين يصدقون كل دعوى أو ادعاء بغير فهم ولا تمحيص فهؤلاء ندعهم لعقولهم. ولا كلام لنا معهم ! وقفة قصيرة مع عمر: مما يدعو إلى الملاحظة هنا أننا لم نجد عمر رضى الله عنه قد اتبع هذه السنة مع معاوية بن أبى سفيان، فقد أبقاه عاملا على دمشق سنين طويلة ولم يزعجه بالعزل كغيره - وكان ذلك مما أعان معاوية على طغيانه، وأن يحكم

حكما قيصريا طوال أيامه، وبخاصة بعد أن استولى على الشام كله في عهد عثمان، ثم امتد

---

(١) ذكر ذلك ابن سعد والبلاذري راجع صفحة ٨٠ من هذا الكتاب. (*)

---



هذا الطغيان الاموى إلى ما بعد معاوية حتى تسلم العباسيون الحكم. وأمر آخر يستوجب الملاحظة، ذلك أن عمر لم يكن هو الذى ولى معاوية على دمشق وإنما الذى ولاه هو أخوه يزيد بن أبى سفيان. ذلك أنه لما فتحت دمشق في عهد عمر أمر عليها يزيد بن أبى سفيان، ولما احتضر يزيد (مات بالطاعون سنة ١٨ هـ)، استعمل أخاه معاوية مكانه من غير أن يستشير عمر، وأقره عمر على ذلك. هذان أمران قد يستوجبان الملاحظة على موقف عمر من معاوية وبنى أمية، ولم يأت لنا من أحد من المؤرخين في ذلك بيان نسكن إليه. فهل جعل عمر (دمشق) من نصيب بنى أمية فأمر عليها في أول الامر يزيد بن أبى سفيان ثم رضى بأن يعهد يزيد هذا بالامارة إلى أخيه معاوية بغير أن يرجع في ذلك إليه ؟ وهل فعل عمر ذلك ليتألف بنى أمية وليتقى كيدهم ومكرهم، وهم قوم أهل شر ومكر وكيد ؟ أم أن هناك أسبابا أخرى دعت إلى ذلك ! هذا ما لا علم لنا به ! وإنما الذى يعلمه هو علام الغيوب ! مثل الولاة الامناء: تبين لك من سيرة أبى هريرة في ولايته على البحرين أنه كان فيها على غير ما يجب أن يكون عليه الوالى النزيه الامين، مما جعل عمر بن الخطاب يعزله، ويأخذ منه شطر ماله ثم يصفه بما وصف، وقد كان مما سوغ به أبو هريرة إحرازه للاموال الطائلة التى استولى عليها من البحرين بغير حق، أنه كان يتجر، وهل للوالى النزيه أن يتجر مع رعيته، وبخاصة من كان مثل أبى هريرة ؟ وليس غريبا كما قلنا أن يتخذ أبو هريرة هذا السبيل في سيرته بالبحرين. بل الغريب أن يتخذ غيرها، فإن تاريخه قبل ولايته، لا يمكن أن يؤدى به إلا إلى السبيل التى سلكها، ورضى بها. ولو شئت أن ترى مثلا عاليا لما يكون عليه الوالى النزيه الامين فإنا نسوق

---



إليك من سير بعض أجلاء الصحابة ما تعرف منها الفرق بين النفس العالية الابيه، العفيفة المؤمنة الطاهرة، وبين غيرها ممن حرم هذه المزايا الغالية العاطرة. سيرة حذيفة بن اليمان: حذيفة بن اليمان من نجباء الصحابة، وصاحب سر النبي الذى أسر إليه بأسماء المنافقين (١). ولاه عمر على المدائن، وكتب له عهدا قال فيه لاهل المدائن: اسمعوا له وأطيعوا وأعطوه ما سألكم، فخرج على حمار موكف، تحته زاده، فلما قدم المدائن، استقبله أعاظم الدهاقين (التجار) وبيده رغيف، وعرق من لحم. ولما قرأ عليهم عهده، قالوا: سل ما شئت، قال: طعاما آكله، وعلف حماري هذا - ما دمت فيكم - من تبن. فأقام ما شاء الله، ثم كتب إليه عمر: أقدم، فلما بلغه قدومه، كمن له على الطريق - وكانت هذه عادته - فلما رآه على الحال التى خرج عليها، أتاة فالتزمه وقال: أنت أخى وأنا أخوك (٢). سلمان الفارسى،: وإليك سطرين من تاريخ صحابي جليل آخر نعطر بها هذا الكتاب، ننقلهما عن حافظ المغرب ابن عبد البر - ذلكم هو سلمان الفارسى. دخل قوم عليه - وهو أمير على المدائن - وهو يعمل الخوص، فقيل له: - لم تعمل هذا وأنت أمير يجرى عليك رزق ؟ فقال: إنى أحب أن آكل

من عمل يدى. وكان يشترى خوصا بدرهم فيعمله ويبيعه بثلاثة دراهم ينفق درهما ويتصدق بدرهمين.

---

(١) ناشده عمر: أأنا من المنافقين ؟ فقال: لا، ولا أزكى أحدا بعدك، وكان عمر يترقبه عند موت أحد الصحابة. فإذا رآه لا يشهد جنازته، عرف أنه من المنافقين، مات سنة ٣٦ هـ، ولم يدرك وقعة الجمل، وقد قتل صفوان وسعيد اثنا حذيفة بصفين، وكانا قد بايعا عليا بوصية أبيهما إياهما، له في الصحيحين ١٢ حديثا. (٢) ص ٣٦٠ وما بعدها ج ٢ من سير أعلام النبلاء. (*)

---



وقد ذكروا أنه تعلم عمل الخوص بالمدينة من الانصار أيام كان بها مع النبي صلى الله عليه وآله وكان عطاؤه خمسة آلاف، يتصدق به، ويأكل من عمل يده (١). وزار مرة المدينة أثناء ولايته فجمع عمر الصحابة وقال لهم: هيا بنا نخرج لاستقبال سلمان. ولم يفعل ذلك لغيره. عبد الله بن رواحة: ونضيف هنا في أمثلة الامانة والنزاهة هذا الخبر الذى قرأناه عن عبد الله بن رواحة أحد شعراء النبي صلى الله عليه وآله لان هذا المكان يليق به. ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله بعثه إلى خيبر ليخرص (٢) بينه وبين اليهود فجمعوا له حليا من نسائهم وقالوا: هذا لك ؟ وخفف عنا ! فقال لهم: يا معشر يهود، والله إنكم لمن أبغض خلق الله إلى، وما ذاك بحاملي على أن أحيف عليكم، والرشوة سحت ! فقالوا: بهذا قامت السموات والارض (٣). فترى لو كان أبو هريرة هو الذى بعثه النبي صلى الله عليه وآله إلى هؤلاء اليهود ورنت عيناه إلى حلى نسائهم ! هل كان يغمض عينيه عنها، أو يصم أذنيه عن سماع وسوستها (٤). ونكتفى بما أوردناه في هذه المثل العليا التى يفخر بها وبمثلها الاسلام على مد عصوره، حتى لا يطول الحديث، وهل يستوى الخبيث والطيب ؟ أخذ أبى هريرة عن كعب الاحبار: ما كاد أبو هريرة يرجع إلى المدينة معزولا عن ولايته بالبحرين حتى تلقفه الحبر الاكبر كعب الاحبار اليهودي، وأخذ يلقنه من إسرائيلياته، ويدس له من

---

(١) ص ٥٧٢ ج ٢ من الاستيعاب - طبع الهند. وانظر فضائل سلمان الفارسى في هذا الكتاب. (٢) الخرص هو حذر ما على النخل من الرطب تمرا، والخرص أيضا الكذب. (٣) ص ١٧٠ ج ١ سير أعلام النبلاء. (٤) وسوستها أي صوتها. (*)

---



خرافاته، وكان المسلمون يرجعون إليه فيما يجهلون، ربخاصة بعد أن قال لقيس ابن خرشة هذه الاكذوبة: " ما من الارض شبر إلا مكتوب في التوراة التى أنزل على موسى ما يكون عليه، وما يخرج منه. (١) " ومن أجل ذلك هرع أبو هريرة إليه، ليأخذ منه ويتتلمذ عليه، وسال سيل روايتهما، ولا سيما بعد أن خلا الجو لهما، بموت عمر واختفاء درته. ولا يزال هذا السيل يتدفق بالاحاديث الخرافية والمشكلة. وقد سمعت مرة من أحد أحرار الفكر المحققين أن أبا هريرة وكعبا هما اللذان أفسدا الاسلام بما بثا فيه من الخرافات والاوهام ومن عجيب أمر هؤلاء الذين يطلقون عليهم جمهور المسلمين أنه على رغم ما قيل فيهما، وما ثبت من أكاذيبهما ثبوتا بينا، لا يزالون يثقون بهما، ويأخذون بما يرويانه وفيه ما لا يقبله عقل صريح ولا نقل صحيح ثم يجعلون الاول من خيار التابعين ويجعلون الآخر راوية الاسلام من بين جميع المسلمين. كيف اتصل أبو هريرة بكعب الاحبار وتتلمذ عليه: روى ابن سعد في طبقاته الكبرى عن عبد الله بن شقيق أن أبا

هريرة جاء إلى كعب يسأل عنه. وكعب في القوم، فقال كعب ما تريد منه ؟ فقال: أما إنى لا أعرف أحدا من أصحاب رسول الله أن يكون أحفظ لحديث رسول الله منى ! فقال كعب: أما إنك لم تجد طالب شئ إلا سيشبع منه يوما من الدهر إلا طالب علم، أو طالب دنيا ! فقال أبو هريرة: أنت كعب ؟ فقال: نعم، فقال: لمثل هذا جئتك (٢). إننى جئتك لاطلب عندك العلم، وأستقى من معينك الغزير، وقد وجد كعب بغيته في أبى هريرة الذى يزعم أنه أحفظ الناس لحديث رسول الله، وأنه نعم التلميذ النجيب الذى يحمل عنه ما يريد بثه مما يفسد عقائد المسلمين.

---

(١) رواه الطبراني والبيهقي في الدلائل. (٢) ص ٥٧ ج ٤ ق ٢. وقال الحاكم في المستدرك حديث صحيح على شرط الشيخين ص ٩٢ ج ١. (*)

---



وقد بلغ من علو شأن كعب حينئذ أنه كان يلقى دروسه في المسجد، فقد نقل الدكتور أحمد أمين (١) عن طبقات بن سعد حكاية عن رجل دخل المسجد فإذا عامر بن عبد الله بن عبد القيس جالس إلى كتب، وبينها سفر من أسفار التوراة، وكعب يقرأ (٢). وقد أثبت علماء الحديث أمر أخذ أبى هريرة وغيره عن كعب الاحبار وذلك في باب (رواية الاكابر عن الاصاغر، أو الصحابة عن التابعين) وقد عدوا كعبا من كبار التابعين، قال السيوطي في ألفيته: وقد روى الكبار عن صغار * في السن أو في العلم والمقدار (٣) ومنه أخذ الصحب من أتباع * وتابع عن تابع الاتباع كالحبر عن كعب وكالزهري * عن مالك ويحيى الانصاري وقال شارح الالفية الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: ومن هذا النوع رواية الصحابي عن التابعين كرواية الحبر عبد الله بن عباس وسائر العبادلة (وأبى هريرة) وأنس وغيرهم عن كعب الاحبار (٤) ا هو أبو هريرة وابن عباس كانا أكثر من نشر علم كعب الاحبار، ويبدو أن أبا هريرة كان أكثر الصحابة انخداعا به، وثقه فيه، ورواية عنه، كما كان أكثرهم رواية للحديث

---

(١) ص ١٩٨ فجر الاسلام. (٢) ص ٧٩ ج ٧. طبقات بن سعد. (٣) ص ٢٣٧ و ٢٣٨ وورد مثل هذه الابيات في ألفية العراقى راجع ٨٣٢ و ٨٣٣ من فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي. (٤) كعب الاحبار أكبر أحبار اليهود في عصره أسلم في عهد عمر إسلاما ظاهرا ليخدع المسلمين، وبث هو وزميليه وهب بن منبه وعبد الله بن سلام في الاسلام ما بثوا، وكان من أعمال الخطيرة أن اشترك في مؤامرة قتل عمر - وقال له عمر: دعنا من يهوديتك، وأنذره إذا لم يكف عن التحديث أن ينفيه. وقد كانوا - كما قال سبط بن الجوزى في مرآة الزمان - يتوقفون فيما يرويه، وقال ابن كثير: لما أسلم في الدولة العمرية جعل يحدث عمر عن كتبه قديما فربما استمع له عمر فترخص الناس في استماع ما عنده غثه وسمينه - ص ١٧ ج ٤ من تفسيره، ولما وجد أنه تمادى في الحديث نهاه عن التحديث كما نهى أبا هريرة وقال عنه معاوية إنا كنا نبلو عليه الكذب، وانظر كلامنا عن هذا الكاهن وغيره من كهان اليهود وما بثوه في الدين الاسلامي من الاسرائيليات وذلك في كتابنا (أضواء على السنة المحمدية) الطبعة الثالثة. (*)

---



عن النبي صلى الله عليه وآله ويتبين من الاستقراء أن كعب الاحبار بعد أن أصبح له شأن بين المسلين كما بيناه في كتابنا الاضواء، قد سلط من دهائه على سذاجة أبى هريرة لكى يستحوذ عليه وينيمه ليلقنه كل ما يريد أن يبثه في الدين الاسلامي من خرافات وأساطير وأوهام، وكان له في ذلك أساليب غريبة وطرق عجيبة. فقد ذكر

الذهبي في طبقات الحفاظ وفى أعلام النبلاء في ترجمة أبى هريرة أن كعب الاحبار قال فيه، أي في أبى هريرة: ما رأيت أحدا لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من أبى هريرة (١). وقال في سير أعلام النبلاء: أن أبا هريرة قد حمل عن كعب الحبر (٢). وأخرج البيهقى في المدخل عن طريق بكر بن عبد الله عن أبى رافع عن أبى هريرة قال: إن أبا هريرة لقى كعبا فجعل يحدثه ويسأله: فقال كعب: ما رأيت رجلا لم يقرأ التوراة أعلم بما في التوراة من أبى هريرة (٣). فانظر مبلغ دهاء هذا الكاهن ومكره بأبى هريرة الذى يتجلى من تاريخه أنه كان رجلا فيه غفلة وغرة ! إذ من أين له أن يعرف ما في التوراة وهو لا يعرف اللغة العبرية ؟ ثم إنه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب حتى العربية ! على أن التوراة كانت حينئذ مخفية عن المسلمين، ولا يعلمها إلا الاحبار من اليهود. وإليك سطورا مما وصف به الدكتور طه حسين هذا الكاهن الخبيث: كان غريب الاطوار، عرف كيف يخدع كثيرا من المسلمين ومنهم عمر - وهو كعب الاحبار، وكان كعب يهوديا من أهل اليمن زعم أنه سأل عليا رحمه الله عن النبي حين ذهب على إلى اليمن مرسلا من رسول الله صلى الله عليه وآله فلما أنبأه على بصفة النبي عرف هذه الصفة مما كان يجده بزعمه في التوراة، ولم يأت المدينة أيام النبي وإنما أقام على يهوديته في اليمن. وزعم هو بعد ذلك للمسلمين أنه أسلم ودعا إلى الاسلام في اليمن. وقد أقبل إلى المدينة أيام عمر،

---

(١) ص ٤٣٢ ج ٢ أعلام النبلاء. وص ٣٤ ج ١ من تذكرة الحفاظ. (٢) ص ٤١٨ ج ٢. (٣) ٢٠٥ ج ٥ من الاصابة. (*)

---



فأقام فيها مولى للعباس بن عبد المطلب رحمه الله، وكان بارعا في الكذب على المسلمين يزعم أنه يجد صفاتهم في الكتب، وكان المسلمون يعجبون بذلك ويتعجبون له، ولم يلبث أن كذب على عمر نفسه فزعم له أنه يجد صفته. التوراة فعجب عمر وقال: تجد اسم عمر في التوراة ؟ قال كعب: لا أجد اسمك وإنما أجد صفتك (١). وكان الاستاذ سعيد الافغاني قد نشر مقالا بمجلة الرسالة المصرية قال فيه: إن وهب بن منبه هو الصهيوني الاول، فصححت هذا الرأى بمقال نشر في العدد ٦٥٦ من هذه المجلة أثبت فيه بالادلة القاطعة أن كعب الاحبار هو الصهيوني الاول. وما كاد هذا المقال ينشر حتى هب في وجهنا شيوخ الازهر وأمطرونا وابلا من طعنهم المعروف وقالوا: كيف تصف (سيدنا كعبا) بأنه الصهيوني الاول، وهو من كبار التابعين وخيار المسلمين. ومما يؤسف له أنهم لا يزالون يذكرون اسمه بالسيادة إلى اليوم. ويرجع إلى ترجمة سائر كهنة اليهود بكتابنا الاضواء الطبعة الثالثة. كيف كان يتلقى عن كعب الاحبار: روى أبو هريرة عن رسول الله " إن في الجمعة لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل لله خيرا إلا أعطاه إياه، وفى يوم الجمعة خلق آدم وفيه أهبط إلى الارض، الحديث - وروى مالك عن أبى سلمة أن أبا هريرة قال: قدمت الطور فوافقت كعبا فحدثني عن التوراة، وحدثته عن رسول الله حديث يوم الجمعة، فقال كعب: فيه خلق آدم ! وفيه هبط إلى الارض، الحديث (٢). وبذلك يكون أبو هريرة قد حدث ببعض الحديث عن رسول الله، ثم تلقى بعضه عن كعب ونسب الحديث كله إلى النبي. ومما يدلك على أن هذا الكاهن الداهية، قد طوى أبا هريرة تحت جناحه حتى جعله يردد كلامه بالنص، ويجعله حديثا مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وآله ما نورد لك شيئا منه.

---

(١) ص ٢٥٤ و ٢٥٥ من كتاب الشيخان. (٢) ص ٥٧ من كتاب قبول الاخبار ومعرفة الرجال لابي القاسم البلخى. (*)



روى البخاري عن أبى هريرة أن النبي قال: " الشمس والقمر مكوران يوم القيامة " (١). وقال ابن حجر في شرح هذا الحديث: زاد في رواية البزار ومن ذكر معه (في النار) فقال الحسن: وما ذنبهما فقال أبو سلمة: أحدثك عن رسول الله، وتقول ما ذنبهما ؟ وهذا الكلام نفسه قد قاله كعب الاحبار بنصه - فقد روى أبو يعلى الموصلي قال: يجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنهما ثوران عقيران فيقذفان في جهنم يراهما من عبدهما " (٢). وروى الحاكم في المستدرك والطبراني ورجاله رجال الصحيح عن أبى هريرة. أن النبي قال: إن الله قد أذن لى أن أحدث عن ديك قد مرقت رجلاه في الارض وعنقه مثنية تحت العرش وهو يقول. سبحانك ما أعظم شأنك ! قال فيرد عليه، ما يعلم ذلك من حلف بى كاذبا. وهذا الحديث من قول كعب الاحبار ونصه: " إن لله ديكا عنقه تحت العرش وبراثنه في أسفل الارض، فإذا صاح صاحت الديكة فيقول: سبحان القدوس الملك الرحمن لا إله غيره (٣). حديث: " النيل، وسيحان، وجيحان، والفرات من أنهار الجنة ! ": روى أحمد ومسلم عن أبى هريرة، أن رسول الله قال: " النيل، وسيحان، وجيحان، والفرات من أنهار الجنة "، وهذا القول نفسه رواه كعب الاحبار إذ قال (٤) " أربعة أنهار من الجنة وضعها الله عزوجل في الدنيا، فالنيل نهر العسل في الجنة، والفرات نهر الخمر، وسيحان نهر الماء في الجنة، وجيحان نهر اللبن في الجنة " !

(١) ص ٢٢٩ ج ٦ فتح الباري و ٤٧٥ ج ٤ تفسير ابن كثير. (٢) ص ٢٣٢ حياة الحيوان. (٣) ص ٢٢٠ ج ١٠ نهاية الارب للنويرى. (٤) ص ٣٤ ج ١ النجوم الزاهرة. (*)



صدور هذه الانهار من الجنة أسطورة قديمة: إن القول بأن هذه الانهار تنبع من الجنة أسطورة قديمة ليست إسرائيلية فحسب، وإنما يرجع تاريخها إلى ما وراء ذلك بأحقاب طويلة. وإليك كلمة قيمة في هذا الصدد نشرتها مجلة الكتاب (١) للاستاذ السيد أبو النصر أحمد الحسينى الهندي بعنوان: كنك نهر الهند المقدس: ذكر نهر كنك في الكتب الاربعة الهندية المقدسة الشهيرة مرارا فذكر في " رج ويدا " مرتين وفى " پورانا " باسم " وياد كنك " ومعناه كنك الجنى، وكذلك ذكرت أسطورة صدوره من الجنة - ونسبة الانهر إلى الجنة عقيدة عريقة في القدم، وجدت تقريبا في جميع الاديان، فقد ذكر في نصوص الديانة البابلية القديمة: أن أربعة أنهر من الجنة هي: (١) نارو " وهو يسمى اليوم الفرات " (٢) سى جال (٣) سى ليم (٤) روديج " وهو يسمى اليوم في الغالب دجلة ". كذلك في التوراة بيان عن صدور أربعة أنهر من الجنة وهى: (١) فيشون (٢) جيحون (٣) حداقل (٤) الفرات. وفى الاسلام أيضا ورد حديث رواه أبو هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: " النيل، وسيحان، وجيحان، والفرات من أنهار الجنة (٢) " وفى حديث آخر عن ابن عباس (٣) مرفوعا: " أنزل الله تعالى من الجنة إلى الارض خمسة أنهار: سيحون وجيحون ودجلة، والفرات، والنيل. أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحى جبريل، واستودعها الجبال وأجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس (٤) " - وفى

حديث آخر: نهران مؤمنان ! ونهران كافران ! أما المؤمنان ! فالنيل والفرات ! وأما الكافران فدجلة

---

(١) ص ٣٢٠ - ٣٢٢ من المجلد الاول السنة الاولى - الجزء الثالث، يناير سنة ١٩٤٦.
(٢) ذكره السيوطي في حسن المحاضرة طبع مصر ج ٢ ص ١٧٩ نقلا عن الامامين أحمد ومسلم " من هامش الاصل ". (٣) ابن عباس وأبو هريرة كانا، كما قلنا من قبل، أكثر من نشر علم كعب الاحبار (٤) قال السيوطي: أخرجه الخطيب في تاريخه وابن مردويه في تفسيره، والضياء المقدسي في صفة الجنة. (*)

---



ونهر بلخ ! وقد فسر إيمانهما بأنهما يفيضان على الارض فيسقيان الحرث بلا مؤونة وكلفة، وفسر كفرهما بأنهما لا يسقيان ولا ينتفع بهما إلا بمؤونة وكلفة (١) اهـ. وهكذا يتسلل إلى ديننا مثل هذه الخرافات والاساطير التى تفضحنا بين الامم ويضحك حتى أطفال المدارس منها، وللاسف فإنهم يرفعون أخبارها إلى النبي صلى الله عليه وآله ويثبتونها في كتبهم الصحيحة ! ويروجونها بين الناس بنشرها، ثم يدافعون عنها - وإذا بصرناهم بالحقائق، وفتحنا العيون العمى، والآذان الصم، والقلوب الغلف - ونزهنا مقام النبي صلى الله عليه وآله عن هذه الاساطير، رمونا بالشتائم وقذفونا بالسباب، وقالوا: إننا نطعن في صحابي جليل. غفر الله لهم وشفاهم من داء الجهل والغفلة والحماقة. ولنرجع إلى الاسرائيليات التى تلقاها أبو هريرة عن كعب الاحبار. قال ابن كثير في تفسيره: إن حديث يأجوج ومأجوج الذى رواه أحمد وغيره عن أبى هريرة ونصه: إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذين عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدا فيعودون. إلخ ". قال ابن كثير: لعل أبا هريرة تلقاه من كعب الاحبار فإنه كان كثيرا ما يجالسه ويحدثه فحدث به أبو هريرة فتوهم بعض الرواة أنه مرفوع فرفعه والله أعلم (٢). وقد بين ابن كثير في مواضع كثيرة من تفسيره ما أخذه أبو هريرة عن كعب الاحبار ثم رفعه إلى النبي - فيرجع إلى هذا التفسير للوقوف عليها. وفى الصحيحين البخاري ومسلم - من حديث أبى هريرة: " إن الله خلق

---

(١) راجع النهاية لابن الاثير طبع مصر ج ١ ص ٥٤ من هامش الاصل. (٢) ص ١٠٤ و ١٠٥ ج ٣ تفسير ابن كثير. (*)

---



آدم على صورته (١) " - وهذا الكلام قد جاء في الاصحاح الاول من التوراة (العهد القديم) ونصه هناك: " خلق الله الانسان على صورته، على صورة الله خلقه " ! ولما ذكر كعب صفة النبي في التوراة، قال أبو هريرة في صفته صلى الله عليه وآله لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا في الاسواق. وهو نص ما قاله كعب كما أوردناه في كتابنا الاضواء. حديث خلق الله التربة يوم السبت: روى مسلم في كتابه عن أبى هريرة: أخذ رسول الله بيدى ! فقال: خلق الله التربة يوم السبب، وخلق فيها الجبال يوم الاحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الاربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر يوم الجمعة في آخر الخلق من آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل. وقد روى هذا الحديث كذلك الامام أحمد والنسائي عن أبى

هريرة - ورواية النسائي: " إن الله خلق السماوات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش في اليوم السابع ". وقد ذكر الائمة ومنهم البخاري في التاريخ الكبير وابن كثير أن أبا هريرة قد تلقى هذا الحديث عن كعب الاحبار، لانه يخالف نص القرآن في أنه خلق السماوات والارض في ستة أيام !

---

(١) من روايات هذا الحديث وطوله - أي آدم - ستون ذراعا في سبعة أذرع عرضا وفى رواية على صورة الرحمن. وقد انتقد هذا الحديث ابن حجر من إحدى نواحيه فقال - ويشكل على هذا ما يوجد الآن من آثار الامم السالفة كديار عاد وثمود - فإن مساكنهم تدل على أن قاماتهم لم تكن مفرطة في الطول على حسب ما يقتضيه الترتيب السابق - إلى أن قال: ولم يظهر لى إلى الآن ما يزيل هذا الاشكال - ص ٢٨١ و ٢٨٢ ج ٦ فتح الباري، وقد أنكر الامام مالك هذا الحديث، وحديث: إن الله يكشف عن ساقه يوم القيامة، وإنه - أي الله سبحانه - يدخل في النار يده حتى يدخل من أراد الله - إنكارا شديدا. والحديث الثاني من رواية أبى هريرة وهما في الصحيحين. (*)

---



ومما يدل على أن أبا هريرة قد استقى هذا الحديث من كعب الاحبار كما نص الائمة على ذلك، وأنه من نبع إسرائيلى، أن هناك خبرا آخر يشابهه مرويا عن عبد الله بن سلام - الذى كان من أحبار اليهود وأسلم رواه الطبراني وهذا نصه: " إن الله بدأ الخلق يوم الاحد فخلق الارضين في الاحد والاثنين، وخلق الاقوات والرواسي في الثلاثاء والاربعاء وخلق السماوات في الخميس والجمعة، وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم على عجل فتلك الساعة التى تقوم فيها الساعة. وعبد الله بن سلام هذا قد حدث عنه أبو هريرة كما حدث عن كعب الاحبار (١). ومن العجيب أن أبا هريرة قد صرح في هذا الحديث (بسماعه) من النبي وأنه صلى الله عليه وآله قد (أخذ بيده) حين حدثه به - وإنى لاتحدى الذين يزعمون أنهم على شئ من علم الحديث، أن يحلوا هذا (المشكل) وأن يخرجوا شيخهم من هذه الورطة التى ارتطم فيها ! إن الحديث صحيح السند على قواعدهم، لا خلاف في ذلك بينهم، وقد رواه مسلم في صحيحة، ولم يصرح بسماعه من النبي فحسب، بل زعم أن رسول الله قد أخذ بيده وهو يحدثه به، وقد قضى أئمة الحديث بأن أبا هريرة قد أخذه من كعب الاحبار وأنه مخالف للكتاب العزيز - ولو رواه عنعنة لقلنا عسى، ولا لتمسنا له مخرجا يخرج منه، ولكنه صرح بسماعه ووضع يده في يد النبي عندما تلقاه منه - فمثل هذه الرواية تعد ولا ريب (كذبا صراحا وافتراء على رسول الله) فما حكم من يقترفها ؟ وهل تدخل تحت طائلة حكم حديث الرسول " من كذب على فليتبوأ مقعده من النار ". أم هناك مخرج لراوي هذا الحديث بذاته، لانه صاحب الثوب، والوعاءين، والمزود (٢) ؟

---

(١) ص ٢٩٦ ج ٢ من سير أعلام النبلاء للذهبي. وعبد الله بن سلام هو أبو الحارث الاسرائيلي أسلم بعد أن قدم النبي المدينة وهو من أحبار اليهود حدث عنه أبو هريرة وأنس بن مالك وجماعة، اتفقوا على أنه توفى سنة ٤٣ هـ. )٢) سنحدثك فيما بعد عن قصة الثوب والوعاءين والمزود وهى قصة طريفة. (*)

---



إنى والله لفى حاجة إلى الانتفاع بالجواب المقنع عن ذلك ! لان هذا الحديث وحده لو حقق. لانسان نظره فيه وأمعن في ظاهره ومطاويه، لكشف ولا ريب عن حقيقة روايات أبى هريرة كلها. لانه إذا كان هذا

شأنه في رواية ما يصرح بسماعه بأذنه من النبي صلى الله عليه وآله فكيف يكون الامر فيما يرويه عنعنة عن غيره ؟ وأكثر رواياته عنعنة كما صرحوا بذلك. وإني - كلما ذكرت هذا الحديث - يعترينى شئ أشبه ما يكون بالخجل أو الخزى ! إذ ماذا يقول العلماء وبخاصة علماء الجيولوجيا الذين انتهى بحثهم العلمي إلى أن الارض قد انقضى على تكوينها آلاف الملايين من السنين، ثم يأتي رسول المسلمين فيقول: إنها خلقت هي وما عليها في سبعة أيام من أيام الدنيا ! وماذا يكون ظن هؤلاء العلماء في مبلغ علمه عليه الصلاة والسلام ! على حين أنه يقول إنه تلقى علمه وحيا من الله ! وإنه لا ينطق عن الهوى ! وهكذا يورطنا أبو هريرة في المشاكل التى تفضحنا عند الامم ولا نعرف كيف نتخلص منها ! ولقد أحسن علماؤنا في تكذيب هذا الحديث، وأن يقطعوا بأن أبا هريرة قد كذب في أنه قد رواه عن النبي - وأنه قد تلقاه عن كعب الاحبار اليهودي الذى لم يكن له من عمل إلا أن يدس في الاسلام ما يشوه بهاءه، وأن يفتح باب الطعن في علم من جاء به. وهذه كلمة نتم بها نقد هذا الحديث. إن الذين انتقدوا أبا هريرة في رواية هذا الحديث وكذبوه من أجله، قد حصروا انتقادهم في الاختلاف بين عدد الايام التى جاءت في حديثه وما جاء في القرآن ! ثم وقفوا عند ذلك، وفاتهم أمر آخر مهم كان عليهم أن يشتدوا في نقده حتى ولو كانت رواية حديث أبى هريرة قد جاءت مطابقة لما في القرآن ! من حيث عدد الايام - ذلك لان الايام التى ذكرها في حديثه والتى خلق الله العالم كله فيها - هي الايام المعروفة لنا، تلك التى جاءت من دوران الارض حول الشمس - وهذه الايام لم تكن معروفة يوم خلق الله السموات والارض، لا بأسمائها ولا بمقاديرها ! لان ذلك قد جاء في اصطلاح

---



البشر، وكان لكل أمة اصطلاح خاص في ذلك. على أن هذه الاسماء التى وضعوها على أيام الاسبوع وأصبحت متعارفة اليوم لجميع الناس قد كان للعرب قبلها أسماء أخرى يطلقونها على أيام الاسبوع وهى: " أول، وأوهد، وجبار، ودبار، ومؤنس، وعروبة، وشيار " وجمعها بعضهم في هذين البيتين: أؤمل أن أعيش وإن يومى * بأول أو بأوهد أو جبار أو التالى دبار فإن أفته * فمؤنس أو عروبة أو شيار ولا نتوسع في بيان أسماء الايام عند غير العرب من المصريين والرومانيين والبابليين وغيرهم فإن لذلك بحثا آخر هو أملك به. ومما فات الذين انتقدوا أبا هريرة كذلك أنهم لم يفقهوا أن اليوم إذا كان مقداره عند الناس أربعا وعشرين ساعة فإنه عند الله غير معروف المقدار ! فقد يكون ألف سنة كما في قوله تعالى " وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون "، وقد يكون خمسين ألف سنة كما في قوله تعالى " تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة " وقد يكوى أكثر من ذلك، والله عنده علم الغيب، هذا ما كان يجب أن يتولاه العلماء في نقد أبى هريرة في حديث خلق الله التربة يوم السبت، وتقصيرهم هذا ليس بغريب عليهم بل إنهم قد عرفوا به إذ يجعلون وكدهم في نقد الاسانيد فحسب، أما المتون فإنهم يدعونها على ما قد يكون فيها مما لا يقبله عقل صريح، ولا يقره علم صحيح، وقد أوضحنا ذلك في كتابنا " أضواء على السنة المحمدية " أكمل إيضاح وهم على كل حال مشكورون على ما بذلوه فيما يستطيعون ! وإن هذا الحديث الذى أثبت ثبوتا قاطعا كذب أبى هريرة وافتراءه على النبي صلى الله عليه وآله ليكفى وحده في نزع رداء الثقة عن أبى هريرة ورواياته، وفي امتلاخ كل عرق من الظن بأنه كان فيما يروى عن النبي صلى الله عليه وآله صادقا أمينا وإنه لكما وصفه أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه حيث قال فيه: إنه كان أكذب الناس، هذا وسيأتيك في موضعه من هذا الكتاب - اتهام الصحابة والتابعين ومن بعدهم إياه حتى كان بذلك (أول راوية اتهم في الاسلام).

وإليك حديثا آخر نضمه إلى حديث (خلق الله التربة يوم السبت) لانه صرح كذلك فيه بسماعه من النبي: روى ابن كثير في تفسيره عن أبى هريرة أنه قال (١): سمعت رسول الله يحكى عن موسى على المنبر (أي سمعه كل الصحابة) قال: " وقع في نفس موسى هل ينام الله عزوجل ؟ فأرسل الله تعالى إليه ملكا فأرقه ثلاثا، وأعطاه قارورتين، في كل يد قارورة، وأمره أن يحتفظ بهما، فجعل ينام وتكاد يداه تلتقيان، ثم يستيقظ فيحبس إحدا ا عن الاخرى، حتى نام نومة فاصطفقت يده فانكسرت القارورتان ". قال ابن كثير: والظاهر أن هذا الحديث ليس بمرفوع، بل هو من الاسرائيليات المنكرة فإن موسى (ع) أجل من أن يجوز على الله سبحانه وتعالى النوم، وقد أخبر الله عزوجل في كتابه العزيز بأنه الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم، له ما في السماوات وما في الارض. وروى أحمد عن أبى هريرة أن رسول الله قال: " يخرج من خراسان رايات سود لا يردها شئ حتى تنصب بإيليا "، رواه البيهقى، وقد قال الحافظ ابن كثير إنه من كعب الاحبار (٢). وروى أحمد في مسنده عن القاسم بن محمد قال: اجتمع أبو هريرة وكعب فجعل أبو هريرة يحدث كعبا عن النبي وكعب يحدث أبا هريرة عن الكتب (٣). وقد بلغ من دهاء كعب الاحبار واستغلاله لسذاجة أبى هريرة وغفلته أن كان يلقنه ما يريد بثه في الدين الاسلامي من خرافات وأساطير، حتى إذا رواها أبو هريرة، عاد هو فصدق أبا هريرة، ليؤكد هذه الاسرائيليات وليمكن

---

(١) ص ٥٦١ ج ٣. (٢) ص ٥١ ج ١٠ من البداية والنهاية لابن كثير. (٣) ص ٢٧٥ ج ٢. (*)



لها في عقول المسلمين كأن الخبر قد رواه أبو هريرة عن النبي، وهو في الحقيقة عن كعب الاحبار ! وإليك مثلا آخر من الاحاديث التى رواها أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وهى في الحقيقة من الاسرائيليات: روى أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم عن (أبى هريرة) أن رسول الله قال: " إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها " اقرأوا إن شئتم " وظل ممدود " ! ! ولم يكد هذا الحديث يبلغ كعبا ! حتى أسرع فقال - كما روى ابن جرير -: صدق والذى أنزل التوراة على موسى ! والفرقان على محمد، لو أن رجلا ركب (حقة) (١) أو (جذعة) ثم دار بأعلى تلك الشجرة ما بغلها حتى يسقط هرما ! إن الله تعالى غرسها بيده، ونفخ فيها من روحه، وإن أفنانها لمن وراء ستار الجنة، وما في الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل هذه الشجرة (٢). وهكذا يتعاونان على نشر هذه الخرافات بين المسلمين، وهى سوس الدين، أما كعب الاحبار فلكى يبلغ غايته من إفساد مبادئ الاسلام، وأما أبو هريرة فلكى يعلو شأنه بين الانام، وبخاصة في نظر بنى أمية، وبذلك ينال مآربه الدنيوية بعد أن أصبح التلميذ الاول للكاهن اليهودي الماكر، وأنه أعلم الناس بما في التوراة بعد أن تلقى علم النبي صلى الله عليه وآله وأسراره في ثوبه وأجربته ! وأصبح أعلم الناس بأحاديثه ! وهكذا تحيط بنا الاسرائيليات وغيرها من كل جانب، والمسلمون يصدقون، والحشوية يؤيدون، وأعداء الاسلام يضحكون، ولا حول ولا قوة إلا بالله. البيت وما كان من أمره: ونختم هذا الفصل بخبر عجيب مما كان كعب يبثه من خرافات وترهات: سأل عمر كعبا (أيام كان يثق فيه) أخبرني عن بناء هذا البيت ما كان أمره ؟

(١) الحقة من الابل هي ابنة ثلاث سنين ودخلت في الرابعة، والجذعة الناقة التى بلغت الخامسة. (٢) ص ٢٨٩ ج ٤ من تفسير ابن كثير. (*)



فقال: إن هذا البيت أنزله الله من السماء ياقوته حمراء، مجوفة مع آدم (١)، ويراجع فصل الاسرائيليات من كتابنا (الاضواء) من الطبعة الثالثة. وكذلك يراجع فيه فصل المسيحيات، ليعرف منه مما بثه أبو هريرة في الدين الاسلامي من المسيحيات كما بثه من الاسرائيليات. عمر ينهى أبا هريرة عن الرواية ويضربه بالدرة عليها كان عمر أول من تنبه إلى خطر ما يرويه أبو هريرة وينسبه إلى النبي، فعندما انتهى إليه أنه يحدث عن النبي، وذلك بعد رجوعه من البحرين واتصاله بكعب الاحبار، دعاه وزجره، ثم لم يلبث أن ضربه بدرته، ولما لم يزدجر أوعده، إن لم يترك الحديث عن رسول الله فإنه ينفيه إلى بلاده، وذلك قبل أن يستشرى الداء، ويستعصي على الدواء، وكذلك نهى كعب الاحبار عن التحدث من إسرائيلياته. أخرج ابن عساكر من حديث السائب بن يزيد أنه سمع عمر يقول لابي هريرة لتتركن الحديث عن رسول الله أو لالحقنك بأرض دوس. وقال لكعب الاحبار لتتركن الحديث أو لالحقنك بأرض القردة - وفى رواية لتتركن الحديث عن الاول (٢). وقد غضب على أبي هريرة من أجل إكثاره فضربة بالدرة زجرا له ووبخه بقوله: أكثرت يا أبا هريرة وأحر بك أن تكون كاذبا على رسول الله (٣). ولابن عساكر في رواية أخرى أو لالحقك بأرض دوس أو بأرض القردة. وقد جاء مثل هذا النهى والانذار من عثمان إليهما، ولكن عثمان ليس كعمر

(١) ص ١٠ كتاب الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر العسقلاني. (٢) ص ٤٣٣ ج ٢ أعلام النبلاء للذهبي وص ١٠٦ ج ٨ من البداية والنهاية. (٣) ص ٣٦٠ من شرح النهج لابن أبى الحديد. (*)



في صرامته وشدته ؟، ولا يحمل درة مثل درته (١). وقد عقب الذهبي على نهى عمر عن التحدث فقال: هكذا كان عمر رضى الله عنه يقول: أقلوا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وزجر غير واحد من الصحابة عن بث الحديث - وهذا مذهب لعمر ولغيره. فبالله عليك - إذا كان الاكثار من الحديث في دولة عمر وكانوا يمنعون منه مع صدقهم وعدالتهم وعدم الاسانيد، بل هو غض لم يشب ! فما ظنك بالاكثار من رواية الغرائب والمناكير في زماننا مع طول الاسانيد وكثرة الوهم والغلظ ! فبالحرى أن نزجر القوم عنه، فياليتهم يقتصرون على رواية الغريب والضعيف بل يروون - والله - الموضوعات والاباطيل والمستحيل في الاصول والفروع والملاحم والزهد نسأل الله العافية (٣). وروى ابن علية عن رجاء بن أبى سلمة قال: بلغني أن معاوية كان يقول: عليكم من الحديث بها كان في عهد عمر فإنه قد أخاف الناس في الحديث عن رسول الله (٢). ومن أجل ذلك كثرت أحاديث أبى هريرة بعد وفاة عمر وذهاب الدرة، إذ أصبح لا يخشى أحدا بعده - وكان عمر يخيف الناس، ومن قول أبى هريرة في ذلك: إنى لاحدث أحاديث لو تكلمت بها في زمن عمر لشج رأسي - كما رواه عنه ابن عجلان. وعن الزهري عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال: ما كنا نستطيع أن نقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله

حتى قبض عمر، كنا نخاف السياط (٣). وكان يقول: أفكنت محدثكم بهذه الاحاديث وعمر حى ؟ أما والله لايقنت

---

(١) ص ١٣٣ من كتاب المحدث الفاصل بين الراوى والواعى للقاضى أبى محمد الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزى، المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية رقم ٤٨٣ مصطلح الحديث. (٢) ص ١٦١ من كتاب تمهيد لتاريخ الفلسفة للشيخ مصطفى عبد الرازق نقلا عن كتاب تاريخ التشريع الاسلامي لمحمد الخضرى ص ٩٩ - ١٠٠. (٣) ص ٤٣٣ و ٤٣٤ ج ٢ أعلام النبلاء. (*)

---



أن المخفقة ستباشر ظهرى (١)، وفى رواية: لو كنت أحدث في زمان عمر مثل ما أحدثكم لضربني بمخفقته. وعن الزهري قال: قال عمر: أقلوا الرواية عن رسول الله إلا فيما يعمل به (٢). وقد قال الفقيه المحدث محمد رشيد رضا رحمه الله في ذلك: لو طال عمر عمر حتى مات أبو هريرة لما وصلت إلينا تلك الاحاديث الكثيرة (٣)، التى منها ٤٤٩ في البخاري وحده. هنا وقفة مهمة: من يحقق النظر فيما صنعه عمر مع أبى هريرة من نهيه عن الحديث وضربه إياه على ذلك، يتنور من خلال ذلك معنى عميقا يقف عنده العقل والمنطق مليا. ذلك أن عمر لو كان يعلم - وهو الناقد البصير الذى يعرف منازل الصحابة من النبي صلى الله عليه وآله ومكانتهم من العلم والفضل - أن أبا هريرة من الصفوة الممتازين منهم، وأنه كان يلازم النبي صلى الله عليه وآله ويصحبه في غدوه ورواحه، ولم يفارقه لا في سفر ولا حضر من يوم أن أسلم كما زعم هو وأنصاره، وأنه قد أتيح له أن يسمع كل ما ينطق به النبي صلى الله عليه وآله ويضبطه ويحفظه ولا يفوته شئ منه - وأنه وحده قد ظفر بنفحات نبوية ملا بها ثوبه وأجربته (٤) لم يظفر بمثلها أحد غيره من الصحابة حتى صارت رواياته بذلك كلها وثيقة، وأحاديثه متواترة صحيحة، وأنه مع ذلك من أهل الفقه والبصر بالدين الذين كانوا في عهد النبي وأبى بكر قبله من المفتين الذين يؤخذ برأيهم، ويصغى إلى أقوالهم ! لو كان عمر يعلم ذلك كله - وأنه قد بلغ هذه المنزلة التى لم يبلغها أحد

---

(١) يقول ذلك لان هذه المخفقة قد باشرت ظهره مرارا حتى في عهد النبي " ص ٣٤ - ١ مسلم " وبعد عهد النبي عندما عزله عمر عن البحرين فقد ضربه حتى أدمى ظهره. (٢) ارجع إلى الجزء الثامن من البداية والنهاية والجزء الثاني من أعلام النبلاء تجد هذه الاخبار وغيرها مبسوطة هناك. (٣) ص ٨٥١ ج ١٠ من مجلة المنار. (٤) ستقابلك قصة عجيبة عن هذا الثوب ! وهذه الاجربة ! (*)

---



سواه من الصحابة جميعا - لاباح له الرواية، ولرضى عنها - بل لكان أولى الناس بأن يتخذه مرجعا علميا، يرجع إليه فيما يغيب عنه معرفته، أو يشك فيه من أحاديث الرسول، فكان - على سبيل المثال - يرجع إليه في حديث الطاعون الذى حيره ! أو يسأله عن حديث فاطمة بنت قيس وحديث الاستئذان الذى سأل عنه أبا موسى الاشعري، وغير ذلك من الاحاديث التى كان يشك فيها - وهذا أمر يقع كل يوم، وعلى سبيل المثال كذلك - أين كان أبو هريرة عندما استبهم أمر ميراث الجدة على أبى بكر وأخذ يسأل الناس عنه ! وأين وأين - ولكن من يفهم ! حقا لو كان عمر يعرف لابي هريرة هذه المزايا التى لو كانت صحيحة لاشتهر بها بين الصحابة جميعا ولاصبح بها يشار إليه بينهم بالبنان، ولذاع اسمه بسببها في كل مكان،

ولكان قد اتقى درة عمر من أن تباشر ظهره، ولحرص عمر الحرص كله على أحاديثه ولامر بكتابتها، كما حرص على كتابة القرآن لتبقى بجوار كتاب الله خالدة على وجه الزمان ! وبذلك تكون أحاديث أبى هريرة وحدها موضع ثقة المسلمين جميعا في مشارق الارض ومغاربها على مد العصور - وتأتى منزلتها عندهم بعد منزلة القرآن في اتباعها، والاخذ بها، ثم لجعلها علماء النحو من دون أحاديث الصحابة جميعا (١) مما يستشهدون به على اللغة والنحو لانها جاءت - كما يطلبون متواترة في لفظها ومعناها، وتظل هذه الاحاديث على مدى الاجيال أعظم ثروة أدبية في حقيقة مبناها، وأجل ذخيرة لغوية ينعم الناس بارتشاف رياها ! وعلى الجملة يكون الكتاب الذى يحمل أحاديث أبى هريرة، هو الكتاب الثاني - في الصدق - بعد القرآن في الدين والعلم والادب واللغة والبلاغة ! وإذا قلنا إن عمر قد تعنت مع أبى هريرة فمنعه من الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وبالغ في التعنت فضربه بغير حق ليكفحه بلجام درته ! لو قلنا ذلك لكان عمر - ولا ريب ظالما لابي هريرة أي ظلم، وجانيا على الدين - وعلى من جاء

---

(١) إذا كان أبو هريرة قد حمل كل أحاديث النبي وجاءنا بها صحيحة فأى داع لان نسمع من غيره أحاديث قد لا تأتى صحيحة ! ! (*)



به - أكبر جناية يعاقب عليها يوم القيامة عقابا شديدا ! ولكن الذى يقضى به الدين والعقل والمنطق والتاريخ، أن عمر لم يفعل ما فعل مع أبى هريرة إلا لانه كان يعلم من أمره، أنه ليس أهلا لان يكون راوية أمينا صادقا عن النبي صلى الله عليه وآله ولا هو ممن يصح أن يظل ما يرويه باقيا بين المسلمين، يأخذه الخلف عن السلف بالرضا والقبول. وما لنا نذهب بعيدا في أمر موقف عمر من أبى هريرة - وهذا الامر مقطوع به ومعروف قبل عمر وأبى بكر، ذلك بأن النبي صلى الله عليه وآله قد حسمه وقضى فيه بصائب حكمه عندما أقصاه إلى البحرين. فلو كان صلى الله عليه وآله يعلم في أبى هريرة خيرا لابقاه بجواره بالمدينة لكى يحفظ عنه أحاديثه ثم يبثها من بعده بين المسلمين حتى تظل محفوظة مصونة، وبذلك يصبح بحق (راوية الاسلام) كما خرف وخرق بذلك جماعة من شيوخ الدين واستعلنوا به في آخر الزمان بين العالمين ! وكأن هذا الامر الخطير قد غاب علمه عن السلف الصالح وعمن جاء بعدهم جميعا على مد التاريخ الاسلامي كله فلم يعرفه النبي ولا خلفاؤه ولا أئمة المسلمين جميعا حتى اهتدى إليه هؤلاء الشيوخ في آخر الزمان ! وسبحان واهب العقول ! وسنزيد هذا الامر بيانا عند كلامنا على كتاب عجاج الخطيب في آخر الكتاب. على أنه قد استبان واتضح من روايات أبى هريرة التى حملت ما حملت - بعد أن غابت عنه درة عمر ما أثبت يقينا أن ما صنعه عمر معه إنما كان عملا رشيدا، وأن رأيه فيه كان سديدا، ولو أن أبا هريرة قد مات قبل موت عمر لما رأينا من مروياته ما رأينا من خرافات وإشكالات وإسرائيليات - كما ذكر العلامة السيد رشيد رضا ذلك من قبل. هذه وقفة لا بد منها لان موقف عمر من أبى هريرة من أهم الادلة التى تكشف عن حقيقة مرويات أبى هريرة، وتضعه في ميزان التقدير، بل قل: إن هذا الموقف وحده كاف لنزع الثقة فيه وفى مروياته معه إلى يوم الدين.

لم يظهر أبو هريرة إلا بعد الفتنة: ذكرنا لك من قبل أن أبا هريرة لم يكن له أي شأن في زمن النبي صلى الله عليه وآله ولا في زمن الخلفاء الاربعة من بعده، وأنه لم يستطع أن يفتح فاه بحديث عن النبي إلا بعد موت عمر، ولم يجرؤ على الفتيا أو يلفظ بكلمة في الدين إلا بعد أن توفى عثمان - أي بعد الفتنة الكبرى كما قرر ذلك كبار المؤرخين، أما إكثاره من التحديث عن رسول الله وإسرافه في ذلك، فلم يكن إلا في عهد بنى أمية بعد أن خلا له الجو، وأصبح من دعاتهم وأنصارهم. وإليك ما قاله ابن سعد في طبقاته وهو يترجم لعبدالله بن عباس (١): " كان ابن عباس، وابن عمر، وأبو سعيد الخدرى - وأبو هريرة - وعبد الله بن عمرو بن العاص، وجابر بن عبد الله، ورافع بن خديج، وسلمة ابن الاكوع، وأبو واقد الليثى، وعبد الله بن بحينة، مع أشباه لهم من أصحاب رسول الله، يفتون بالمدينة ويحدثون عن رسول الله من لدن توفى عثمان إلى أن توفوا ". أما قبل ذلك فكان من عامة الصحابة فلم يعرف عنه أنه قام بعمل دينى كما عمل غيره من الصحابة المشهورين، اللهم إلا أنه كان يؤذن للصلاة وهو في البحرين مع العلاء بن الحضرمي كما عرفت (٢) وقد ظل يهوى التأذين ويتعشقه ويميل إليه إلى زمن مروان بن الحكم أي بعد سنة ٤١ هـ. ولا غرابة في أن يلمع نجمه المنطفئ في عهد بنى أمية المظلم، بعد أن اختفت من سمائه كواكب أعلام الصحابة وخيارهم ولم يبق فيه إلا نجوم منطفئة.

---

(١) ص ١٢٤ ج ٢ ق ٢ طبعة ليدن وص ٣٣٦ ج ٢ من تاريخ الذهبي الكبير وص ٤٣٧ ج ٢ من سير أعلام النبلاء و ٢٢٣ ج ٣ من نفس المصدر وارجع إلى كتابنا " أضواء على السنة المحمدية " الطبعة الثالثة لكى تعرف من كانوا يفتون على عهد رسول الله وعهد صاحبيه أبى بكر وعمر فإنك لا تجد منهم أبا هريرة إذ كان كما قلنا مغمورا لا يعرفه أحد. (٢) يراجع هذا الامر فيما سبق من هذا الكتاب. (*)



وقائع لم يحضرها - ويزعم أنه حضرها: كان أبو هريرة لا يفتأ يعمل على ما يرفع من شأنه في عهد بنى أمية ويتخذ كل سبيل لهذه الغاية، وكان مما صنع في ذلك أن يدعى حضور وقائع لم يرها ! ومن ذلك أنه قال، كما روى البخاري: افتتحنا خيبر ولم نغنم ذهبا ولا فضة، إنما غنمنا البقر والابل والمتاع ! وقد جاء هذا الحديث كذلك في مسلم على حين أنه لم يشهد الفتح إجماعا وإنما جاء بعد الفتح. ومن ذلك أنه زعم أنه كان مع أبى بكر في حجته، وأورد في ذلك أحاديث ملفقة متعارضة - وللاسف أوردها البخاري في كتابه - وكلها قد جاءت من قبل أبى هريرة وابنه المحرر، فمرة يقول (١): إن أبا بكر قد بعثه في مؤذنين في تلك الحجة ليؤذن في الناس، ثم أردف النبي صلى الله عليه وآله بعلى، فأمره أن يؤذن ببراءة (معنا) أي أنه كان مع أبى بكر وأن عليا قدم عليهم. وتارة أخرى يقول فيها: كنت في البعث الذين بعثهم رسول الله مع على ببراءة وكنا نقول: لا يدخل الجنة إلا مؤمن، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فأجله إلى أربعة أشهر (٢). ولا نتوسع في إيراد هذا التخليط في هذا الامر حتى لا نطيل بغير فائدة ونقول: إن الامر في حجة أبى بكر ظاهر مكشوف، وقد أورده ابن إسحاق في سيرة ابن هشام والطبري وغيرهما من المحققين ولم يذكر فيها شئ عن أبى هريرة وإنا نلخص هنا ما جاء في سيرة ابن هشام عنها (٣): بعث رسول الله أبا بكر أميرا على الحج سنة ٩ هـ وبعد أن فصل أبو بكر عن المدينة نزلت سورة براءة، فقيل لرسول الله: لو بعثت بها أبا بكر ؟ فقال:

---

(١) روى ذلك البخاري في تفسير سورة براءة. (٢) أخرجه الحاكم ورواية أحمد والنسائي " كنا مع على حين بعثه رسول الله إلى مكة ببراءة ". (٣) ص ٢٠٣ وما بعدها ج ٤. (*)



لا يؤدى عنى إلا رجل من أهل بيتى، ثم دعا عليا وقال له: اخرج بهذه القصة من صدر براءة وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى إلخ. فخرج على على ناقة رسول الله العضباء - حتى أدرك أبا بكر في الطريق فلما رآه أبو بكر قال: أمير أو مأمور ؟ فقال: بل مأمور. حتى إذا كان يوم النحر، قام على رضى الله عنه فأذن في الناس بالذى أمر رسول الله، وكان الذى أذن به على " أن لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وآله عهد فهو إلى مدته (١)، ويؤيد ذلك ويعززه ما رواه الامام أحمد في مسنده عن أبى بكر وعلى في هذا الامر، وإليك نص ما صرح به أصحاب الشأن أنفسهم في هذا الامر، وهما: أبو بكر وعلى رضى الله عنهما، حتى نأخذ الطريق على كل مكابر يريد أن يمارى فيما قطعنا به، قال أبو بكر: إن النبي صلى الله عليه وآله بعثنى ببراءة لاهل مكة، لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة - ومن كان بينه وبين رسول الله مدة فأجله إلى مدته، والله برئ من المشركين ورسوله، قال: فسرت بها ثلاثا، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلى: الحق أبا بكر فرده على وبلغها أنت (قال) ففعل على ذلك ورجعت إلى المدينة، فلما قدمت على النبي صلى الله عليه وآله بكيت إليه وقلت: يارسول الله، حدث في شئ ؟ قال: ما حدث فيك إلاخير، لكنى أمرت، ألا يبلغها إلا أنا أو رجل منى " (٢). وقال على: لما نزلت عشر آيات من سورة براءة دعا النبي صلى الله عليه وآله أبا بكر فبعثه بها ليقرأها على أهل مكة ثم دعاني فقال لى: أدرك أبا بكر، خذ الكتاب منه فاذهب به إلى أهل مكة فاقرأه عليهم، فلحقته فأخذت الكتاب منه. فرجع إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يارسول الله، نزل في شئ ؟ قال: لا، ولكن جبرائيل جاءني فقال: " لن يؤدى عنك إلا أنت، أو رجل منك " (٣). ولعلى حديث آخر قال فيه: إن رسول الله بعث ببراءة إلى أهل مكة مع أبى بكر ثم أتبعه بى فقال لى: خذ الكتاب منه فامض به إلى أهل مكة، قال: فلحقت أبا بكر فأخذت الكتاب منه، فانصرف إلى المدينة وهو كئيب،

(١) كان العرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم في الحج التى كانوا عليها في الجاهلية. (٢ و ٣) رواهما أحمد في مسنده. (*)



فقال يا رسول الله: أنزل في شئ ؟ قال: لا، إلا أنى أمرت أن أبلغه أنا، أو رجل من أهل بيتى (١). هذه هي قصة حج أبى بكر على وجهها الصحيح، فأين كان أبو هريرة إذن ؟ وأين مكانه بجوار أبى بكر، أو بجانب على ؟ وإنا نقول في ثقة: بأننا لا نطمئن بما أورده الرواة عن أبى هريرة في هذا الامر وإن كان فيهم البخاري، أو غير البخاري، ونقطع بأن أبا هريرة لم يكن في هذه الحجة، ولم يشهدها، لا مع أبى بكر، ولا مع على ! وأنى له أن يحضر هذه الحجة وهو كان يومئذ على التحقيق ليس بالمدينة، وإنما كان بالبحرين مع العلاء - كما أثبتنا ذلك من قبل (٢). وثم دليل آخر قوى يؤيد ما حققناه من أن أبا هريرة لم يشهد هذا الحج ولا كان حينئذ في المدينة أنه جعل في حديثه الذى مر بك آنفا أجل عهد النبي صلى الله عليه وآله إلى

المشركين أربعة أشهر ! وقد أنكر العلماء ذلك لان الذى جاء في خطبة الامام يومئذ: ومن كان له عهد من المشركين فأجله إلى أمده بالغا ما بلغ، ومن ليس له عهد فأجله إلى أربعة أشهر ! وهذا مما يدل قطعا على أنه لم يسمع بأذنه، ما قيل يومئذ وإنما أخرجه من كيسه، وافتراه من عند نفسه. ومن غرائبه أنه قال - كما جاء في المستدرك للحاكم: دخلت على رقية بنت رسول الله امرأة عثمان وبيدها مشط فقالت: خرج رسول الله من عندي آنفا، رجلت شعره، فقال: كيف تجدين أبا عبد الله (يعنى عثمان) قالت: بخير، قال: أكرميه فإنه من أشبه أصحابي بى خلقا (٣). قال الحاكم: هذا حديث (صحيح الاسناد) واهى المتن ! فإن رقية ماتت سنة ٣ من الهجرة عند فتح بدر، وأبو هريرة أسلم بعد فتح خيبر في سنة ٧ من الهجرة. ولكنه أبو هريرة ! !

---

(١) رواه أحمد والنسائي في الخصائص. (٢) راجع تحقيقنا السابق في هذا الامر. (٣) هذا الحديث مما تقرب به أبو هريرة - ولا ريب - إلى بنى أمية. (*)

---



ومن ذلك أنه قال: " صلى بنا رسول الله الظهر، أو العصر فسلم في ركعتين فقال له ذو اليدين: أنقصت الصلاة ؟ أم نسيت ! وذو اليدين استشهد ببدر قبل أن يسلم أبو هريرة بزمان ! وقد اضطرب أبو هريرة في هذا الحديث وتعارضت أقواله، فمرة يقول: صلى بنا إحدى صلاتي العشى، إما الظهر، وإما العصر ! وتارة يقول: صلى بنا صلاة العصر، وأخرى يقول: بينما أصلى مع رسول الله صلاة الظهر ! وهذه الروايات كلها في البخاري ومسلم. وأسفا ! ومن الوقائع التى لم يحضرها، واخترعها ليتقرب إلى معاوية بها ! ما رواه عنه مسلم في حديثين اثنين: أحدهما، قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعمه أبى طالب: قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة، قال: لولا أن تعيرني قريش، يقولون: إنما حمله على ذلك، لاقررت بها عينك، فأنزل الله تعالى: (إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء). والآخر قال رسول الله لعمه عند الموت: قل: لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة، فأبى، قال فأنزل تعالى الآية إلخ رواه مسلم. وأنى له أن يسمع هذين الحديثين وقد مات أبو طالب في مكة سنة عشر قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل إنه مات سنة ٩ وفى رواية أنه مات سنة ٨. أي قبل أن يسلم بعشر سنين، لان الاجماع قد انعقد على أن أبا هريرة لم يسلم إلا بعد أن فرغ النبي صلى الله عليه وآله من وقعة خيبر التى كانت في سنة ٧ من الهجرة، ولكنه أبو هريرة ! والاخبار في ذلك كثيرة تملا مجلدات فنقتصر على ما أوردناه وهو كاف وندع فهمه وإدراكه إلى ذوى الفهم والادراك.

---



أبو هريرة يدلس: كانت طريقة أبى هريرة في روايته للحديث أن يرفع كل ما يرويه إلى النبي سواء أكان قد سمعه منه مشافهة، أم أخذه من غيره من الصحابة، أو من التابعين عنعنة، وكان لا يميز بين هذا وذاك عند الرواية ولا يذكر اسم من أخذ عنه من غير النبي - وهذا يعد عند المحدثين - تدليسا، ويكون ما يرويه من هذا الباب في حكم (المرسل) وقد أثبت العلماء أن أبا هريرة كان (مدلسا) (١) لان أكثر ما رواه بل غالبه لم يأخذه (سماعا) من النبي بسبب تأخر إسلامه وإنما رواه عنعنة (٢) عن غيره من الصحابة أو التابعين (٣). قال ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (٤): كان أبو هريرة يقول: قال:

رسول الله كذا، وإنما سمعه من الثقة عنده فحكاه، وكذلك كان ابن عباس يفعل وغيره من الصحابة. وقد احتاط ابن قتيبة فقال (من الثقة عنده) ولم يقل من الثقة، لان أبا هريرة لم يكن يذكر اسم من روى عنه حتى يعلم، إن كان ثقة أو غير ثقة - وسيأتيك كلام طويل في ذلك. وذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥)، قال يزيد بن إبراهيم: سمعت شعبة (٦) يقول: " كان أبو هريرة يدلس ". وعلق الذهبي على هذا الخبر بقوله:

---

(١) يقال في اللغة: دلس في البيع إذا لم يظهر عيبه. (٢) قال أبو بكر بن العربي: إذا كان الحديث معنعنا كان محتملا ولا يلزم فيه ما يلزم في حدثنى، لان للراوى أن يقول: عن فلان وإن لم يدركه، حكاه الشافعي ص ٥٢ من كتاب الاجابة. (٣) ذكرنا لك من قبل ما قاله السيوطي وغيره من أن الصحابة كانوا يروون عن التابعين وأن العبادلة الثلاثة وأبا هريرة وغيرهم قد رووا عن كعب الاحبار الذى جعلوه من كبار التابعين الموثوق بهم. (٤) ص ٥٠. (٥) ص ٤٣٨ ج ٢. (٦) شعبة بن الحجاج هو الحجة الحافظ إمام أهل الجرح والتعديل، قال فيه الثوري: شعبة أمير المؤمنين في الحديث - وقال الشافعي: لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق، وكان صريحا فيما يقول - ومن صراحته أنه كان يقول: والله لانا في الشعر أسلم منى في الحديث، ولو أردت الله ما خرجت لكم، ولو أردتم الله ما جئتموني، ولكنا نحب المدح ونكره الذم - هذا هو رأى شعبة وأمثاله في التدليس وسيأتيك ما قاله كبار العلماء في ذمه واستبشاعه. (*)

---



تدليس الصحابة كثير ولا عيب فيه. وقد جاء قول يزيد بن هارون هذا الذى سمع شعبة - تاما - في رواية أخرى، وهاك نصها كاملا كما جاء في البداية والنهاية، قال يزيد بن هارون: سمعت شعبة يقول: أبو هريرة كان يدلس، أي يروى ما سمعه من كعب الاحبار وما سمعه من رسول الله، فلا يميز هذا من هذا - ذكره ابن عساكر - وكان شعبة يشير بهذا إلى حديثه (من أصبح جنبا فلا صيام له) (١) فإنه لما حوقق عليه قال: أخبرنيه مخبر ولم أسمعه من رسول الله (٢). وما دام قد ثبت أن أبا هريرة كان (مدلسا) وكان الحديث الذى يرويه (المدلس) يسميه رجال الحديث (مرسلا) فقد وجب علينا أن نقول كلمة وجيزة في (الحديث المرسل) واختلاف شيوخ الحديث والفقه في الاحتجاج به، لان الكلام في الحديث المرسل متصل بالتدليس، حتى نستوفي تاريخ أبى هريرة من جميع أطرافه. التدليس والمدلسون: التدليس كما عرفوه أن يروى (الراوى) عمن لقيه ما لم يسمعه منه، أو عمن عاصره، ولم يلقه موهما أنه سمعه منه. وقال الحاكم في النوع السادس والعشرين من كتابه (معرفة علوم الحديث). التدليس عندنا على ستة أجناس - ثم تكلم عن الجنس الثاني فقال: " إنهم قوم يدلسون الحديث، فيقولون قال فلان، فإذا وقع من ينقر عن أسماعهم ويراجعهم ذكروا فيه سماعاتهم (٣). وأبو هريرة ولا ريب من هذا الجنس، لانه كان يروى عن غيره من الصحابة، دون أن يذكر اسم من روى عنه، ثم يرفعه إلى النبي فإذا حوقق في

---

(١) سيمر بك هذا الحديث مفصلا وأنه لما أحرج أبو هريرة فيه زعم مرة أنه سمعه من الفضل ابن العباس، ومرة أخرى أنه سمعه من أسامة بن زيد. ومرة يقسم أن محمدا قاله ! !. (٢) ص ١٠٩ ج ٨ من البداية والنهاية. (٣) ارجع إلى ص ١٨٢ من كتاب توجيه النظر للجزائري تجد كلاما كثيرا عن التدليس والمدلسين. (*)

---

حديث، اضطر إلى ذكر من روى عنه - وكان عندما يحرج - يحيل على ميت كما فعل في حديث (من أصبح جنبا) الذى سنورد قصته فيما بعد. وقال النووي في التقريب (١): " تدليس الاسناد بأن يروى الراوى عمن عاصره، لم يسمع منه موهما ؟ سماعه قائلا: قال فلان: - أو عن فلان - وهذا التعريف ينطبق على أبى هريرة انطباقا تاما: فهو في أغلب رواياته يقول: قال رسول الله، أو عن رسول الله، وهو لم يسمع منه صلى الله عليه وآله. الحديث المدلس: والحديث المدلس - بفتح اللام - هو ما سقط من إسناده راو لم يسمه من حدث عنه موهما سماعه للحديث ممن لم يحدثه بشرط معاصرته له (٢). حكم التدليس: وحكم التدليس أنه مذموم كله على الاطلاق - حتى بالغ شعبة بن الحجاج إمام أهل الجرح والتعديل فقال: " لان أزنى أحب إلى من أن أدلس "، وقال أيضا " التدليس أخو الكذب ". وذهب بعضهم إلى أن من عرف به صار مجروحا مردود الرواية مطلقا، وإن صرح بالسماع بعد ذلك. والصحيح الذى رجحه علماء الحديث أن ما رواه المدلس بلفظ محتمل ولم يصرح فيه بالسماع لا يقبل، بل يكون (منقطعا) وما صرح فيه بالسماع يقبل وهذا كله إذا كان الراوى ثقة في روايته (٣). وقال بعضهم: المدلس داخل في قول النبي صلى الله عليه وآله " من غشنا فليس منا " لانه يوهم السامعين أن حديثه متصل وفيه انقطاع، هذا إن دلس عن ثقة فإن كان ضعيفا فقد خان الله ورسوله، وهو - كما قال بعض الائمة - حرام إجماعا.

---

(١) ص ٨. (٢) ١١٣ قواعد التحديث. (٣) ص، ٣٤ من شرح ألفية السيوطي للشيخ أحمد شاكر رحمه الله، أما الحديث المنقطع فستعرفه قريبا. (*)

---



وقد اختلف العلماء في قبول رواية من عرف بالتدليس، فقال فريق من أهل الحديث والفقهاء: لا تقبل رواية المدلس بحال - سواء بين السماع أو لم يبين، لان التدليس مما يقتضى الجرح. ومن الحفاظ من جرح من عرف بالتدليس من الرواة فرد روايته مطلقا، وإن أتى بلفظ الاتصال، ولو لم يعرف أنه دلس مرة واحدة - كما نص على ذلك الشافعي رحمه الله (١). والكلام في هذا الموضوع طويل الذيل لو ذهبنا في استقصائه لخرجنا عن موضوعنا فيرجع إليه في مظانه. وإذا طبقنا ذلك كله أو بعضه على أبى هريرة رأينا أين يكون مكانه بين الرواة في ميزان الضبط والعدالة ! ومبلغ رواياته من الصحة والصدق ! ولكن لا يستطيع أحد أن يطبق أي قاعدة على الصحابة. لانهم جميعا في رأى الجمهور من الخطأ معصومون، ولا يمكن أن يمتد الشك أو الريب إلى ما يروون ! الحديث المرسل: بعد أن تكلمنا عن التدليس وحكمه، والمدلسين وما قالوه فيهم، نواصل الكلام عن (الحديث المرسل) لانه متصل بما قبله. عرفوا الحديث المرسل بأنه: هو الذى سقط منه الصحابي الذى سمع الحديث بأذنيه من النبي صلى الله عليه وآله. هذا هو المشهور، وهو الصحيح أيضا - كما في فتح المغيث للعراقي - وهو رأى الفقهاء والاصوليين، ومما يشهد للتعميم قول ابن القطان: إن الارسال هو رواية الرجل عمن لم يسمع منه (٢). وقال ابن حزم في كتاب الاحكام في أصول الاحكام: المرسل من الحديث، هو الذى سقط بين أحد رواته وبين النبي صلى الله عليه وآله ناقل واحد فصاعدا وهو (المنقطع) أيضا - وهو غير مقبول، ولا تقوم به حجة، لانه عن مجهول ! وقد قدمنا أن من جهلنا حاله، ففرض علينا التوقف

---

(١) ص ٤٤ و ٤٥ من رسالته. (٢) ١١٤ من قواعد التحديث للقاسمى. (*)

عن قبول خبره، وعن قبول شهادته، حتى نعلم حاله - وسواء أقال الراوى العدل: حدثنا الثقة أو لم يقل، لا يجب أن يلتفت إلى ذلك، إذ قد يكون عنده ثقة من لم يعلم من جرحته، ما يعلم غيره، وقد قدمنا أن الجرح أولى من التعديل. وقد كذب على النبي صلى الله عليه وآله وهو حى، وقد كان في عصر الصحابة منافقون، ومرتدون فلا يقبل حديث قال راويه فيه: عن رجل من الصحابة، أو حدثنى من صحب رسول الله (حتى يسميه) ويكون معلوما بالصحبة الفاضلة (١) - قال لله عزوجل: " وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم ! سنعذبهم مرتين، ثم يردون إلى عذاب عظيم ". وقد ارتد قوم ممن صحب النبي صلى الله عليه وآله كعيينة بن حصن والاشعث بن قيس وعبد الله بن سرح إلخ. " وقد روى مسلم عن عبد الله مولى أسماء بنت أبى بكر قال: أرسلتني أسماء إلى عبد الله بن عمر فقالت: بلغني أنك تحرم أشياء ثلاثة، العلم، في الثوب، وميثرة الارجوان، وصوم رجب (٢) ! فأنكر ابن عمر أن يكون حرم شيئا من ذلك ! فهذه أسماء وهى صحابية من قدماء الصحابة، وذوات الفضل منهم - قد حدثها بالكذب من شغل بالها حديثه عن ابن عمر، حتى استبرأت ذلك، فصح كذب المخبر. فواجب على كل أحد أن لا يقبل إلا من عرف اسمه وعرف عدالته وحفظه " (٣). انتهى كلام ابن حزم. وقال في المسائل التى جعلها مقدمة لكتابه المحلى: والمرسل والموقوف لا تقوم بهما حجة.

---

(١) هذا هو الحق، ولقد أصاب ابن حزم بذلك كبد الصواب. (٢) الميثرة بالكسر بدون همز لبدة الفرس. قال أبو عبيد وأما المياثر الحمر التى جاء فيها النهى فإنها كانت من مراكب الاعاجم من ديباج أو حرير، والارجوان بضم الهمزة والجيم معرب وهو الاحمر الشديد الحمرة. (٣) ص ٢ - ٤ ج ٤ من الاحكام. (*)



ورد أبو إسحاق الاسفراينى ومن وافقه، المرسل مطلقا حتى مراسيل الصحابة (١). وأخرج العقيلى من حديث ابن عوف قال: ذكر أيوب السختيانى لمحمد ابن سيرين حديثا عن أبى قلابة فقال: أبو قلابة رجل صالح ! ولكن عمن ذكره أبو قلابة ؟ وأخرج في الحلية من طريق ابن مهدى عن ابن لهيعة أنه سمع شيخا من الخوارج يقول بعد ما تاب: إن هذه الاحاديث دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم ! فإنا كنا إذا هوينا أمرا صيرنا له حديثا ! قال الحافظ ابن حجر: هذه والله قاصمة الظهر للمحتجين بالمرسل، إذ بدعة الخوارج كانت في مبدأ الاسلام، والصحابة متوافرون، ثم في عصر التابعين فمن بعدهم - وهؤلاء إذا استحسنوا أمرا جعلوه حديثا ! وأشاعوه ! فربما سمع الرجل الشئ فحدث به ولم يذكر من حدثه به تحسينا للظن، فيحمله عنه غيره، ويجئ الذى يحتج بالمنقطعات (٢) فيحتج به مع كون أصله ما ذكرت (٣). مراسيل الصحابة: هذا ما قالوه وشددوا فيه في أمر مراسيل غير الصحابة، وأما مراسيل الصحابة فقد قالوا: إن حكمها حكم الموصول على المشهور، الذى ذهب إليه الجمهور. قال ابن الصلاح: لم نعد في أنواع المرسل ونحوه ما يسمى في أصول الفقه، مرسل الصحابي، مثل ما يرويه ابن عباس وغيره من أحداث الصحابة عن النبي (ص) ولم يسمعوه منه، لان ذلك في حكم الموصول المسند ! لان رواياتهم

---

(١) ص ٢ ج ٧ من فتح الباري لابن حجر العسقلاني. (٢) قال النووي في التقريب في تعريف " المنقطع ": الصحيح الذى ذهب إليه الفقهاء والخطيب وابن عبد البر وغيرهما من المحدثين: أن المنقطع ما لم يتصل إسناده على أي وجه كان انقطاعه، وأكثر ما يستعمل في رواية من دون التابعي عن الصحابي، كمالك عن ابن عمر ص ٧. (٣) ص ٢٤٥ من توجيه النظر. (*)



عن الصحابة ! والجهالة بالصحابى غير قادحة، لان الصحابة كلهم عدول ! قال الحافظ العراقى: وفى قوله: - لان روايتهم عن الصحابة - نظر، والصواب أن يقال: لان غالب روايتهم، إذ قد سمع جماعة من الصحابة من بعض التابعين (١). ونحن لا ندرى لماذا يفرقون بين مراسيل الصحابة، وبين مراسيل غيرهم، فيجعلون مراسيل الصحابة في حكم الموصول الذى يؤخذ به، أما مراسيل غيرهم فيختلفون في الاخذ بها، والصحابة ناس يجوز عليهم ما يجوز على غيرهم من التابعين وغير التابعين - وقد أثبت التاريخ والقرآن يؤيده - أنه قد وقع منهم مثل ما وقع من سائر خلق الله من الاناسى أجمعين، فكان منهم المنافقون، وكان منهم من ارتكب الكبائر، وكان منهم من قاتل بعضهم بعضا، وكفر بعضهم بعضا، ثم كان منهم المرتدون. وغير ذلك مما يعلم من تاريخهم، ولا يستطيع عاقل منصف أن يدافع عنهم، وقد أشبعنا القول في أمر عدالة الصحابة فارجع إلى الفصل الذى عقدناه لذلك في كتابنا (أضواء على السنة المحمدية)، الطبعة الثالثة. أبو هريرة ليس كغيره من الصحابة بل له وضع خاص: لو حققنا النظر في أمر أبى هريرة على ما تبين من دراسة تاريخه، وعرفنا حقيقة مكانه من الصحبة بين غيره، وبخاصة في عهد النبي وخلفائه - لوجدنا أنه من دون الصحابة جميعا، يجب أن يكون له وضع خاص لانه قد أصيب من طعن كبار الصحابة ومن جاء بعدهم فيه إلى اليوم بما لم يصب بمثله أو بقليل منه أحد غيره - مما كان بعضه يكفى لتجريحه، وتمحيص رواياته والتوقف فيها، ولكن الآمر قد جرى معه على غير ما كان يجب أن يجرى. فقد رأينا رجال الجرح والتعديل قد وقفوا منه ومن مثله من الصحابة - موقفا عجيبا - خالفوا فيه قواعدهم التى وضعوها، وطبقوها على الرواة جميعا من غير الصحابة. فلم يمسوه - بنقد أو تجريح، واعتبروه عدلا صادقا، لا يجوز أن يستريب أحد

(١) ص ٢٤٥ و ٢٤٦ من نفس المصدر. (*)



في روايته، وكل ما رواه يلزم تصديقه، والاخذ به. وقد بالغوا في الثقة به حتى جعلوا مروياته التى لم يسمعها من النبي، وإنما سمعها عنعنة من غيره من الصحابة أو التابعين في حكم (المرفوع) على حين أنه لم يصرح بسماعها من النبي أو ممن تلقاها عنهم حتى يعرف حقيقة من أخذ عنه من غير النبي، - إذ قد يكون من روى عنه - قد روى هو الآخر مثله عن صحابي غيره أو تابعي بعده، ولم يأخذه من النبي سماعا، ذلك بأن الصحابة جميعا كان من عادتهم أن يروى بعضهم عن بعض بغير أن يبين الراوى اسم الصحابي الذى روى عنه، سواء أكان من الصحابة أم من التابعين، وقد كان بعض التابعين يروى عن إخوانه، كما كان كعب الاحبار وهو من التابعين يروى عن مثله من التابعين ثم يروى الصحابة عنه، وقد كانوا في هذا العهد لا يسألون عن الاسناد - روى مسلم في مقدمة كتابه عن محمد ابن سيرين أنه قال: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم - وقال: لم يكونوا يسألون عن الاسناد فلما وقعت الفتنة (أي فتنة

عثمان) قالوا: سموا لنا رجالكم. وإذا كان أبو هريرة صادقا فيما يروى، فما يدرينا أن يكون من روى عنه صادقا ؟ ونحن لم نعرف عنه شيئا، لانه لم يذكر اسمه ! وعدالة الراوى شرط في صحة حديثه فلا بد أن يكون من يروى عنهم أبو هريرة معروفين حتى ينظر في عدالتهم وضبطهم. وإليك سؤالا عظيما أورده العلامة القرافى في التنقيح عن الارسال فقال: الارسال: هو إسقاط صحابي من السند - والصحابة كلهم عدول - فلا فرق بين ذكره والسكوت عنه، فكيف جرى الخلاف فيه ؟ وأجاب هو: بأنهم عدول، إلا عند قيام المعارض، وقد يكون المسكوت عنه منهم عرض في حقه ما يوجب القدح، فيتوقف في قبول الحديث حتى تعلم سلامته عن القادح (١). ولنرجع إلى الكلام عن الراوى الذى لم يعرف اسمه. فننقل كلمة قيمة

---

(١) ص ١٢٢ من قواعد التحديث للقاسمى. (*)

---



للفقيه المحدث السيد محمد رشيد رضا وارث علم الاستاذ الامام محمد عبده، قال رحمه الله: ". وأدهى الدواهي أن يكون الحديث مأخوذا عن بعض أهل الكتاب بالقبول، ولم يعز إليه - ولا يغرنك قولهم: إن مراسيل الصحابة حجة، وإن الموقوف الذى لا مجال للرأى فيه - له حكم المرفوع. فإذا ثبت أن أبا هريرة مثلا كان يروى عن كعب الاحبار وأن الكثير من أحاديثه (مراسيل) (١) فالواجب أن يتروى في كل حديث لم يصرح فيه بالسماع من النبي (٢). فإذا كان من الاسرائيليات، أو ما في معناها، احتمل أن يكون قد رواه عن كعب، وكان هذا الاحتمال علة مانعة من ترجيح إسناد كلام إلى النبي يوقع في الاشكال (٣). تناقض رجال الحديث: وإن أمر رجال الحديث لعجيب فإنهم يتناقضون حتى في تطبيق قواعدهم، فبينما هم يجعلون روايات أبى هريرة وغيره من الصحابة التى لم يسمعوها من النبي في حكم المرفوع، ويأخذون بها، إذ بهم يعتبرون مثل هذه الروايات من غير الصحابة في حكم المرسل، وإنهم بذلك ليزنون بميزانين ويكيلون بكيلين، ولا يسألون عما يفعلون، وكأن هذا الامر قد جاءهم فيه نص قاطع من الله أو من رسوله، فهم يخشون أن يخالفوا هذا الامر القطعي أو يخرجوا عليه ! على أننا إذا سلمنا جدلا لمن يقول: إن الصحابة كلهم عدول فإن أبا هريرة خاصة كما قلنا بما حمل تاريخه وما نال من اتهام رواياته على مد الزمن، لا يصح ولا ريب أن تشمله هذه العدالة المطلقة، ولا أن يتفيأ ظلالها. وأعجب من هذا وأغرب، أنهم - وقد جعلوا التدليس والارسال من أسباب

---

(١) هكذا يقرر هذا العالم الكبير أن الكثير من أحاديث أبى هريرة " مراسيل " ويطلب أن لا يغتر أحد بقولهم " إن مراسيل الصحابة حجة ". (٢) حتى سماع أبى هريرة فيه شئ كما في حديث خلق الله التربة يو السبت الذى صرح بسماعه من النبي وأن يده كانت في يده وهو ينطق بهذا الحديث، وقد جزم أئمة الحديث بأنه قد أخذه من كعب الاحبار. (٣) ص ٩٩ ج ١٩ من المنار. (*)

---



الجرح والتعديل (١) وكان عليهم بذلك أن يجرحوا أبا هريرة من هاتين الناحيتين لانه كان يدلس ويرسل - تركوه يروى كما يريد، ويتحدث بما يشاء، من غير أن يشك في روايته أحد، أو يجرحه إنسان لانه صحابي جليل ! وإليك كلمة حق تؤيدنا فيما أثبتناه من تناقض رجال

الحديث في تطبيق قواعدهم على الصحابة وغير الصحابة صرح بها علماء الكلام فقالوا (٢): ومن عجيب شأنهم (٣) أنهم ينسبون (الشيخ) (٤) إلى الكذب ولا يكتبون عنه ما يوافقه عليه المحدثون بقدح يحيى بن معين، وعلى بن المديني (٥) وأشباههما ويحتجون بحديث أبى هريرة فيما لا يوافقه عليه أحد من الصحابة وقد أكذبه عمر وعثمان وعائشة "، وغيرهم، وكثيرون ممن جاء بعدهم من التابعين. ولم يبرح أهل التحقيق يكذبونه حتى يومنا هذا وإلى يوم الدين. كثرة أحاديث أبى هريرة: لو كانت أحاديث رسول الله كلها من الدين العام. كالقرآن الكريم. لا يقوم إلا عليها، ولا يؤخذ إلا منها، وأنه يجب على كل مسلم أن يعرفها ويتبع ما فيها، كما يتبع ما في القرآن، وكان النبي قد أمر أصحابه أن يحفظوا هذه الاحاديث لكى تؤثر عنه من بعده - لكان أكثر الصحابة رواية لها، أعلاهم كعبا في الدين، وأثبتهم قدما في الايمان، وأسنأهم مرتبة في العلم - ولكان المقلون منهم في الرواية دون المكثرين في رتبة الدين، ووراءهم في درجة العلم والفضل، وخلفهم في منزلة الاعتبار والقدر - ولكنا نجد الامر كما بدا في كتب الحديث المعروفة للجمهور قد جرى على خلاف ذلك.

---

(١) إن أسباب الجرح والتعديل مدارها عندهم على خمسة أشياء " ١ " البدعة " ٢ " والمخالفة " ٣ " والغلط " ٤ " وجهالة الحال " ٥ " ودعوى الانقطاع في السند بأن يدعى في الراوى أنه كان يدلس أو يرسل، وشيخهم كان بحمد الله يدلس ويرسل.
(٢) ص ١٠ و ١١ من كتاب تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة. (٣) أي رجال الحديث.
(٤) ليس المراد شيخا معينا مخصوصا بل المراد شيخ من الاشياخ (كذا في الاصل).
(٥) هما من كبار رجال الجرح والتعديل. (*)

---



فإن أفضل الصحابة في المرتبة، وأرفعهم في المنزلة، وأوسعهم علما بالدين وأشدهم عناية به، وأقواهم حياطة له، ودفاعا عنه، الذين نيط بهم حمل أصول الدين وفروعه إلى المسلمين بما ورثوا عن أستاذهم الاكبر صلوات الله عليه - وبخاصة أولئك الذين رجعت إليهم الفتيا في عهد النبي كالخلفاء وكبار المهاجرين والانصار، ومن قالوا: إن النبي قد مات وهو راض عنهم، وكل أولئك كانوا أقل الصحابة عنه تحديثا، وأنزرهم رواية، حتى لقد بلغ الامر ببعضهم أنه لم يرو عن النبي حديثا واحدا ! ! ولم يقف الامر عند ذلك فحسب بل قد وجدنا كبار الصحابة يرغبون عن رواية الحديث وينهون إخوانهم عنها، حتى أدى بهم فرط الاحتياط والمبالغة في التوقى إلى أنهم كانوا يحرقون ما يكتبون منها (١). وهذا الامر قد دعانا إلى أن نكسر كتابا خاصا نترجم فيه لمن كان أكثر الصحابة تحديثا عن النبي وأوسعهم رواية عنه - على حين أنه لم يصاحب النبي على التحقيق إلا عاما واحدا وبضعة أشهر - كما حققناه في هذا الكتاب - وكان بين الصحابة لا شأن له، فلم يكن في العير ولا في النفير - ذلكم هو " أبو هريرة ". لولا رواياته: ولولا أن هذه الكثرة البالغة قد استفاضت في كتب الحديث المشهورة وأخذت مكان الاعتبار والتصديق من قلوب الجمهور من المسلمين، وسيطرت على عقولهم وأفكارهم. ونفذت إلى أصول الدين وفروعه، وأصبحت مصدرا للفقهاء في أحكام الدين وشرائعه، وأدلة للمتكلمين، وأصحاب الملل والنحل في عقائدهم، على ما في كثير منها من مشكلات وترهات وأساطير تحار فيها عقول المفكرين من المؤمنين وغير المؤمنين، وشبهات وخرافات، تتخذ مطاعن على الدين، وأسانيد يتكأ عليها في إثبات الاسرائيليات وغيرها، لولا ذلك كله ما جرى بهذا البحث قلمنا، ولا اتجه إليه بالعناية همنا.

---

(١) كل ذلك قد بيناه بيانا مفصلا في كتاب أضواء على السنة المحمدية، الطبعة الثالثة، فارجع إليه. (*)



أبو هريرة أكثر الصحابة تحديثا: أجمع رجال الحديث على أن أبا هريرة كان أكثر الصحابة تحديثا عن رسول الله - على حين أنه لم يصاحب النبي إلا عاما واحدا وبضعه أشهر فحسب كما قلنا. وقد ذكر أبو محمد بن حزم أن مسند بقى من مخلد (١) قد احتوى من حديث أبى هريرة على ٥٣٧٤ روى البخاري منها ٤٤٦ مما جعل الصحابة ينكرون عليه ويكذبون بعض رواياته كما ستراه بعد. هذا هو المعروف المشهور ولكنا رأيناه يقول كما روى البخاري (٢) وغيره: ما من أصحاب النبي أحد أكثر حديثا منى إلا ما كان من عبد الله بن عمرو (٣) فقد كان يكتب ولا أكتب (٤) ولو بحثنا عن كل ما رواه ابن عمرو هذا

(١) هو أبو عبد الرحمن بقى بن مخلد الاندلسي من حفاظ الحديث وأئمة الدين ملا الاندلس علما جما وله تفسير فضلوه على تفسير ابن جرير، وله في الحديث مصنفه الكبير الذى رتب فيه حديث كل صاحب على الفقه وبيان الاحكام، فهو مصنف ومسند وكان حرا لا يقلد أحدا ولد سنة ١٨١ هـ وتوفى سنة ٢٧٦. (٢) ص ١٦٧ ج ١ فتح الباري. (٣) هو أحد العبادلة الثلاثة الذين رووا عن كعب الاحبار وكان قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب وكان يرويها للناس، فتجنب كثير من أئمة التابعين الاخذ عنه وكان يقال له: لا تحدثنا عن الزاملتين. وقال ابن حجر في فتح الباري ص ١٦٧ ج ١ إنه قد ظفر في الشام بحمل جمل من كتب أهل الكتاب فكان ينظر فيها ويحدث منها فتجنب الاخذ عنه لذلك كثير من أئمة التابعين، وفى رد الدارمي على بشر المريسى أنه أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب وكان يرويهما للناس عن النبي صلى الله عليه وآله وكان يقال له: لا تحدثنا عن الزاملتين - ص ١٣٦. وقال الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن الخطيب أبى حفص عمر بن كثير في خطة تفسيره بالصفحة الرابعة من الجزء الاول. إن عبد الله بن عمرو أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يحدث منهما وقال ابن كثير عن الحديث الذى رواه البيهقى في بناء الكعبة عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعا أن الاشبه أن يكون موقوفا على عبد الله بن عمرو ويكون من الزاملتين اللتين أصابهما يوم اليرموك من كلام أهل الكتاب. وهذا نص الحديث: بعث الله جبريل إلى آدم وحواء فأمرهما ببناء الكعبة فبناه آدم ثم أمر بالطواف به وقيل له: أنت أول الناس وهذا أول بيت وضع للناس ص ٣٨٣ ج ١، والاخبار في ذلك كثيرة يرجع إليها في مظانها. (٤) أثبت ذلك ابن حجر في ص ١٦٧ ج ١ فتح الباري وفى مسند أحمد عن أبى هريرة أن ابن عمرو كان يكتب بيده وكنت لا أكتب بيدى. علق العلامة السيد محمد رشيد رضا على هذا الخبر فقال: هذا القول من أبى هريرة ليس حجة شرعية وهو لا يدل على أن ابن عمرو كان يكتب بأمر النبي ولا بإقراره فيصلح معارضا لحديث نهيه صلى الله عليه وآله عن كتابة شئ غير القرآن - ص ٦١٧ ج ٢٧ مجلة المنار. (*)



لوجدناه ٧٠٠ حديث عند ابن الجوزى أي بنسبة ٨ / ١ مما رواه أبو هريرة روى البخاري منها ثمانية ومسلم عشرين. ولعل اعترف أبى هريرة هذا. قد صدر عنه أول أمره حينما كان يعيش بين كبار الصحابة وعلمائهم، إذ كان يخشى أن ينكروا عليه مروياته، ولكن لما خلا له الجو، واستباح الرواية بعد مقتل عمر وموت كبار الصحابة (١) - أكثر وأفرط، وبخاصة في عهد معاوية الذى حمى ظهره، وأعلى قدره، وجعله محدث دولته، كما سترى ذلك إن شاء الله. وقد يظن بعضهم من قول أبى هريرة هذا أن عبد الله بن عمرو قد كتب ما سمعه من رسول الله، وبذلك تكون مروياته متواترة في لفظها ومعناها، وأن ما كتبه قد حفظ من بعده بالكتابة كذلك - كما حفظ القرآن بالكتابة فيفيد العلم بنفسه، ويكون أصلا صحيحا معتمدا بين المسلمين - بعد كتاب الله المبين. ولكن المعروف أن ما لابن عمرو من الحديث في كتب السنة قد جاء من طريق الرواية لا من سبيل الكتابة، وكل

ما علم عما كتبه أنه (صحيفة) كان يسميها الصادقة، وقد ذكروا أنها كانت تحمل أدعية منسوبة إلى النبي يقولها المرء إذا أصبح وإذا أمسى. ويبدو أن هذه الصحيفة لم تكن عند المحققين ذات قيمة ولا تساوى شيئا. فقد جاء في كتاب تأويل مختلف الحديث (٢) وكتاب المعارف (٣) وكلاهما لابن قتيبة ما يلى:

---

(١) عن خيثمة بن عبد الرحمن، قلت لابي هريرة: حدثنى ! فقال: تسألني وبينكم علماء، أصحاب محمد والمجار من الشيطان - عمار بن ياسر، وعمار قتل بوقعة صفين سنة ٣٧ ه ويتبين من هذا الحديث أن أبا هريرة كان إلى هذا التاريخ يخشى أن يحدث الناس عن رسول الله صلوات الله عليه. (٢) ص ٩٣. (٣) ص ٢٠٠ ويراجع ترجمة مغيرة بعد صفحات من هذا الكتاب. (*)

---



وقال مغيرة: كانت لعبد الله بن عمرو صحيفة (١) تسمى الصادقة، ما تسرني أنها لى بفلسين ! ! والفلس تساوى قيمته في التعامل بالعراق جزءا من ألف من الدينار، أي يقدر بمليم عندنا بمصر. كيف سوغ أبو هريرة لنفسه أن يروى ما يشاء ! لما رأى أبو هريرة أن غيره من الصحابة وغيرهم قد يلاحظون عليه كثرة الرواية عن النبي، وأنه سيأتي منها بما لم يستطع أحد منهم أن يأتي بمثله أو ببعضه، هدته الحيلة إلى أن يروى حديثا رفعه إلى النبي لكى يسوغ به كل ما يرويه، حتى لا يكون لاحد من الصحابة أو من غيرهم أي مغمز عليه، ولكنهم برغم ذلك اتهموه وأنكروا عليه، ولم يصدقوه، كما ستراه فيما بعد. فقد أخرج الطحاوي عنه (أي عن أبى هريرة): إذا حدثتم عنى حديثا تعرفونه ولا تنكرونه، فصدقوا به، قلته أم لم أقله - فإنى أقول ما يعرف ولا

---

(١) في مسند أحمد عن أبى راشد الحبرانى قال: أتيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت له: حدثنا ما سمعت من رسول الله، فألقى بين يدى صحيفة، فقال: هذا ما كتب لى رسول الله صلى الله عليه وآله فنظرت فيها، فإذا فيها أن أبا بكر الصديق قال: يا رسول الله علمني ما أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت فقال له رسول الله: يا أبا بكر قل: اللهم فاطر السموات والارض، عالم الغيب والشهادة، لا إله إلا أنت، رب كل شئ ومليكه. أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه، وأن أقترف على نفسي سوءا وأجره إلى مسلم. الحديث رقم ٦٨٥١ ص ٨٤ ج ١١ مسند أحمد شرح الشيخ أحمد شاكر. وقال مجاهد رأيت عند عبد الله بن عمرو صحيفة فسألته عنها فقال: هذه الصادقة فيها ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله ليس بينى وبينه فيها أحد. ص ١٨٩ ج ٧ طبقات ابن سعد. وروى المقريزى عن حيوة بن شريح قال: دخلت على حسين بن شفى بن مانع الاصبحي وهو يقول: فعل الله بفلان ! فقلت ما له ؟ فقال عمد إلى كتابين كان شفى سمعهما من عبد الله بن عمرو بن العاص أحدهما: قضى رسول الله في كذا وقال رسول الله كذا، والآخر ما يكون من الاحداث إلى يوم القيامة فرمى بهما بين الخولة والرباب، ص ٣٣٣ ج ٢، خطط المقريزى. والخولة والرباب مركبين كبيرين من سفن الجسر كانا يكونان عند رأس الجسر مما يلى الفسطاط تجوز من تحتهما المراكب لكبرهما. (*)

---



ينكر، وإذا حدثتم عنى حديثا تنكرونه، ولا تعرفونه، فكذبوا به، فإنى لا أقول ما ينكر ولا يعرف (١). قال الشارح: وذكره في راموز الحديث عن الحكيم. والله يعلم إذا كان النبي قد قال هذا الحديث أو أنه قد جاء من (كيس) أبى هريرة، وكيف يقول النبي ذلك وقد ثبت عنه أنه قال: من يقل على ما لم أقله فليتبوأ مقعده من النار. وكيس أبى هريرة هذا ستعلم نبأه فيما بعد. وقد أعرضنا عن أحاديث أخرى رويت في هذا المعنى. ما رواه كبار الصحابة: علمت مما تقدم أن أبا هريرة روى

عن رسول الله ٥٣٧٤ حديثا روى البخاري منها ٤٤٦ على حين أنه لم يصاحب النبي إلا عاما وبضعة أشهر - وبقى أن تعرف مقدار ما رواه الذين سبقوه بالايمان. وكانوا أدنى منه إلى رسول الله، وأعلم بالدين، وأبعد في الفضل والجهاد من المهاجرين والانصار وغيرهم ممن قضوا مع الرسول السنين الطوال - لتعرف كم روى كبارهم من أحاديث رسول الله. ما رواه أبو بكر: فهذا أبو بكر أول الرجال إسلاما بعد على، وشيخ الصحابة جميعا، وقضى مع النبي مدة البعثة كلها ! ترى كم من حديث رواه ؟ قال النووي في تهذيبه: روى الصديق عن النبي ١٤٢ حديثا أورد منها السيوطي في تاريخ الخلفاء ١٠٤ - وله في البخاري ٢٢ حديثا، وفى مسلم حديث، وستة في الترمذي، وحديث في أبى داود - ولعلك لا تنسى أنه كان نسابة العرب يحفظ أنساب القبائل كلها، فلو كان قد عنى برواية الحديث وقد ظل مع النبي ٢٣ سنة لجاءتنا عنه ثروة عظيمة. ما رواه عمر: أسلم سنة ست فأقام مع النبي بمكة سبع سنين وبالمدينة عشرا وظل بعد ذلك إلى ٢٣ سنة - ومن قوله: كنت وجارا لى من الانصار نتناوب النزول على

---

(١) ص ٢٣ ج ٤ من المومقات للشاطى. (*)

---



رسول الله، ينزل يوما، وأنزل يوما، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحى وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك (١) أسندوا له ٥٣٧ ولكن لم يصح منها إلا نحو خمسين حديثا كما أثبت ذلك ابن حزم (٢). ما رواه على: أول من أسلم وتربى في حجر النبي، وعاش تحت كنفه قبل البعثة، واشتد ساعده في حضنه، وظل معه إلى أن انتقل إلى الرفيق الاعلى، لم يفارقه لا في سفر ولا في حضر - وهو ابن عمه وزوج ابنته فاطمة الزهراء، شهد المشاهد كلها سوى تبوك فقد استخلفه النبي فيها على المدينة فقال: يا رسول الله أتخلفني في النساء والصبيان ؟ فقال له رسول الله: أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه لا نبى بعدى. رواه الشيخان وابن سعد (٣). ولو كان على رضى الله عنه قد حفظ كل يوم عن النبي - وهو الفطن اللبيب الذكى الحافظ، ربيب النبي - (حديثا واحدا) وقد قضى معه رشيدا أكثر من ثلث قرن، لبلغ ما كان يجب أن يرويه أكثر من ١٢ ألف حديث. هذا إذا روى حديثا واحدا في كل يوم، فما بالك لو كان قد روى كل ما سمعه - وكان له الحق في روايته، ولا يستطيع أحد أن يمارى فيه - ولا تنس أنه مع ذلك كله كان يقرأ ويكتب، وكان يحفظ القرآن. هذا الامام الذى لا يكاد يضارعه أحد من الصحابة جميعا في العلم والفضل - قد أسندوا له كما روى السيوطي ٥٨٦ حديثا، وقال ابن حزم لم يصح منها إلا خمسون حديثا. ولم يرو البخاري ومسلم منها إلا نحوا من عشرين حديثا (٤).

---

(١) ص ١٥٠ ج ١ فتح الباري. (٢) ص ١٣٨ ج ٤ في الملل والنحل لابن حزم. (٣) ص ١٥ ج ٢ من الطبقات. (٤) هذا ما في البخاري ومسلم ولا نعلم شيئا عن مقدار أحاديثه التى روتها الشيعة عنه " ولكل قوم سنة وإمامها ". (*)

---



ما رواه عثمان: أما عثمان فقد روى البخاري له تسعة أحاديث، ومسلم خمسة ومسنده يحتوى على ١٤٦ حديثا. الزبير بن العوام:

حوارى رسول الله وابن عمته، واحد العشرة الذين قيل إن النبي بشرهم بالجنة وأحد أهل الشورى - له في البخاري تسعة أحاديث وفى مسلم حديث. توفى سنة ٣٦ هـ. عبد الرحمن بن عوف: أحد العشرة وأحد الستة أهل الشورى سمع منه عمر فقال له: أنت العدل الرضا - وصدقه ولم يصدق أبا موسى الاشعري في حديث الاستئذان (١) وقال له: ائت بمن يشهد معك ! له في البخاري تسعة أحاديث. أبي بن كعب: أبى بن كعب سيد القراء قال فيه النبي (أقرأ أمتى أبى)، ولما سأله النبي عن أي آية في القرآن أعظم قال: (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) ضرب النبي في صدره وقال: ليهنك العلم أبا المنذر. ولما اختلف هو وعمر في قراءة آية من القرآن قال لعمر: والله يا عمر إنك تعلم أنى كنت أحضر ويغيبون، وأدنى ويحجبون ويصنع بي ويصنع بي، والله لئن أحببت لالزمن بيتى ولا أحدث شيئا ولا أقرئ أحدا حتى أموت. فقال عمر: اللهم غفرانا ! إنا لنعلم أن الله قد جعل عندك علما، فعلم الناس ما علمت. وكان أبى صاحب عبادة فلما احتاج الناس إليه ترك العبادة وجلس للقوم.

---

(١) استأذن أبو موسى على عمر ثلاث مرات ثم رجع فقال له عمر: لم رجعت فقال: إن النبي قال: إذا استأذن أحدكم ثلاثا ولم يؤذن له فليرجع، فلم يصدقه عمر وقال له: إن لم تأت بمن يشهد معك على هذا الحديث فسأوجع ظهرك. فأتى له بمن سمع من النبي هذا الحديث. (*)

---



وكان عمر يجله ويتأدب معه ويتحاكم إليه. مات سنة ٢٢ بالمدينة وقيل سنة ٣٠، له في الكتب الستة نيف وستون حديثا منها في البخاري ومسلم ٣ أحاديث وانفرد البخاري بثلاثة ومسلم بسبعة (١). زيد بن ثابت: الانصاري صحب النبي منذ صباه، وكان من كتاب الوحى، ولما جاءت الكتب إلى النبي بالسريانية أمره أن يتعلمها، وكتب لابي بكر وعمر، وهو الذى تولى كتابة المصحف في عهد أبى بكر وفى عهد عثمان كما رووا، وأحد من جمعوا القرآن على عهد النبي وكان من أصحاب الفتوى، وبلغ من عظم القدر أن كان ابن عباس يمسك بركابه حين يركب، له في كتب السنة ٩٢ حديثا اتفق الشيخان على خمسة وانفرد البخاري بثمانية. ما رواه سلمان الفارسى: صحب النبي وخدمه وحدث عنه، روى عنه ابن عباس وأنس بن مالك وغيرهم - وكان لبيبا حازما من عقلاء الرجال وعبادهم ونبلائهم. وعن ابن عباس وابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله، في قوله تعالى: " إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين.. " (الآية ٦٢ من سورة البقرة) نزلت في أصحاب سلمان (٢). ولما خط النبي الخندق عام الاحزاب، احتج المهاجرون والانصار في سلمان الفارسى وكان رجلا قويا وقال المهاجرون: سلمان منا، وقال الانصار: سلمان منا، فقال النبي: سلمان منا أهل البيت. ولما تلا النبي صلى الله عليه وآله هذه الآية " وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم " (٣٧ من سورة محمد) قالوا: يارسول الله من هؤلاء ؟ فضرب النبي على فخذ سلمان الفارسى

---

(١) عن سير أعلام النبلاء من صفحة ٢٨٠ - ٢٨٨ ج ١. (٢) راجع صفحة ١٠٣ ج ١ تفسير ابن كثير. (*)

---

ثم قال: هذا وقومه، ولو كان الدين عند الثريا لناله رجال من الفرس. وسئل عن سلمان فقال: من لكم بمثل لقمان الحكيم، امرؤ ذاك منا وإلينا أهل البيت أدرك العلم الاول والآخر بحر لا ينزف. له في مسند بقى ستون حديثا وأخرج له البخاري أربعة أحاديث ومسلم خمسة توفى بالمدائن سنة ٣٦ ه )١) وقيل سنة ٣٥ في خلافة عثمان. وروى ابن سعد في الطبقات أن النبي قال: إنه منا وإلينا أهل البيت أدرك العلم الاول والعلم الآخر بحر لا ينزف (٢) وقال: إنه يبعث أمة وحده، لقد أشبع من العلم (٣). قالت عائشة: كان لسلمان مجلس من رسول الله ينفرد به في الليل حتى كاد يغلبنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم. أسلم بين أحد والخندق وكانت أحد سنة ٣ ه والخندق سنة ٥ ه وشهد الخندق ولم يتخلف عن غزاة من غزوات رسول الله. وذكروا في تاريخه أنه تنقل في أديان مختلفة فكان مجوسيا، ثم كان نصرانيا ثم كان مملوكا ليهودي من بنى قريظة ثم أسلم. طلحة بن عبيدالله: كان ممن سبق إلى الاسلام وهو أحد العشرة وأحد الستة أهل الشورى، له في مسند بقى بن مخلد ٣٨ بالمكرر، وروى البخاري له ٤ أحاديث، قتل سنة ٣٦ ه معاذ بن جبل: الانصاري الخزرجي البدرى شهد العقبة قال النبي صلى الله عليه وآله خذوا القرآن من أربعة: ابن مسعود، وأبى، ومعاذ، وسالم مولى حذيفة - وقال فيه النبي صلى الله عليه وآله

---

(١ و ٢ و ٣) انظر ترجمة سلمان الفارسى في الاستيعاب لحافظ المغرب ابن عبد البر ص ٥٧٢ ج ٢ وص ٣٦٢ ج ١ سير أعلام النبلاء للذهبي. وص ٢٧١ و ٤٨٧ و ٤٨٨ من أنساب الاشراف ج ١. (*)

---



كذلك، هو أعلم الناس بحرام الدين وحلاله، وكان من الذين يفتون على عهد رسول الله ومن الذين بستشيرهم عمر، ومن قوله: ما عمل آدمى عملا أنجى له من عذاب الله - من ذكر الله، وأخذ ذلك من قوله تعالى: " ولذكر الله أكبر " (آية ٤٥ من سورة العنكبوت). له في البخاري ستة أحاديث. أصحاب كبار لم يرووا عن النبي شيئا: ثبت أن كثيرا من كبار الصحابة لم يرووا عن النبي شيئا، منهم سعيد بن زيد بن نفيل أحد العشرة (١) - وأبى بن عمارة المدنى، قال المزى له حديث واحد في المسح على الخفين. ملاحظة دقيقة لمن يفهم: للعلامة الكبير السيد عبد الحسين شرف الدين كلمة قيمة علق بها على (كمية حديث أبى هريرة) التى بلغت في كتب السنة ٥٣٧٤ كما بينا، وقارن فيها بين هذه (الكمية الهائلة) وبين ما روى عن الخلفاء الاربعة وخرج من هذه المقارنة بأن نسبة ما رووه عنهم جميعا صحيحا وغير صحيح - وبين ما رواه هو وحده هي ٢٧ %، وإنا نقتطف من هذه الكلمة السطور الآتية لنضعها في مكانها من كتابنا هذا قال رحمه الله وأثابه: فلينظر ناظر بعقله في أبى هريرة وتأخره في إسلامه، وخموله في حسبه وأميته، وما إلى ذلك مما يوجب إقلاله، ثم لينظر إلى الخلفاء الاربعة وسبقهم واختصاصهم وحضورهم في تشريع الاحكام، وحسن بلائهم في اثنتين وخمسين سنة، ثلاث وعشرين كانت بخدمة رسول الله وتسع وعشرون من بعده، ساسوا فيها الامة وسادوا الامم، وفتح الله لهم ملك كسرى وقيصر، فمدنوا المدن، ومصروا الامصار، ونشروا دعوة الاسلام، وصدعوا بأحكامه، وأذاعوا السنن، ينحدر عنهم السيل، ولا يرقى إليهم الطير ! فكيف يمكن والحال هذه أن يكون المأثور عن أبى هريرة وحده أضعاف المأثور عنهم جميعا ! أفتونا يا أولى الالباب ؟ (٢)

---

(١) ص ٤٩ تأويل مختلف الحديث. (٢) ص ٤٤ و ٥٤ من كتاب (أبو هريرة). (*)

اتهام الصحابة لابي هريرة كان من أثر إفراط أبى هريرة في التحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله مما لم يقع مثله لاحد حتى لمن طالت صحبتهم. وكانوا أدنى إلى النبي صلى الله عليه وآله منه كالسابقين والمهاجرين والانصار، وبخاصة على الذى تربى في حجر النبي وعاشره وناصره إلى أن توفى، على حين أن أبا هريرة لم يصاحب النبي إلا عاما وبعض عام ! كان من أثر ذلك أن اتهموه وأنكروا عليه وأخذوا ينتقدونه بل يكذبونه ! أكذبه عمر وعثمان وعلى وعائشة وغيرهم: مما لا خلاف فيه أن أبا هريرة قد ناله من طعن الصحابة ومن بعدهم ما لم ينل مثله ولا بعضه صحابي آخر. وقد ثبت أن عمر وعليا وعثمان وعائشة وغيرهم من كبار الصحابة قد كذبوه في وجهه، وبلغ من أمر عمر معه أن نهاه عن الرواية ثم ضربه عليها، وبعد ذلك أنذره إذا هو روى أن ينفيه إلى بلاده، وقد بينا ذلك كله في موضعه من هذا الكتاب. وقد قال ابن قتيبة في كتابه (تأويل مختلف الحديث) (١): لما أتى أبو هريرة عنه صلى الله عليه وآله ما لم يأت بمثله من صحبه من جلة الصحابة والسابقين الاولين إليه، اتهموه وأنكروا عليه وقالوا كيف سمعت هذا وحدك ومن سمعه معك ؟ وكانت عائشة رضى الله عنها أشدهم إنكارا عليه لتطاول الايام بها وبه. وقالوا (٢): ومن عجيب شأنهم (أي رجال الحديث) أنهم ينسبون الشيخ إلى الكذب ولا يكتبون عنه ما يوافقه عليه المحدثون بقدح يحيى بن معين وعلى ابن المدينى وأشباههما، ويحتجون بحديث أبى هريرة فيما لا يوافق على أحد من الصحابة وقد أكذبه عمر وعثمان وعائشة.

(١) ص ٤٨. (٢) ابن قتيبة ص ١٠ و ١١ من نفس المصدر. (*)



وقد كان أبو هريرة يسوغ كثرة رواياته بأنه كان يلزم النبي صلى الله عليه وآله وحده ! أما المهاجرون فكان يشغلهم الصفق في الاسواق، وكان الانصار يشغلهم عمل أموالهم ! وقد فند هذا الزعم الباطل ودحضه العلامة عبد الحسين شرف الدين بأدلة قاطعة وترى كلامه في ذلك فيما زعم أبو هريرة في أمر (بسط الثوب) فيما سيقابلك من هذا الكتاب. وقال ابن قتيبة كتاب تأويل مختلف الحديث: وروى حديثا في المشى في الخلف الواحد فبلغ عائشة فمشت في خف واحد وقالت: لاخالفن أبا هريرة. وروى أن الكلب والمرأة والحمار تقطع الصلاة فقالت عائشة رضى الله عنها: ربما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يصلى وسط السرير وأنا على السرير معترضة بينه وبين القبلة. قال: وبلغ عليا أن أبا هريرة يبتدئ بميامنه في الوضوء وفى اللباس فدعا بماء فتوضأ فبدأ بمياسره وقال: لاخالفن أبا هريرة (١). كان أبو هريرة يقول: حدثنى خليلي ! وقال خليلي ! وكان من قول أبى هريرة: حدثنى خليلي ! وقال خليلي ! ورأيت خليلي ! فلما سمع على أبا هريرة يقول: قال خليلي وسمعت خليلي، وقال له: متى كان خليلك يا أبا هريرة ؟

(١) انظر كيف كانت عائشة وعلى يتحديانه ويعارضانه فيما يروى لكى يثبتا كذبه ! (٢) ص ٥١ من كتاب تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة، وبينما أبو هريرة يتبجح بهذا الادعاء، ولا يستطيع أحد أن يرد عليه لانه صحابي ! وكل ما أتى من الصحابة لا يصح لانسان أن يشك فيه، إذ بالبخارى يروى عن ابن عباس أن النبي قال: لو كنت متخذا

خليلا لاتخذت أبا بكر ولكن أخى وصاحبى. وعن ابن أيوب: لو كنت متخذا خليلا لاتخذته ولكن أخوة الاسلام أفضل، وروى مسلم عن جندب أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله يقول قبل أن يموت بخمس: إنى أبرأ إلى الله أن يكون لى منكم خليل - ص ١٤ ج ٧ فتح الباري. وقال ابن حجر في الشرح: تواترت هذه الاحاديث على نفى الخلة من النبي صلى الله عليه وآله لاحد من الناس، فإذا كان شيخ الصحابة لم يبلغ أن يكون خليلا للنبى صلى الله عليه وآله فكيف بمثل أبى هريرة أن ينال هذه الدرجة الرفيعة ؟ اللهم لا اعتراض ! (*)

---



وقد روى من أصبح جنبا فلا صيام له (١) فأرسل مروان في ذلك إلى عائشة وحفصة يسألهما فقالتا: كان النبي صلى الله عليه وآله يصبح جنبا من غير احتلام ثم يصوم، فقال للرسول: اذهب إلى أبى هريرة حتى تعلمه ! فقال أبو هريرة: إنما حدثنى بذلك الفضل بن العباس فاستشهد ميتا وأوهم الناس أنه سمع الحديث من رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يسمعه (٢). أبو هريرة أكذب الناس هكذا يقول على رضى الله عنه: وكان على رضى الله عنه سئ الرأى فيه، فقد روى عنه أنه قال: ألا إن أكذب الناس - أو قال: أكذب الاحياء على رسول الله صلى الله عليه وآله - لابو هريرة الدوسى (٣) وقال مرة: لاأحد أكذب من هذا الدوسى على رسول الله ! أبو هريرة يشهد بأن عائشة أعلم منه وأفقه: كان من إنكار عائشة على أبى هريرة الذى ذكره ابن قتيبة آنفا أنها قالت له يوما: إنك لتحدث حديثا ما سمعته من النبي صلى الله عليه وآله، أجابها بجواب لا أدب فيه ولا وقار ! فقال لها - كما روى البخاري وابن سعد وابن كثير وغيرهم: شغلك عنه صلى الله عليه وآله المرآة والمكحلة - وفى رواية: ما كانت تشغلني عنه المكحلة والخضاب، ولكني أرى ذلك شغلك. ورواية الذهبي أن عائشة قالت له: أكثرت يا أبا هريرة على رسول الله، فكان جوابه: ما كانت تشغلني عنه المرآة ولا المكحلة، ولا المدهن (٤). ولقد كان لام المؤمنين أن ترد عليه قلة أدبه فتجبهه بقولها: إنما أنت الذى شغلك بطنك، وألهاك نهمك عن رسول الله، حتى كنت تعدو وراء الناس في الطرقات تلتمس منهم أن يطعموك من جوعك، فينفرون منك ويهربون، ثم ينتهى بك الامر إلى أن تصرع مغشيا عليك من الجوع أمام حجرتي، فيحسب الناس أنك مجنون فيطأون عنقك بأرجلهم (٥).

---

سيأتي تفصيل الكلام في هذا الحديث. (٢) ص ٢٨ من كتاب تأويل مختلف الحديث. (٣) ص ٣٦٠ ج ١ شرح نهج البلاغة. (٤) ص ٤٣٥ ج ٢ سير أعلام للذهبي. (٥) راجع أخبار ذلك في محله من هذا الكتاب. (*)

---



وما كان أبو هريرة ليستطيع أن يفتح فاه بكلمة من هذه العبارات النابية التى يخاطب بها عائشة أم المؤمنين، لولا أنه كان حينئذ تحت ظل الحماية الاموية والدولة كلها تؤيده. على أنه قد ندم بعد ذلك على ما فرط منه في حق السيدة عائشة فانقلب يعمل على إرضائها، والتقرب إليها، لانه لا يقوى على إغضابها وبخاصة في عهد بنى أمية أو يستهدف بذلك لغضب الدولة كلها. ذلك أنه ما كاد يسمع نبأ حديث نزول جبريل بصورة عائشة في سرقة من حرير وقال له: هذه امرأتك. وفى رواية للترمذي " في خرقة من حرير خضراء " (١) حتى أسرع أبو هريرة فتبرع بحديث من كيسه يقول فيه: " إن طول تلك الخرقة ذراعان وعرضها شبر ". ولا ندرى كيف عرف ذلك لكى يروية وخبر هذه السرقة قد مضى عليه قبل إسلامه حوالى عشر سنين ! ولعله قد جعل هذا الحديث نقطا (٢) من عنده

للسيدة عائشة ولو جاء هذا النقط بعد سنين طويلة ! قصة حديث من أصبح جنبا: على أنه لم يلبث أن عاد فاضطر إلى أن يشهد بأنها أعلم منه وأفقه، وأحفظ، وأن المرآة والمكحلة لم يشغلاها عن النبي صلى الله عليه وآله وإنما هو الذى شغله بطنه. ذلك أنه لما روى حديث " من أصبح جنبا فلا صوم له " أنكرت عليه عائشة هذا الحديث وقالت: " إن رسول الله كان يدركه الفجر وهو جنب من غير احتلام، فيغتسل ويصوم " وبعثت إليه أن لا يحدث بهذا الحديث عن رسول الله، فلم يسعه إزاء ذلك الانذار الصارخ إلا الاذعان والاستخذاء، وقال:

---

(١) ذكر ذلك الخطيب البغدادي في تاريخه من رواية أبى هريرة ونقله عنه الزركشي في كتابه (الاجابة لما استدركته عائشة على الصحابة). (٢) نقط العروس قدم لها مالا أو هدية عند زفافها وهو لفظ مولد - وأبو هريرة لم تكن هداياه مالا وإنما كانت أحاديث يرويها ويعزوها إلى النبي صلى الله عليه وآله وهو سخى في ذلك. (*)

---



إنها أعلم منى وأنا لم أسمعه من النبي، وإنما سمعته من الفضل بن العباس، وكان الفضل قد مات حينئذ. وقد قال ابن قتيبة في ذلك " إنه استشهد ميتا، وأوهم الناس أنه سمع الحديث من رسول الله ولم يسمعه (١)، والفضل بن العباس استشهد في طاعون عمواس سنة ١٨ في عهد عمر. وقول أبى هريرة: إنه سمعه من الفضل بن العباس اعتراف صريح منه بأنه كان يسند إلى النبي من القول ما لم يسمعه منه - وهذا هو الارسال والتدليس بعينه - كما تبين لك ذلك من قبل. هذا إذا كان صادقا في أنه سمعه من الفضل بن العباس ! ولهذا الحديث قصة طريفة لا بأس من إيرادها هنا: في كتاب اختلاف الحديث للشافعي، أن أبا بكر بن عبد الرحمن (٢) قال: كنت أنا وأبى عند مروان بن الحكم - وهو أمير المدينة من قبل معاوية، فذكر له أن أبا هريرة يقول: " من أصبح جنبا أفطر ذلك اليوم ". فقال مروان: أقسمت عليك يا أبا عبد الرحمن لتذهبن إلى أمي المؤمنين عائشة وأم سلمة فتسألهما عن ذلك. أما عائشة فقد قالت: ليس كما قال أبو هريرة، يا عبد الرحمن، أترغب عما كان رسول الله يفعله ؟ فقال عبد الرحمن: لا والله، قالت عائشة: فأشهد على رسول الله أنه كان ليصبح جنبا من جماع غير احتلام، ثم يصوم ذلك اليوم. ثم دخلا على أم سلمة (رضى الله عنها) فسألاها عن ذلك فقالت مثل ما قالت عائشة، ثم جئنا مروان، فقال له عبد الرحمن: ما قالتا، فقال مروان: أقسمت عليك يا أبا محمد لتركبن دابتي فلتأتين أبا هريرة فتخبره بذلك، قال: فركب عبد الرحمن وركبت معه حتى أتينا (أبا هريرة) فتحدث معه عبد الرحمن ساعة. ثم ذكر له ذلك فقال أبو هريرة: لا علم لى بذلك وإنما أخبرنيه مخبر (٣).

---

(١) ص ٣٨ من كتاب تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة. (٢) هو أبو بكر بن عبد الرحمن أحد الفقهاء السبعة وأبوه عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومى - وهذا الحديث في موطأ مالك. وفى البخاري ومسلم. (٣) ص ٢٣٣، ٢٣٤ من هامش الجزء السابع من كتاب الام للشافعي رواية الربيع. (*)

---



وروى البخاري في باب " الصائم يصبح جنبا " (١) عن أبى بكر قال: كنت أنا وأبى حين دخلنا على عائشة وأم سلمة وإن أباه عبد الرحمن أخبر مروان: أن عائشة وأم سلمة أخبرتاه أن رسول الله

صلى الله عليه وآله كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم. وقال مروان لعبد الرحمن بن الحارث أقسم بالله لتفزعن بها أبا هريرة (٢)، ومروان يومئذ على المدينة - فقال أبو بكر: فكره ذلك عبد الرحمن ثم قدر لنا أن نجتمع (بذى الحليفة) (٣) وكانت لابي هريرة هنالك أرض، فقال عبد الرحمن لابي هريرة: إنى ذاكر لك أمرا، ولولا مروان أقسم على فيه لم أذكره لك، فذكر قول عائشة وأم سلمة ! فقال كذلك حدثنى الفضل بن العباس وهو أعلم. وفى رواية النسائي: أن مروان قال لعبد الرحمن: ألق أبا هريرة فحدثه بهذا فقال: إنه لجارى، وإنى لاكره أن أستقبله بما يكره، فقال: أعزم عليك لتلقينه (٤). وفى رواية معمر عن ابن شهاب: أن أبا هريرة، لما ذكر له عبد الرحمن قول عائشة " تلون وجهه "، ولاحمد (بن حنبل) من طريق عبد الله بن عمرو القارى سمعت أبا هريرة يقول: ورب هذا البيت، ما أنا قلت: من أدرك الصبح وهو جنب فلا يصم، محمد ورب الكعبة قاله (٥). ورواية مالك في الموطأ: فقال مروان لعبد الرحمن: أقسمت عليك لتركبن دابتي فإنها بالباب فلتذهبن فإنه (بأرض العقيق) فلتخبرنه. وقال ابن حجر في شرح هذا الخبر: " ولا تخالف بين رواية البخاري

---

(١) ارجع إلى الجزء الرابع من فتح الباري ص ١١٥ وما بعدها تجد القصة هناك كاملة مفصلة. (٢) في رواية لتقرعن. (٣) يبدو أن مروان كان يشك كغيره في روايات أبى هريرة رغم أن أبا هريرة كان من صنائع بنى أمية ومؤيديهم. ولو أنه كان يثق به لما أخذ يبحث عن حقيقة ما رواه. (٤) قال النووي في شرح مسلم كان أبو هريرة ينزل بالمدينة بذى الحليفة وله بها دار. (٥) جاء هذا الحديث في مسند أحمد في الجزء الثاني ونصه فيه - لا ورب هذا البيت، ما أنا قلت: من أصبح جنبا فلا يصوم ! محمد ورب الكعبة قاله. وقد نقل هذا الخبر ابن حجر في الصفحة ١١٨ من الجزء الرابع من فتح الباري. (*)



" بذى الحليفة " وبين مالك " بأرضه بالعقيق " لاحتمال أن يكونا قصداه إلى العقيق، فلم يجداه، ثم وجداه " بذى الحليفة " وكان له أيضا بها أرض (١). وفى رواية أنه قال: أخبرني بذلك أسامة بن زيد أخرجه النسائي. وعن أبى حسان الاعرج - تلميذ أبى هريرة - أن رجلين دخلا على عائشة فقالا: إن أبا هريرة يحدث عن رسول الله أنه قال " إنما الطيرة في المرأة والدار والدابة " فطارت شفقا ثم قالت: كذب والذى أنزل القرآن على أبى القاسم (٢) من حدث بهذا عن رسول الله ! إنما قال رسول الله: كان أهل الجاهلية يقولون: إن الطيرة في الدابة والمرأة والدار، ثم قرأت: " ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم " الآية (٣). وعن طاوس قال: كنت جالسا عند ابن عمر فأتاه رجل فقال: إن أبا هريرة يقول: " إن الوتر ليس بحتم، فخذوا منه ودعوا " فقال ابن عمر: كذب أبو هريرة (٤). وبينما يروى هذا الحديث إذ به يرجع فيناقض نفسه ويروى هذا الحديث: إن رسول الله قال: من لم يوتر فلا صلاة له، فبلغ ذلك عائشة فقالت: من سمع هذا من أبى القاسم ؟ ما بعد العهد وما فنينا ! إنما قال أبو القاسم: من جاء بصلوات الخمس يوم القيامة حافظ على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها لم ينتقص منه شئ، كان له عند الله عهد ألا يعذبه، ومن جاء وقد أنقص منهن شيئا فليس له عهد عند الله إن شاء رحمه وإن شاء عذبه. رواه الطبراني في الاوسط عن أبى سلمة. وأنكر عليه ابن مسعود قوله: من غسل ميتا ومن حمله فليتوضأ، وقال

---

(١) ص ١١٧ ج ٤ من فتح الباري ومعنى ذلك أن أبا هريرة كان له بذى الحليفة أرض وبالعقيق أرض أخرى وقصر، فمن أين له هذا الملك العريض وقد كان على ما نعلم ! لا

ريب في أن لرواية الحديث سرا عظيما يمكن أصحاب الرواية في كل عصر - حتى في عصرنا هذا - من أن يعتقدوا به الاموال ويقيموا القصور. (٢) أبو القاسم - هو رسول الله صلى الله عليه وسلم. (٣) ص ١٢٦ و ١٢٧ من مختلف تأويل الحديث ورواه البخاري ص ٦١ ج ٧ فتح الباري. (٤) ص ١٥٤ ج ٢ جامع بيان العلم وفضله لحافظ المغرب ابن عبد البر. (*)



فيه قولا شديدا ثم قال: أيها الناس لا تنجسوا موتاكم (١). ولما سمع الزبير (ابن العوام) أحاديثه، قال: صدق ! كذب ! (٢). ولما روى حديث إذا صلى أحدكم ركعتي الفجر، فليضطجع على يمينه ! قال له مروان: أما يكفى أحدناه ممشاه إلى المسجد حتى يضطجع ؟ فبلغ ذلك ابن عمر فقال: أكثر أبو هريرة ! وكان له أن يقول: كذب أبو هريرة ! وروت عائشة حديثه: لا يدخل الجنة ولد الزنا، فقالت: ليس عليه من وزر أبويه شئ، وقرأت ولا تزر وازرة وزر أخرى. وأنكر عليه ابن عباس ما رواه عن النبي من أن من حمل جنازة فليتوضأ وقال: لا يلزمنا الوضوء من حمل عيدان يابسة (٣). وعن الشعبى: حدث أبو هريرة فرد عليه سعد (بن أبى وقاص) حديثه فوقع بينهما كلام حتى ارتجت الابواب (٤). حديث الشعر: ولما روى أن رسول الله قال: " لان يمتلئ جوف أحدكم قيحا يريه خير من أن يمتلئ شعرا (٥) "، قالت عائشة: لم يحفظ إنما قال رسول الله: " لان يمتلئ جوف أحدكم قيئا ودما خير من أن يمتلئ شعرا هجيت به " (٦). وقد اتخذ الذين لا يعلمون قول أبى هريرة هذا حجة على أن النبي كان يكره الشعر، وفشا ذلك بين المسلمين، على حين أنا نجده صلى الله عليه وآله كان يصغى إلى الشعر، ويمدحه، ويثنى عليه، فقد روى أبى بن كعب أن رسول

(١) ص ٨٥ ج ٢ من نفس المصدر. (٢) ص ١٠٩ ج ٨ البداية والنهاية لابن كثير. (٣) ص ٢٩٥ فجر الاسلام. (٤) ص ٤٣٥ ج ٢ سير أعلام النبلاء. (٥) رواه البخاري. (٦) يؤيد ذلك ما ذكره السهيلي في غزوة ودان عن جامع ابن وهب أنه روى فيه أن عائشة تأولت هذا الحديث على ما هجا به النبي صلى الله عليه وآله وأنكرت على من حمله على العموم في جميع الشعر ص ٤٥٣ ج ١٠ من فتح الباري. (*)



الله قال: " إن من الشعر حكمة "، وفى رواية لابي داود: " إن من البيان سحرا وان من العلم جهلا وإن من الشعر حكمة ". وفى رواية: " إن من الشعر حكما ". واستشهد صلى الله عليه وآله من شعر أمية بن أبى الصلت، وعن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: ردفت رسول الله يوما فقال: هل معك من شعر أمية ابن أبى الصلت شئ ؟ قلت: نعم، قال هيه، حتى أنشدته مئة بيت. رواه مسلم، ولما سمع بيت طرفة المشهور: ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود قال: إن معناه من كلام النبوة. وروى البخاري أن النبي صلى الله عليه وآله قال: أصدق كلمة قالها الشاعر حكمة لبيد: ألا كل شئ ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل وقد أجاز لحسان أن يهجو المشركين وقال له: إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله. رواه مسلم. ورواية البخاري: اهجهم أو هاجهم وجبريل معك، وفى القرآن عشرات من الابيات الشعرية وكثير جدا من الاشطار. فمن الرمل: وجفان كالجواب وقدور راسيات ومن الخفيف: من تزكى فإنما يتزكى لنفسه ومن الوافر: ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنينا ولا نستوفي كل ما جاء في القرآن من أبيات وأشطار حتى لا يطول بنا الطريق.

ونستطرد إلى كل ما هو خارج عن موضوعنا، ومن شاء أن يستزيد من معرفة ذلك فليرجع إلى مظانه (١) ولنعد إلى ما نحن بصدده.

---

(١) راجع فتح الباري من صفحة ٤٤٢ - ٤٤٧ ج ١٠. (*)

---



حديث لا عدوى ولا طيرة ولا هامة: روى الشيخان عن " أبى هريرة " أن النبي قال: لا عدوى ولا طيرة ولا هامة. وقد روى هذا الحديث بألفاظ مختلفة - ولكن الصحابة عملوا بما يخالفه. فقد روى البخاري عن أسامة بن زيد أن رسول الله قال: إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع وأنتم بها فلا تخرجوا منها. وقد جاء هذا الحديث كذلك عن عبد الرحمن بن عوف، ولما سمع عمر هذين الحديثين، وحديث " لا يوردن ممرض على مصح " - وهو مما رواه أبو هريرة (١) كذلك - وكان قد خرج إلى الشام (٢) ووجد الوباء، عاد بمن معه. وقد اضطر أبو هريرة أمام هذه الاخبار القوية إلى أن يرجع عما حدث، وأنكر روايته الاولى (لا عدوى). ولما أنكر عليه الحارث ابن أبى ذباب (ابن عم أبى هريرة) وقال له: كنت أسمعك يا أبا هريرة تحدثنا مع حديث (لا يورد..) حديث لا (عدوى) فأنكر معرفته لذلك، ووقع عند الاسماعيلي من رواية شعيب، فقال الحارث (ابن عم أبى هريرة) إنك حدثتنا ! فأنكر أبو هريرة وقال لم أحدثك ما تقول. ورواية مسلم: ألم تحدث أنه لا عدوى ؟ صمت ورطن بالحبشية (٣). كان أبو هريرة عندما يريد شيئا يضع له حديثا: روى ابن عمر أن رسول الله أمر بقتل الكلاب إلا كلب ماشية أو كلب صيد فقيل لابن عمر: إن أبا هريرة يقول: أو كلب زرع ! أي أنه زاد من عنده -

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن أبى هريرة ورواية مسلم: لا يورد. (٢) في ذهابه إلى الشام سنة ١٨ هـ. ولما وصل إلى سرع أخبر بأن الوباء قد وقع بالشام فرجع بالناس. (٣) ص ١٩٨ و ١٩٩ ج ١٠ فتح الباري وص ١٠٤ من جامع ابن وهب الذى نشره العهد العلمي الفرنسى بالقاهرة سنة ١٩١٩ م. (*)

---



أو كلب زرع، فقال ابن عمر: إن لابي هريرة زرعا (١) ! أي أن أبا هريرة قد جاء بهذه الزيادة لان له زرعا ! وهذا يدل أوضح الدلالة على أن أبا هريرة كان عندما يريد شيئا يضع له حديثا من (كيسه) ثم يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله.. ولا نستوعب هنا كل ما جاء عن الصحابة في تكذيب أبى هريرة فإنه كثير ويراجع في ذلك كتاب جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر وغيره. انتقاد ما بعد الصحابة على أبى هريرة وموقف التابعين منه: وإذا كنا لا نستطيع أن نستوفي كل ما صدر من مآخذ الصحابة على أبى هريرة وشكهم في رواياته، بل تكذيبها، لان كتابنا يضيق بذلك، فإن سياق البحث يدعونا إلى أن نعرف موقف التابعين من رواياته. إن موقف التابعين من أبى هريرة إنما يتمثل في إمام العراق إبراهيم النخعي وأصحابه وهم، كما عرف من تاريخهم ولخصناه لك في كلمات وجيزة، أئمة أجلاء تلقوا القرآن، وحفظوا الحديث عن أصحاب رسول الله، وأدوا هذه الامانة الثقيلة إلى من بعدهم على خير ما يؤديها الامناء الصادقون، فهم بذلك إذا تكلموا في أبى هريرة أو في غيره فإنما يتكلمون عن علم وخبرة، ويكون كلامهم حجة لا يمكن لاحد أن يدفعها أو يشك فيها. وشهادة النخعي خاصة في أبى هريرة تعد شهادة قاطعة لا

ريب فيها، ووصفه لرواياته يكون أدق وصف، ذلك بأنه ولد في سنة ٥٠ هـ، وذكروا في تاريخه أنه دخل في صباه على عائشة أم المؤمنين ورآها، وقد ماتت عائشة قبل أبى هريرة بعام، فبديهي أن يكون قد رأى أبا هريرة كذلك، ومهما يكن من شئ فإنه يعتبر ممن عاشوا في عصر أبى هريرة، ومن يكن شأنه كذلك فإنه يتاح له أن يعرف من أمر أبى هريرة ومروياته ما لم يعلم عنه غيره ممن لم يعاصره، فإذا هو حكم عليه حكما فإنما يكون حكما عدلا، وإذا قال في رواياته قولا فإنما يكون قولا فصلا.

---

(١) نص رواية أبى هريرة: من اتخذ كلبا إلا كلب ماشية أو صيد انتقص من أجره قيراط كل يوم. وهذا الحديث رواه مسلم في صحيحه. (*)

---



ولو أن أبا هريرة كان ثقة فيما يروى لكان النخعي عالم العراق الذى وصفوه (بأنه كان صيرفيا في الحديث) أول من يوثقه ويروى عنه ! ولكنه قال فيه كلماته المشهورة الصريحة التى عبر فيها عن نفسه وعن كبار الائمة من أصحابه، وإليك ما قاله مرويا عن هؤلاء الاصحاب. عن مغيرة (١) عن إبراهيم (٢): كان أصحابنا يدعون من حديث أبى هريرة وعن الاعمش (٣) عن إبراهيم قال: ما كانوا يأخذون بكل حديث أبى هريرة. وروى الثوري (٤) عن منصور (٥) عن إبراهيم قال: كانوا يرون في حديث

---

(١) مغيرة ابن مقسم: الفقيه الحافظ ولد أعمى وكان عجيبا في الذكاء حدث عن أبى وائل والشعبى وإبراهيم النخعي وكان راويته ومجاهد وعدة وأخذ عنه شعبة والثوري وغيرهم، قال عنه شعبة: كان أحفظ من حماد، وكان عثمانيا، توفى سنة ١٣٦ هـ )٢) إبراهيم النخعي الكوفى الفقيه روى عن خاله علقمة * ومسروق * * والاسود * * * وطائفة، رأى عائشة ودخل عليها وهو صبى أخذ عنه حماد بن سليمان الفقيه وسماك بن حرب وابن عون والاعمش ومنصور وخلق، وكان من العلماء ذوى الاخلاص، قال مغيرة: كنا نهاب إبراهيم كما يهاب الامير، وقال: كان إبراهيم صيرفيا في الحديث، وكان يتوقى الشهرة ولا يجلس إلى الاسطوانة وكان سعيد بن جبير يقول: تستفتونى وفيكم إبراهيم النخعي، وحمل عنه العلم وهو ابن ثمان عشرة سنة مات سنة ٩٦ هـ كهلا قبل الشيخوخة وولد سنة ٥٠ هـ )راجع تذكرة الحفاظ للذهبي ص ٦٩ ج ١ والمعارف لابن قتيبة ص ٢٠٤ ووفيات الاعيان ص ٣ ج ١) وقال أبو حنيفة: إبراهيم أفقه من سالم. وهو مولى أبى حذيفة آخى النبي بينه وبين أبى بكر وهو بدرى، وسالم هذا هو الذى قال عمر عندما أراد أن يستخلف: لو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا، لاستخلفته. (٣) الاعمش: شيخ الاسلام، رأى أنس بن مالك وغيره قال ابن عيينة: كان الاعمش أقرأهم لكتاب الله وأحفظهم للحديث وأعلمهم بالفرائض، وكان يسمى المصحف في صدقه. وقال فيه يحيى القطان: علامة الاسلام، لم تفته التكبيرة الاولى مات سنة ١٢٨ هـ - ولد سنة ٨٧ هـ )٤) الثوري: شيخ الاسلام، سيد الحفاظ أبو عبد الله الثوري الكوفى الفقيه قال القطان فيه: ما رأيت أحفظ منه، إنه فوق مالك في كل شئ، ومن قوله: لو أردنا أن نحدثكم بالحديث كما سمعناه ما حدثناكم بحديث واحد، مات بالبصرة سنة ١٦١ هـ )٥) منصور بن المعتمر: الامام الحافظ الحجة أحد الاعلام قال ابن مهدى: لم يكن بالكوفة أحد أحفظ من منصور = (*)

---



أبى هريرة شيئا !، وما كانوا يأخذون بكل حديث أبى هريرة إلا ما كان من حديث صفة جنة أو نار ! أو حث على عمل صالح أو نهى عن شر جاء القرآن به. وروى أبو أسامة عن الاعمش قال: كان إبراهيم صحيح الحديث، فكنت إذا سمعت الحديث أتيته فعرضته عليه، فأتيته يوما بأحاديث من أحاديث أبى صالح عن أبى هريرة فقال: دعني من أبى هريرة ! إنهم كانوا يتركون كثيرا من أحاديثه، وهذه العبارة القاطعة وحدها كافية في عدم الثقة بأبى هريرة ورواياته. (راجع في هذه

الاخبار سير أعلام النبلاء ص ٣٤٨ ج ٢ والبداية والنهاية لابن كثير ص ١٠٩ ج ٨ وشرح نهج البلاغة ص ٣٦٠ ج - ١).

---

= حدث عن أبى وائل وربعي بن خراش وإبراهيم وسعيد بن جبير والشعبى وطبقتهم، وروى عنه الاعمش والثوري وشعبة وغيرهم مات سنة ١٣٢ هـ. * علقمة: علقمة بن قيس بن عبد الله فقيه العرقا ولد في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسمع من عمر وعثمان وعلى وابن مسعود وأبى الدرداء، وكان من أنبل أصحابه، وكان فقيها إماما ثبتا، وكان ناس من الصحابة يستفتونه، روى عنه إبراهيم النخعي والشعبى مات سنة ٦٠ هـ. وقال أبو حنيفة: لولا فضل الصحبة لقلت علقمة أفقه من ابن عمر ! وقد أدرك أبو حنيفة قديما الشعبى والنخعي وغيرهما من الاكابر (ص ١٣٢ من كتاب الانتقاد). * * مسروق: مسروق الاجدع الامام الكوفى الفقيه أحد الاعلام أخذ عن عمر وعلى معاذ وابن مسعود وأبى وكان أعلم بالفتوى من شريح، أخذ عنه إبراهيم والشعبى وخلق، توفى سنة ٦٣ هـ. * * * الاسود: هو أبو عبد الرحمن بن يزيد النخعي قال عنه أبو نفيح في حلية الاولياء (ص ١٠٢ - ١٠٥ ج ٢): هو القارئ القوام السارى الصوام، الفقيه الاثير - كان أحد الثمانية الذين انتهى إليهم الزهد، مات سنة ٧٤ أو ٧٥. (*)

---



وأبو حنيفة وأصحابه: ثم يأتي بعد النخعي وأصحابه شيخ أئمة الفقه أبو حنيفة وأصحابه الفقهاء الاعلام لا ليؤيدوا آراء من سبقهم في أبى هريرة فحسب، بل ليزيدوا عليها، فإذا كان النخعي وأصحابه يجدون في أحاديث أبى هريرة شيئا وأنهم كانوا يدعون منها، ولا يأخذون إلا ما كان من حديث جنة أو نار - كما علمت ذلك من أقوالهم التى قرأتها آنفا، فإن أبا حنيفة وأصحابه والآخذين بمذهبه - وهم شطر كبير من الامة الاسلامية - لا يثقون جميعا بأبى هريرة ولا يأخذون برواياته كلها وهاك طرفا مما جاء عنهم في ذلك: روى محمد بن الحسن (صاحب أبى حنيفة) عن أبي جنيفة أنه قال: أقلد من كان من القضاة المفتين من الصحابة كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى والعبادلة الثلاثة ولا أستجيز خلافهم برأيى، إلا ثلاثه نفر. وفي رواية: أقلد جميع الصحابة ولا أستجيز خلافهم برأيى إلا ثلاثة نفر (أنس بن مالك وأبو هريرة وسمرة) فقيل له في ذلك فقال: أما أنس فاختلط في آخر عمره، وكان يستفتى فيفتى من عقله، وأنا لا أقلد عقله، وأما أبو هريرة، فكان يروى كل ما سمع من غير أن يتأمل في المعنى (١)، ومن غير أن يعرف الناسخ من المنسوخ (٢).

---

) (١) يشير أبى حنيفة في قوله عن أبى هريرة - إنه كان يروى كل ما سمع من غير أن يتأمل المعنى إلى حديث رواه مسلم عن حفص بن عاصم " كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع " وقال عمر: حسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع. رواه مسلم. وقال خالد بن عبد الله: سمعت ابن شبرمة يقول: أقلل الرواية تفقه (١٢٤ ج ٣ جامع بيان العلم وفضله) - وقال عبد الرحمن بن مهدى: لا يكون إماما في الحديث من تتبع شواذ الحديث، أو حدث بكل ما سمع، أو حدث عن كل أحد (وابن مهدى من كبار أئمة الجرح والتعديل) (ص ٤٧ من نفس المصدر). وقال ابن أبى ليلى: لا يفقه الرجل في الحديث حتى يأخذ منه ويدع (ص ١٣٢ من نفس المصدر) ومن أمثال أكثم بن صيفي " المكثار كحاطب ليل، ومن أكثر أسقط " (ص ١٣ من كتاب المعمريز للسجستاني). (٢) من البحث الثالث في بيان حال الراوى من كتاب مرآة الاصول شرح مرقاة الوصول، تأليف محمد بن فراموز المعروف بملا خسرو الحنفي المتوفى سنة ٨٨٥ هـ وهو مخطوط بدار الكتب المصرية = (*)

---



وروى أبو يوسف قال: قلت لابي حنيفة: الخبر يجيئنى عن رسول الله يخالف قياسنا ! ما نصنع به ؟ فقال: إذا جاءت به الرواة الثقات عملنا به، وتركنا الرأى. فقلت: ما تقول في رواية أبى بكر وعمر ؟ قال: ناهيك بهما، فقلت: وعلى وعثمان ؟. قال: كذلك، فلما رأني أعد

الصحابة، قال: والصحابة كلهم عدول ما عدا رجالا، وعد منهم أبا هريرة وأنس بن مالك (١). وقال ابن الاثير: أما رواية أبى هريرة فشك فيها قوم لكثرتها (٢). وفى الاحكام للآمدي (٣): إن الصحابة أنكرت على أبى هريرة كثرة روايته حتى قالت عائشة رضى الله عنها: رحم الله أبا هريرة لقد كان رجلا مهذارا في حديث المهراس. وجرت مسألة المصراة (٤) في مجلس الرشيد فتنازع القوم فيها وعلت أصواتهم

---

= رقم ١١٥ وهو إن عرف بالرواية وشبر بها، فإن كان ذلك المعروف بها فقيها كالخلفاء الراشدين والعبادلة وزيد ومعاذ وعائشة رضوان الله عليهم أجمعين تقبل الرواية منه مطلقا، أي سواء وافق القياس أو خالفه. وإن لم يكن فقيها كأبى هريرة وأنس رضى الله عنهما فترد روايته إن لم يوافق الحديث الذى رواه قياسا أصلا حتى إن وافق قياسا مثل حديث المصراة وهو مما روى أبو هريرة، وقال المؤلف إن هذا الحديث مخالف للقياس الصحيح وستري الكلام عنه في الصفحة التالية. وقال عبد الوهاب الشعرانى وهو من أئمة الشافعية الكبار في كتابه الميزان: وكان أبو مطيع البلخى يقول: قلت للامام أبى حنيفة رضى الله عنه: لو رأيت رأيا ورأى أبو بكر رأيا أكنت تدع رأيك لرأيه ؟ قال: نعم. فقلت له أرأيت لو رأيت رأيا ورأى عمر رأيا أكنت تدع رأيك لرأيه ؟ فقال: نعم، وكذلك كنت أدع رأيى لرأى عثمان وعلى وسائر الصحابة ما عدا أبا هريرة وأنس بن مالك وسمرة بن جندب - ص ٥٨ ج ١ الطبعة الثانية المطبعة الازهرية المصرية سنة ١٣١٧ هـ )١) هذا هو رأى أبى حنيفة في أبى هريرة وهو من نعلم شيخ فقهاء أهل السنة، وأول الائمة الاربعة أصحاب المذاهب المشهورة لدى الجمهور - والذى أدرك عصر الصحابة، وهو من أصل فارسي أخذ الفقه عن جعفر الصادق وعن إبراهيم النخعي من أكبر فقهاء عصره وسمع الحديث من الشعبى والاعمش ؟ ؟ وله تاريخ طويل رضى الله عنه، وله سنة ٨٠ هـ في ولاية عبد الملك بن مروان وتوفى سنة ١٥٠ وهى السنة التى ولد فيها الامام الشافعي. أما الشيعة وبخاصة الامامية منهم فإنهم لا يثقون بأبى هريرة ولا بروياته مهما كانت. (٢) ص ٨٠ و ٨١ من كتاب المثل السائر. (٣) ص ١٠٦ ج ٢. (٤) والمصراة: هي الناقة أو البقرة يجمع اللبن في ضرعها ويحبس أياما بغير حلب لايهام المشترى أنها غزيرة اللبن، وسبب رد الحنفية لحديث " المصراة " أنه مخالف للاقيسة بأسرها فإن حلب اللبن تعد، وضمان التعدي يكون بالمثل - أو بالقيمة، والصاع من التمر ليس بواحد منها. (*)

---



فاحتج بعضهم بالحديث الذى رواه أبو هريرة فرد بعضهم الحديث وقال: أبو هريرة متهم فيما يرويه - ونحا نحوه الرشيد. وسبه عمرو بن عبيد وطعن في روايته (١). ومن الذين انتقدوا أحاديث أبى هريرة في هذا العصر السيد محمد رشيد رضا والدكتور طه حسين (٢) والدكتور أحمد أمين والدكتور محمد توفيق صدقي وغيرهم. حتى المعتزلة: وكذلك المعتزلة فإنهم لا يثقون به، ولا يأخذون بأحاديثه، قال أبو جعفر الاسكافي: وأبو هريرة مدخول عند شيوخنا (أي شيوخ المعتزلة) غير مرضى الرواية، ضربه عمر وقال: قد أكثرت من الرواية، وأحر بك أن تكون كاذبا على رسول الله إلخ (٣) والمعتزلة فرقة كبيرة من فرق المسلمين لا يستهان بها. التحفظ من حديثه: وقد مر بك في الكلام عن أخذ أبى هريرة عن كعب الاحبار وسيأتيك فيما بعد ما رواه مسلم وأحمد بن حنبل من طلب التحفظ من حديثه - وإليك ما ذكره في ذلك الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٤). قال مسلم بن الحجاج عن بسر بن سعيد قال: اتقوا الله وتحفظوا في الحديث، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله ويحدثنا عن

---

(١) ص ٣٦١ فجر الاسلام، وعمرو بن عبيد هذا كان تلميذا للحسن واشتهر بالزهد والورع وفيه يقول المنصور: كلكم طالب صيد غير عمرو بن عبيد، ولما مات ابن أبى ليلى وعمرو بن عبيد قال أبو جعفر المنصور ما بقى أحد يستحى منه - ص ٩٤ من البيان والتبيين. ومن العجب أنهم تجافوا الرواية عنه. توفى سنة ١٤٥ هـ في رجوعه من الحج. (٢) علق الدكتور طه حسين في كتابه (مرآة الاسلام) على حديث أبى هريرة الذى رواه الشيخان عن الاسلام والايمان وذكر من أشراط الساعة أنها إذا ولدت الامة ربها، وإذا تطاول رعاة الابل في البنيان ! فقال: أما أشراط الساعة التى جاءت في الحديث، وأن الرجل الذى جاء يسأل النبي كان جبريل أقبل يعلم الناس دينهم،

فإنا نتركه لابي هريرة ولمن روى عنه يحملون تبعته (ص ٢١١، ٢١٢). (٣) ص ٣٦٠ ح ١ من شرح نهج البلاغة. (٤) ص ١٠٩ ج ٨. (*)



كعب الاحبار ثم يقوم فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله عن كعب، وحديث كعب عن رسول الله. وفى رواية: يجعل ما قاله كعب عن رسول الله، وما قاله رسول الله عن كعب، فاتقوا الله وتحفظوا في الحديث. وقال يزيد بن هارون: سمعت شعبة يقول: أبو هريرة كان يدلس أي ما سمعه عن كعب وما سمعه من رسول الله ولا يميز هذا من هذا. ذكره ابن عساكر، وكأن شعبه يشير إلى حديث: من أصبح جنبا فلا صيام له، فإنه لما حوقق عليه، قال أخبرنيه مخبر ولم أسمعه من رسول الله اهـ. وغير ذلك. وماذا بعد ذلك ؟ ليس هذا الذى أوردناه آنفا عن كبار الصحابة وأئمة التابعين ومن بعدهم هو كل ما قيل في أبى هريرة ورواياته، ولو شئنا لاتينا بطوائف أخرى كثيرة من أقوال الذين تحررت عقولهم من رق التقليد على مد العصور، ولكنا نكتفي بما أوردناه وهو كفاية وفوق الكفاية. ولو نحن استقرينا كل ما وجه إلى أبى هريرة من طعن وأحصيناه لاقتضى منا أن نفرد له كتابا برأسه. على أن هذا الذى أوردناه عن الصحابة والتابعين وسواهم لم يكن ليصد غيرهم من أن يصدقوه ويستمعوا إليه، وبخاصة بعد أن خلا له الجو بموت كبار الصحابة ومن كان يخشاهم في حياتهم وتفرق أكثرهم في الامصار التى افتتحت، ثم أعانه على ذلك انضواؤه تحت لواء بنى أمية وأنه قد أصبح من أنصارهم ودعاتهم، وناهيك بالسياسة إذا هي ظاهرت أحدا فإنه ينقلب ذا قوة ونفوذ بعد أن لم يكن له قيمة وقدر. ولقد كان لامر أبى هريرة أن ينتهى وتتجلى حقيقته بعد غروب شمس دولة بنى أمية ونسخ ظلها عنه فيبدو للناس على حقيقته ويتخلصوا من رواياته، ولكن أتيح لهذه الروايات أن تبقى على مر القرون - وذلك بظهور بدعة (عدالة الصحابة المطلقة) فعصمته وغيره من الصحابة من أن يتجه إليهم تجريح مهما ارتكبوا من ذنب، أو اقترفوا من إثم، أو يصوب إلى رواياتهم نقد



مهما كان فيها مما يستوجب الطعن، وقد أصبحت هذه (البدعة) سنة متبعة، بل قاعدة من قواعد علم الاصول، من خرج عليها، ولم يأخذ بها رمى بالمروق والزندقة. ولقد كان لهذه (البدعة) أثرها وخطرها على عقائد الدين وأحكامه وآدابه ومبادئه وأوصدت الابواب أمام الباحثين في تاريخ الصحابة ونقد مروياتهم ومنعتهم من أن يتولوهم بالدراسة التحليلية المتبعة في ترجمة الرجال والبحث عن حقيقة آثارهم لان بساطهم قد طوى بزعمهم كأنهم ليسوا أناسى بل هم طبقة فوق ذلك خلقهم الله منزهين عن الخطأ والنسيان والوهم - ولولا هذه البدعة التى تحرم بها أبو هريرة لكان أكبر من توجه إليه سهام النقد والتجريح، إن في شخصه وإن في رواياته ! ولانه أصبح آمنا من كل نقد أرخى لنفسه العنان في أن يتحدث بما يشاء بغير أن يخشى أحدا، وأمعن في الرواية حتى طمى سيلها، وعلا مدها، وزخرت كتب الحديث بالالوف المؤلفة منها، برغم ما بيناه في محله من كتابنا هذا من أنه لم يصاحب النبي إلا عاما وبعض عام - ومما يدعو إلى الاسى أن تجد هذه المرويات من يدافعون عنها على ما فيها من مشكلات وخرافات وما يخالف العلم، أو يصادم العقل، أو يقف في سبيل أغراض الدعوة الاسلامية التى قام أساسها على إسعاد الانسان ورقى العمران، وأنها صالحة لكل زمان ومكان. وإذا كنا هنا لا نستطيع أن نتوسع في بيان الضرر الذى نجم

عن الاخذ بعدالة الصحابة بعد أن كسرنا لذلك فصلا برأسه في كتابنا الاضواء، فإنا نقتصر هنا على إيراد كلمة قيمة وجيزة تفصح عما كان من أثر ضار في روايات أبى هريرة خاصة، ولولاها لبدا أمر هذ الصحابي على غير ما يفهم الجمهور، وهذه الكلمة ليست لنا حتى لا يقال إننا قد جئنا بها لنعزز ما كتبناه، وإنما هي لامام جليل من أئمة المسلمين هو السيد رشيد رضا قال رضى الله عنه (١): إنه انفرد بأحاديث كثيرة كان بعضها موضع الانكار، أو مظنته، لغرابة

---

(١) ص ٩٧ ج ١٩ مجلة المنار. (*)

---



موضوعها كأحاديث الفتن، وإخبار النبي صلى الله عليه وآله ببعض المغيبات التى تقع بعده، ويزاد على ذلك، أن بعض تلك المتون غريب في نفسه، ولو انفرد بمثله غير صحابي لعد من العلل التى يتثبت بها في روايته - كما هو المعهود عند نقاد الحديث، أهل الجرح والتعديل (١). ولذلك نرى الناس ما زالوا يتكلمون في بعض روايات أبى هريرة " (٢). وقال رحمه الله وهو يبين أن بطلى الاسرائيليات، وينبوعي الخرافات، هما كعب الاحبار ووهب بن منبه: وما يدرينا أن كل تلك الروايات - أو الموقوفة منها ترجع إليهما فإن الصحابة رضى الله عنهم لم يكونوا يذكرون ما يسمع بعضهم من بعض، ومن التابعين على سبيل الرواية والنقل، بل يذكرونه من غير عزو غالبا، وكثيرون من التابعين كذلك، بل أكثر ما روى عن أبى هريرة من الاحاديث المرفوعة لم يسمعه منه صلى الله عليه وآله ولذلك روى أكثر عنه عنعنة، أو بقوله: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وأقله بلفظ، سمعت رسول الله يقول كذا (٣). وقال رحمه الله: لو طال عمر عمر حتى مات أبو هريرة لما وصلت إلينا تلك الاحاديث الكثيرة (٤).

---

(١) ولكن من يجرؤ على تجريح أبى هريرة وهو محصن بقلاع الصحبة، وقد أوصدوا باب الجرح والتعديل دون الصحابة جميعا، وفتحوه على مصراعيه ليدخل فيه الناس كافة. (٢) ولكن لا يزال بيننا من يقذفون الذين يتكلمون في روايات أبى هريرة ويرمونهم بالزندقة. (٣) لهذا العلامة كلام نفيس أوسع من ذلك في أبى هريرة وما روى تجده منشورا فيما بعد من كتابنا هذا. (٤) ص ٨٥١ ج ١٠ من مجلة المنار. (*)

---



اعتراف أبى هريرة بأنهم كانوا يكذبونه ! ولقد سمع أبو هريرة بأذنية ما يزن به من قوارص الكلام، ورأى بعينيه ما يلقاه - أينما ولى وجهه - من قوارع الاتهام، فلم يجد مناصا - تلقاء ذلك - إلا أن يعترف غير مرة بما كان يرمى به من الانكار عليه وتكذيبه، فيما يروى عن النبي صلى الله عليه وآله، وهذا مما لم يسمع من غيره من الصحابة جميعا، وهاك بعض هذه الاعترافات التى كان يصرح بها جهارا أمام الناس: لما قدم العراق مع معاوية في العام الذى سموه عام الجماعة - وهو في الحقيقة عام الفرقة - جثا على ركبتيه في مسجد الكوفة وجعل يضرب صلعته مرارا، يلفت الناس بذلك إليه (ويلفت كذلك معاوية وحاشيته) وحين اجتمعوا عليه، أهاب بهم: يا أهل العراق أتزعمون أنى أكذب على رسول الله الحديث (١). وروى مسلم عن أبى رزين قال: خرج إلينا أبو هريرة فضرب بيده على جهته فقال ألا إنكم تحدثون (أنى أكذب على رسول الله) لتهتدوا وأضل ! ألا وإنى سمعت رسول الله يقول: إذا انقطع شسع أحدكم فلا يمشى

في الاخرى حتى يصلحها. ونحن لا يعنينا من هذا الحديث إلا اعترافه الصريح بأنهم كانوا يتهمونه بالكذب، وأن هذا الاتهام قد استفاض بين الناس حتى أصبح يلاحقه في كل مكان، فمرة في العراق ومرارا في غير العراق من سائر الآفاق ! أما نص الحديث فما نظن أنه قد صدر عن النبي صلى الله عليه وآله لانه في أمر تافه لا يعنى النبي بمثله، وإنما يعنى به أبو هريرة لانه يتفق مع عقله وتفكيره !

---

(١) سيقابلك نص هذا الحديث كاملا فيما افتراه ضد على من هذا الكتاب. (*)

---



أبو هريرة يعترف كذلك بأنه ليس على الحال التى فارق عليها محمدا صلى الله عليه وآله: ولقد كان أبو هريرة يعترف كذلك بأنه ليس على الحال التى فارق عليها محمدا صلى الله عليه وآله. قال أبو نعيم فيما رفعه إلى السدى أنه قال: رأيت نفرا من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله منهم أبو سعيد الخدرى وأبو هريرة، كانوا يرون أنه ليس أحد منهم على الحال التى فارق عليها محمدا صلى الله عليه وآله (١). ولا نستزيد من نقل هذه الاعترافات وحسبنا ما قدمناه منها فهو كاف. وعلى أن أبا هريرة قد أكثر من الدفاع عن نفسه وأنه كان يعزز دفاعه دائما بالقسم ! وأن الدولة بسلطانها وقوتها كانت تؤيده وتعمل على درء التهم عنه، لانه كان من أنصارها ويهمها أن لا يشك الناس في مروياته وبخاصة ما كان منها في تأييدها، والنيل من أعدائها ! فإن ذلك كله لم يغير مما اشتهر عنه شيئا بل كان كالزبد الذى لا يلبث قليلا حتى يذوب، وظل اتهام أبى هريرة ملازمه لا ينفك عنه، وسيظل قائما يأخذ بتلابيبه، يتلقفه الخلف عن السلف إلى أن يشاء الله. التهكم به والسخرية منه: ولم يقف الامر بهم وبه عند تكذيبه والانكار عليه بل زاد على ذلك بأنهم كانوا يتهكمون به، ويسخرون منه، وإليك مثلا يستدل به على غيره: فعن أبى رافع: أن رجلا من قريش أتى أبا هريرة في حلة يتبختر فيها فقال: يا أبا هريرة، إنك (تكثر الحديث) عن رسول الله، فهل سمعته يقول في حلتي هذه شيئا ؟ (كأن كل أمر كان يستخرج له حديثا) فقال: سمعت أبا القاسم (أي النبي) يقول: إن رجلا ممن كان قبلكم بينما كان يتبختر

---

(١) ص ١٣ - ١٦ ج ٧ معجم الادباء والسدى الكبير هو إسماعيل بن عبد الرحمن كان ثقة مأمونا أدرك جماعة من الصحابة منهم سعد بن أبى وقاص وابن عمر وأبو هريرة وروى عن ابن عباس وأنس وطائفة وروى عنه الثوري وشعبة وزائدة وغيرهم مات سنة ١٢٧ هـ )*(

---



في حلة، إذ خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها حتى تقوم الساعة - (فوالله) ما أدرى لعله كان من قومك، أو من رهطك (١). وهذا الرجل - كما يبدو من سؤاله لم يكن مستفهما، وإنما كان مستهزئا متهكما، إذ لم يقل له إنك (تحفظ) أحاديث رسول الله، وإنما قال له: (تكثر) عن رسول الله، وسياق السؤال يدل كذلك على أنه كان يسخر منه - وانظر كيف يقسم أبو هريرة بالله - في حديث هو ابن وقته - ولقد كان دائما يقسم هذا القسم في أحاديث قد لا تصح ! أول راوية اتهم في الاسلام: عرفت مما تقدم كيف أنكر كبار الصحابة على أبى هريرة وكيف كذبوه وأنه نفسه قد اعترفت بتكذيبهم إياه، وعرفت كذلك كيف امتد هذا التكذيب وذاك الانكار، إلى

ما بعد الصحابة على مد العصور حتى وصل إلى عصرنا هذا، وهذا الاتهام لم يوجه إلى غيره من الصحابة جميعا. ومن أجل ذلك كتب الكاتب الاسلامي البليغ مصطفى صادق الرافعى رحمه الله يقول: كان أبو هريرة أكثر الصحابة رواية - ولهذا كان عمر وعثمان وعلى وعائشة ينكرون عليه ويتهمونه - وهو أول راوية اتهم في الاسلام - وكانت عائشة أشدهم إنكارا عليه لتطاول الايام بها وبه إذ توفيت قبله بسنة (٢).

---

(١) ص ١٠٨ ج ٨ من البداية والنهاية لابن كثير. (٢) ص ٢٧٨ ج ١ تاريخ آداب العرب (*)

---



جزاء الكذب على رسول الله تبين لك مما سقناه إليك في هذا الفصل أن بعض الصحابة كذبوا أبا هريرة في رواياته تكذيبا صريحا، وامتد هذا التكذيب إلى ما بعد الصحابة وإلى اليوم وما بعد اليوم، وهو ولا ريب فيما يرويه عن رسول الله، ومعلوم أن جزاء الكاذب على رسول الله أن يتبوأ مقعده من النار كما في حديثه الصحيح: " من كذب على فليتبوأ مقعده من النار " - وفى اختصار علوم الحديث قال ابن حنبل، وأبو بكر الحميدى، وأبو بكر الصيرفى: لا تقبل رواية من كذب في أحاديث رسول الله وإن تاب عن الكذب بعد ذلك (١). وقال السمعاني. من كذب في خبر واحد وجب إسقاط ما تقدم من حديثه (٢). وقال الحافظ ابن حجر: اتفق العلماء على تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وأنه من الكبائر حتى بالغ الشيخ أبو محمد الجوينى فحكم بكفر من وقع منه ذلك وكلام ابن العربي يميل إليه (٣).

---

(١) ص ١١١. (٢) ص ١٤ من التقريب للنووي. (٣) ص ٣٨٩ ج ٦ فتح الباري. (*)

---



دولة بنى أمية، وكيف نشأت (١) " إذا وليت أمر المسلمين فاتق الله ! ولا تحمل بنى أمية، وبنى أبى معيط على رقاب المسلمين " من وصية عمر بن الخطاب لعثمان بن عفان مما لا ريب فيه أن أبا هريرة قد اتصل بدولة بنى أمية وبنى أبى معيط اتصالا وثيقا، فتشيع لها، وحطب في حبلها، واستظل بظلها، وناصرها ما استطاع إلى ذلك سبيلا، ومن أجل ذلك ظفر بمكانة عظيمة لديها فغمرته بأعطياتها، وملاوا يديه، من نوالها، وجدير بنا قبل أن نعرض لهذا الاتصال أن نوطئ بصدر من القول نبين فيه حقيقة هذه الدولة وكيف قامت، وماذا كان من أمر زعمائها من النبي من أول يوم قام فيه بدعوته، وقعودهم له كل مرصد، وإمعانهم في أذاه ! وشن الحروب عليه، ثم ما كان بعد ذلك من أمر عثمان معهم - وهم قومه - عندما استخلف، من ميله إليهم، ومحاباته إياهم، وإيثارهم بالمنح والعطايا من مال المسلمين بحق وبغير حق، وتمكينهم من حكم الولايات الكبيرة في المملكة الاسلامية لكى يمهد بذلك لقيام دولة لهم، ثم ما فعله معاوية - زعيم الفئة الباغية مع الامام على وبنيه عليه السلام، وقلبه الحكم من شورى عادلة إلى ملك عضوض، وما ارتكبه يزيد بعد ذلك مع الحسين، وما إلى ذلك مما سجله التاريخ الصادق وخلده على صفحاته - وذلك كله في عرض وجيز - حتى إذا ما تجلى أمر هؤلاء القوم وبدت حقيقتهم ناصعة أمكن تعليل ما اتخذوه في

حكمهم من ضروب الرغبة والرهبة، والضغط والقهر بالمال مرة، وبالسيف تارة لتأييد دولتهم، وحفظ ملكهم.

---

(١) هذا الموضوع الخطير يحتاج إلى أن يكسر له سفر كبير برأسه وقد أتينا هنا بهذه الفذلكة لنبين أن وضع الحديث كان في زمن هذه الدولة وأنه من الاسس التى قامت عليها، وأن أبا هريرة كان أكبر من وضع الحديث لتأييدها. (*)

---



جذور الاموية: إن قيام الدولة الاموية له جذور عميقة تضرب في أحشاء الزمن البعيد في الجاهلية، يجب على كل من يتصدى لتأريخ هذه الفترة من الزمن أن ينفذ إليها ويتعمقها، وأن يصورها تصويرا صادقا، ثم يعرض صورتها جلية على الناس - وهذه الجذور ترجع إلى ما كان من شنآن متأصل في صدر بنى أمية لبنى هاشم قبل الاسلام، وظل هذا الشنآن يؤج بينهما على مد الزمن نارا وسعيرا، حتى إذا ظهر النبي (ص) بدعوته، كان هؤلاء القوم أسرع الناس إلى معارضته، والتصدي لدعوته، فعاجلوه بالمعارضة، وتولوه بالاذى حسدا من عند أنفسهم، ولم يذروه ينشر دعوته، ويبلغ رسالته، بل أضرموا عليه حربا ضروسا، اتصلت بينهم وبينه حوال عشرين سنة إلى أن فتحت مكة بنصر الله، فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين، ولم يجد أبو سفيان الذى كانت له الزعامة في قريش بعد أن قتل صناديدهم في وقعة بدر - مناصا من أن يستسلم وأن يسلم مرغما هو وأولاده، ومنهم معاوية.. ولما كان إسلامهم هذا ظاهرا لم يجاوز حناجرهم، ولما يدخل الايمان في قلوبهم، فقد ظلوا على ما بأنفسهم، مضمرين بغضهم القديم، ومقتهم الموروث، وما أربى عليه من حقد جديد يأكل صدورهم - أن تظهر النبوة في بنى هاشم أعدائهم، وأن أيقنوا أن دعوة هذا النبي ستقضي إلى الابد على نفوذهم بمكة التى كانت يومئذ خالصة لهم، وتمحو سيطرتهم على أهلها، ولبثوا من أجل ذلك كله يتربصون بالنبي الدوائر، ويرتقبون أن تتاح لهم فرصة فيعيدوا الكرة لكى يستعيدوا مجدهم الذاهب، ويستردوا نفوذهم البائد. وما إن لحق النبي بالرفيق الاعلى حتى أسرعوا إلى إشعال نار الفتنة ليعيدوها جذعة، ولكنهم خابوا فيما كانوا يبتغون، وحاق بهم ما كانوا يمكرون، إذ لم يدع لهم أبو بكر وعمر وعلى أي منفذ إليه ينفذون، إلى أن قتل عمر بمؤامرة أثيمة، وهنالك أماطوا عن وجوههم أقنعة النفاق، وأخذوا يسعون بكل ما استطاعوا في سبيل قيام دولة منهم بعد أن طال ارتقابهم، وشد من عزمهم أن استخلف

---



عثمان بعد عمر في ظروف لا نتوسع بتفصيلها - وكان أمويا منهم - فما لبث أن وطأ لهم ولبنى أبى معيط من رقاب المسلمين وخالف بذلك وصية عمر ما كان بين بنى أمية وبنى هاشم في الجاهلية: أما ما كان بين بنى أمية وبنى هاشم في الجاهلية فإنا ندع القول فيه للمؤرخ الكبير المقريزى فقد سجله في كتابة " النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم ". وإليك بعض ما قاله في ذلك: " إنى كثيرا ما كنت أتعجب من تطاول بنى أمية إلى الخلافة مع بعدهم من جذم (١) رسول الله وقرب بنى هاشم، وأقول: كيف حدثتهم أنفسهم بذلك ! وأين بنو أمية، وبنو مروان بن الحكم طريد رسول الله ولعينه من هذا الحديث مع تحكم العداوة بين بنى أمية وبنى هاشم في أيام جاهليتها ! ثم شده عداوة بنى أمية لرسول الله، ومبالغتهم في

أذاه، وتماديهم على تكذيبه فيما جاء به منذ بعثه الله عزوجل، بالهدى ودين الحق، إلى أن فتح مكة شرفها الله تعالى فدخل من دخل منهم في الاسلام ! فلعمري لا بعد أبعد مما كان بين بنى أمية وبين هذا الامر إذ ليس لبنى أمية سبب إلى الخلافة، ولا بينهم وبينها نسب.. وقد كانت المنافرة لا تزال بين بنى هاشم، وبين عبد شمس بحيث إنه يقال إن هاشما وعبد شمس ولدا توءمين فخرج عبد شمس في الولادة قبل هاشم وقد لصقت إصبع أحدهما بجبهة الآخر فلما نزعت دمى المكان فقيل سيكون بينهما أو بين ولديهما دم فكان كذلك. ويقال: إن جباههما كانت ملتصقة بعضها ببعض، فأخذ السيف ففرق بين جباههما: وكانت المنافرة بين هاشم بن عبد مناف بن قصى، وبين ابن أخيه أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف، وأصبح هاشم بعد هذه المنافرة منفردا بزعامة بنى عبد مناف بمكة.

---

(١) جذم كل شئ: أصله. (*)

---



وخلاصة القول في أمر هذه المنافرة كما ذكر المقريزى: أن هاشما كانت إليه الرفادة (١) مع السقاية وكان رجلا موسرا، وكان إذا حضر موسم الحج قام في قريش فقال: يا معشر قريس، إنكم جيران الله وأهل بيته، وإنكم يأتيكم في هذا الموسم زوار الله يعظمون حرمة بيته وهم ضيف الله وأحق الضيف بالكرامة ضيفه، وقد خصكم الله بذلك فأكرموا ضيفه وزواره واغنوهم وأعينوهم فكانت قريش ترافد على ذلك كل على قدره، فيضمه هاشم إلى ما أخرج من ماله ويكمل العجز، وكان يخرج مالا كثيرا في كل سنة. وكان يطعم هؤلاء الضيوف ويثرد لهم الخبز واللحم والسمن والسويق والتمر ويحمل لهم الماء حتى يتفرق الناس لبلادهم. وكان هاشم هذا يسمى عمرا وإنما قيل له هاشم لهشمه الثريد بمكة، وكان أمية بن عبد شمس ذا مال فتكلف أن يفعل كما فعل هاشم من إطعام قريش فعجز عن ذلك فشمت به ناس من قريش وعابوه فغضب ونافر (٢) هاشما على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة وعلى جلاء عشر سنين وجعلا بينهما الكاهن الخزاعى جد عمرو بن الحمق فقال الكاهن فيما قال: " والقمر الباهر، والكوكب الزاهر، والغمام الماطر، وما بالجو من طائر، وما اهتدى بعلم مسافر، من مخبر وغائر، لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر، أول منه وآخر، وأبو همهمة (٣) بذلك خابر. فأخذ هاشم الابل فنحرها، وأطعم لحمها من حضر وخرج أمية إلى الشام فأقام به عشر سنين. فكان هذا أول عداوة وقعت بين بنى هاشم وبنى أمية. ولم يكن أمية في نفسه هناك، وإنما رفعه أبوه وبنوه، وكان مضعوفا وصاحب عهار. اه مختصرا. وثم أمور أخرى ذكرها المقريزى تزيد في العداوة والبغضاء بين هاشم وأمية يرجع إليها في كتاب التنازع والتخاصم. قال المقريزى. ثم تمادت العداوة بين البيتين حتى قام سيد بنى هاشم أبو القاسم محمد بن عبد الله بمكة يدعو قريشا إلى توحيد الله تعالى، وترك ما كانت

---

(١) الرفادة من الرفد وهى الاعانة، رفده يرفده رفدا أعطاه. (٢) نافر الرجل منافرة ونفارا حاكم، وسميت منافرة لانهم كانوا يقولون عند المفاخرة أنا أعز نفرا. (٣) أبو همهمة اسم الكاهن. (*)

---

تعبد من دون الله، فانتدب لعداوته جماعة من بنى أمية منهم: أبو أحيحة سعيد بن العاص بن أمية وعقبة بن أبى معيط، والحكم بن أبى العاص بن أمية. وكان مؤذيا لرسول الله يطلع عليه وهو في حجرات نسائه. وقد قال فيه النبي: من عذيري من هذا الوزغة ! لو أدركته لفقأت عينه، ثم لعنه وما ولد وغربه عن المدينة، فلم يزل خارجا عنها بقية حياة رسول الله وخلافة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما، فلما استخلف عثمان رده إلى المدينة وولده مروان، ولما مات ضرب على قبره فسطاطا. ومنهم عتبة بن أبى ربيعة بن عبد شمس، وهو أبو هند (١) التى لاكت كبد حمزة بن عبد المطلب، ومنهم الوليد بن عتبة بن أبى ربيعة - والوليد هذا هو خال معاوية. ومنهم: شيبة بن ربيعة بن عبد شمس عم هند، ومنهم أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية قائد الاحزاب، الذى قاتل رسول الله يوم أحد، وقتل من خيار أصحابه سبعون ما بين مهاجري وأنصاري، بينهم أسد الله حمزة عم النبي - وقاتل رسول الله يوم الخندق. ولم يزل يحاد الله ورسوله حتى سار رسول الله لفتح مكة، فأتى به العباس بن عبد المطلب رسول الله، وقد أردفه - وكان صديقه ونديمه في الجاهلية - فلما دخل به على رسول الله، سأله أن يؤمنه، فلما رآه رسول الله قال له: ويلك يا أبا سفيان. ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ؟ فقال له: بأبى أنت وأمى، ما أوصلك وأجملك وأكرمك ! والله لقد ظننت أنه لو كان مع الله غيره لقد أغنى عنى شيئا. فقال: يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله ؟ فقال: أما هذه ففى النفس منها شئ ! فقال له العباس: ويلك اشهد بشهادة الحق قبل أن تضرب عنقك ! فشهد وأسلم (٢)، وقد اختلف في حسن إسلامه فقيل إنه شهد حنينا مع رسول الله وكانت الازلام معه يستقسم

---

(١) هند هذه هي زوج أبى سفيان وأم معاوية. (٢) لما أسلم أبو سفيان رجع إلى مكة فصاح: يا معشر قريش، ألا إنى قد أسلمت فأسلموا فإن محمدا قد أتاكم بما لا قبل لكم به، فأخذت هند برأسه وقالت: بئس طليعة القوم أنت ! والله ما خدشت خدشا، (تعيب عليه استسلامه للاسلام بدون سابقة حرب). يا أهل مكة عليكم الحميت الدسم فاقتلوه، وتريد ضخمه وسمنته. (*)



بها، وكان كهفا للمنافقين في الجاهلية (١). وفى خبر لعبد الله بن الزبير أنه رآه يوم اليرموك قال: فكانت الروم إذا ظهرت قال أبو سفيان: إيه بنى الاصفر ! فإذا كشفهم المسلمون قال: وبنو الاصفر الملوك ملوك الر * وم لم يبق منهم مذكور وممن حاربوا النبي، معاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية، وهو الذى جدع أنف حمزة ومثل به، ومعاوية هذا هو أبو عائشة أم عبد الملك بن مروان، وعبد الملك هذا أعرق الناس في الكفر، لان أحد أبويه الحكم بن أبى العاص لعين رسول الله وطريده، والآخر معاوية بن المغيرة. ومنهم حمالة الحطب واسمها أم جميل بنت حرب بن أمية - وإياها عنى الله تعالى بقوله في سورة (تبت يدا أبى لهب.. السورة). وقال المقريزى، وما من أحد من هؤلاء الذين تقدم ذكرهم إلا وقد بذل جهده في عداوة رسول الله وبالغ في أذى من اتبعه وآمن به، ونالوا منهم من الشتم وأنواع العذاب حتى فر منهم مهاجرون إلى بلاد الحبشة، ثم إلى المدينة وأغلقت أبوابهم بمكة، فباع أبو سفيان بعض دورهم وقضى من ثمنها دينا عليه - وهموا بقتل رسول الله غير مرة، وتناظروا في أمره ليخرجوه من مكة أو يقيدوه ويحبسوه حتى يهلك - وبالغ كل منهم في ذلك بنفسه وماله وأهله وعشيرته، ونصب لرسول الله الحبائل بكل طريق سرا وجهرا ليقتله (٢). ما قاله الجاحظ في ذلك: ونردف ما قاله المقريزى بصفحتين من رسالة بليغة كتبها الجاحظ في معنى ما نحن بصدده، لتكونا دليلا آخر على تصوير موقف الامويين من النبي ومن على وبنيه.

(١) لما انهزم المسلمون يوم حنين قال أبو سفيان: لا تنتهى هزيمتهم دون البحر، وقال فيه حافظ الغرب ابن عبد البر في الاستيعاب: " إنه كان كهفا للمنافقين منذ أسلم، وكان في الجاهلية ينسب إلى الزندقة وإن له أخبارا رديه وإن إسلامه لم يكن سالما (ص ٧٠٩ و ٧١٠ ج ٢). (٢) ص ١١ - ٣٤ من كتاب النزاع والتخاصم. (*)



قال الجاحظ وهو يتحدث عن أمر قتل عثمان وما جره على المسلمين من بلايا ومحن: " ثم ما زالت الفتن متصلة، والحروب مترادفة، كحرب الجمل وكوقائع صفين، وكيوم النهروان. إلى أن قتل أشقاها على بن أبى طالب رضوان الله عليه فأسعده الله بالشهادة وأوجب لقاتله النار واللعنة إلى أن كان اعتزال الحسن عليه السلام الحروب وتخلية الامور، عند انتشار أصحابه وما رأى من الخلل في عسكره، وما عرف من اختلافهم على أبيه، وكثرة تلونهم عليه، فعندها استوى معاوية على الملك، واستبد على بقية الشورى وعلى جماعة المسلمين من الانصار والمهاجرين في العام الذى سموه عام الجماعة ! وما كان عام جماعة ! بل كان عام فرقة وقهر وجبرية وغلبة ! والعام الذى تحولت فيه الامامة ملكا كسرويا، والخلافة غصبا قيصريا. ثم ما زالت معاصيه من جنس ما حكينا، وعلى منازل ما رتبنا، حتى رد قضية رسول الله ردا مكشوفا وجحد حكمه جحدا ظاهرا، في ولد الفراش وما يجب للعاهر، مع اجتماع الامة أن سمية لم تكن لابي سفيان فراشا، وأنه إنما كان بها عاهرا، فخرج بذلك من الفجار إلى حكم الكفار (١). وليس قتل حجر بن عدى، وإطعام عمرو بن العاص خراج مصر وبيعة يزيد الخليع (٢) والاستئثار بالفئ، واختيار الولاة على الهوى، وتعطيل الحدود بالشفاعة والقرابة من جنس جحد الاحكام المنصوصة، والشرائع المشهورة، والسنن المنصوبة، وسواء في باب ما يستحق من الكفار جحد الكتاب ورد السنة، إذا كانت السنة في شهرة الكتاب وظهوره، إلا أن أحدهما أعظم وعقاب الآخرة عليه أشد. فهذه أول كفرة كانت من الامة. ثم لم تكن إلا فيمن يدعى إمامتها والخلافة عليها، على أن كثيرا من أهل ذلك العصر قد كفروا بترك إكفاره، وقد أربت عليهم نابتة عصرنا ومبتدعة دهرنا، فقالت لا تسبوه فإن له صحبة، وسب معاوية بدعة، ومن يبغضه فقد خالف السنة ! ! فزعمت أن من السنة ترك البراءة ممن جحد السنة.

(١) يشير إلى استلحاق معاوية لزياد وجعله ابنا لابي سفيان. (٢) وصفوا يزيد هذا بأوصاف كثيرة شنيعة أتينا على بعضها عند الكلام عنه. (*)



ما كان من يزيد: ثم الذى كان من يزيد ابنه ومن عماله وأهل نصرته، ثم غزو مكة ورمى الكعبة واستباحة المدينة، وقتل الحسين عليه السلام في أكثر أهل بيته، مصابيح الظلام، وأوتاد الاسلام، بعد الذى أعطى من نفسه، من تفريق أتباعه، والرجوع إلى داره وحرمه، أو الذهاب في الارض حتى لا يحس به، أو المقام حيث أمر به (١)، فأبوا ألا قتله والنزول على حكمهم. إلى أن قال الجاحظ: كيف نصنع بنقر القضيب بين ثنيتى الحسين عليه السلام، وحمل بنات رسول الله حواسر على الاقتاب العارية، والابل الصعاب، والكشف عن عورة على ابن الحسين عند الشك في بلوغه، على أنهم إن وجدوه وقد أنبت قتلوه، وإن لم يكن أنبت حملوه، كما يصنع أمير جيش المسلمين

بذرارى المشركين (٢) ! وكيف تقول في قول عبيدالله بن زياد لاخوته وخاصته: دعوني أقتله فإنه بقية هذا النسل، فأحسم به هذا القرن، وأميت به هذا الداء، وأقطع به هذه المادة ؟ خبرونا على ما تدل هذه القسوة وهذه الغلظة بعد أن شفوا أنفسهم بقتلهم، ونالوا ما أحبوا فيهم - أتدل على نصب وسوء رأى وحقد وبغضاء ونفاق، وعلى يقين مدخول وإيمان مخروج (٣) أم تدل على الاخلاص وحب النبي صلى الله عليه وآله والحفظ له وعلى براءة الساحة وصحة السريرة ؟ فإن كان على ما وصفناه لا يعدو الفسق والضلال، وذلك أدنى منازله، فالفاسق ملعون، ومن نهى عن لعن الملعون ملعون، وزعمت نابتة عصرنا، ومبتدعة دهرنا أن سب ولاة السوء فتنة ولعن الجورة بدعة. والنابتة في هذا الوجه أكفر من يزيد وأبيه، وابن زياد وابيه (٤).

---

(١) لم يذكر الجاحظ أنه طلب منه أن يذهب إلى يزيد وهذا هو الصحيح الذى رجحناه وهو الموافق لخلق الحسين وما ركب عليه دمه. (٢) سيأتيك شئ من تفصيل هذه الجريمة الكبرى التى لم يقع مثلها في التاريخ الاسلامي على مد عصوره. (٣) أثبتناه هنا كلمة مخروج عن الاصلى لانها في مقابل (مدخول) السابقة لها، وقد تكون الكلمة (مخدوج بدال) أي ناقص ومنه الخدوج وهو المولود قبل أوانه. (٤) في كل عصر نابتة سوء مبغضة عرفت بالنصب، وفى عصرنا هذا من هذه السلسلة قوم فضحوا أنفسهم بنصبهم. (*)

---



على أنهم مجمعون على أنه ملعون من قتل مؤمنا متعمدا أو متأولا، فإذا كان القاتل سلطانا جائرا، وأميرا عاصيا. لم يستحلوا سبه، ولا خلعه ولا نفيه ولا عيبه، وإن أخاف الصلحاء، وقتل الفقهاء، وأجاع الفقير، وظلم الضعيف وعطل الحدود والثغور، وشرب الخمور، وأظهر الفجور، ثم ما زال الناس يتسكعون مرة، ويداهنونهم مرة، ويقاربونهم مرة، ويشاركونهم مرة، إلا بقية ممن عصمه الله تعالى ذكره ! ثم أخذ الجاحظ يبين ما وقع ممن جاء بعد يزيد من الفظائع التى تقشعر منها الابدان، ولم يسمع بمثله في أي زمان. ولو أن المقام يحتمل ما في رسالة الجاحظ مما ارتكب بنو أمية من الظلم والبغى والقهر لجئنا به كاملا، فليرجع إلى هذه الرسالة القيمة - وهى مطبوعة - من يريد. أبو سفيان بن حرب: قال الشاعر وصدق: عبد شمس قد أضرمت لبنى ها * شم نارا يشيب منها الوليد فابن حرب للمصطفى وابن هند * لعلى وللحسين يزيد وابن حرب، هو أبو سفيان بن أمية بن عبد شمس. كان رأسا من رءوس الاحزاب على رسول الله، ومن الذين أجمعوا على منابذته، وممن حضروا دار الندوة ليتشاوروا في قتله، وتعاقدوا على القضاء عليه، كما ذكر ذلك المقريزى من قبل. ثم كان على رأس المحرضين على محاربة النبي في موقعة بدر (١) - وفى هذه

---

(١) زعم الواقدي أن معاوية كان في عمرة القضاء مسلما فرد عليه ابن حجر العسقلاني في الاصابة بقوله: هذا يعارضه ما ثبت في الصحيح عن سعد بن أبى وقاص أنه قال في العمرة في الحج: فعلناها وهذا يومئذ كافر، يعنى معاوية وزعم الواقدي كذلك أن معاوية شهد حنينا فأعطاه النبي من الغنائم مئة من الابل وأربعين أوقية ورد الذهبي على ذلك فقال: الواقدي لا يعنى ما يقول فإن كان معاوية قديما في الاسلام فلماذا يتألفه النبي صلى الله عليه وآله ولو كان أعطاه لما قال عندما خطب فاطمة بنت قيس: أما معاوية فصعلوك لا مال له. (*)

---

الغزوة قتل من قتل من سادات قريش، ومنهم الوليد بن عقبة خال معاوية ووالد هند. وبعد هذه الغزوة التى نجا منها أبو سفيان، أصبح سيد مكة بلا منازع وزعيم قريش في حربها وسلمها، وهو الذى قاد قريشا يوم أحد والخندق، وألب العرب على النبي وأصحابه، وأغرى اليهود حتى نقضوا عهدهم من النبي وأصحابه، وهو الذى ظل يدبر مقاومة قريش للنبى وكيدها له، ومكرها به، واستمر على ذلك حوالى عشرين سنة من أول قيام الدعوة حتى كان يوم فتح مكة فأسلم مرغما. وكان قد نذر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدا صلى الله عليه وآله. وقد بينا لك من قبل قصة إسلامه، عندما أحيط به على ما رواه المقريزى آنفا، وكان معه ابنه معاوية وسائر أولاده ومن أسلم من قومه، وقال لهم النبي يومئذ: " اذهبوا فأنتم الطلقاء ". وكان كذلك هو وأولاده " من المؤلفة قلوبهم "، وهم قوم من كبار العرب كانوا يعطون من الصدقات مالا، إما دفعا لاذاهم، وإما طمعا في إسلامهم، وإما تثبيتا لهم في الاسلام (١). وكان أبو سفيان وأولاده من الذين كان يعطيهم النبي دفعا لاذاهم، لان إسلامهم - كما بينا - لم يكن صحيحا، فلما تولى عمر حرمهم ذلك وقال: " انقطعت الرشا، لان المسلمين قد كثروا ". والمؤلفة قلوبهم ناس من قريش أسلموا يوم الفتح إسلاما ضعيفا. والطلقاء جمع طليق وهو من حصل المن عليه يوم فتح مكة من قريش، ومن هؤلاء: أبو سفيان، وسهل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى، ومعاوية ويزيد ابنا أبى سفيان. وكان الطلقاء يقولون في محمد صلى الله عليه وآله " دعوه وقومه، فإن غلبهم دخلنا في دينه، وإن غلبوه كفونا أمره ".

---

(١) ظل المؤلفة قلوبهم يأخذون من مال الامة حتى تولى عمر وقال: لقد اعتز الاسلام ولم تعد حاجة لاعطائهم. (*)

---



وقال ابن عباس: إن قوما كانوا يأتون النبي فإذا أعطاهم مدحوا الاسلام، وإذا منعهم ذموا وعابوا، وكان من هؤلاء أبو سفيان وعيينة بن حصن. وكانوا إذا ذكروا أبا سفيان ذكروا معه ابنه معاوية (١). عثمان بن عفان (٢) عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس، وأمه أروى بنت كريز. كان أول ما صنع - بعد أن استخلف - واستقر له الامر أن زاد في أعطية الناس الضعف، ثم أخذ يصل كبار الصحابة بالمنح فوق ما كان لهم من العطاء المفروض لهم زمن عمر، ومن ذلك أنه وصل الزبير بن العوام بستمائة ألف ! وطلحة بمئتي ألف، ونزل له عن دين كان عليه، وقد فعل ذلك ابتغاء كسب القلوب واستمالتها.

---

(١) من العجيب أن يتورط بعض المؤرخين فيحكمون بصدق إيمان معاوية، ويستدلون على ذلك بأنه كان يؤدى الفرائض. ويتبرك بآثار النبي حتى بأظافره، ونسى هؤلاء أنه هو وأبوه وأمه قد أسلموا كرها وأن قلوبهم قد ظلت على جاهليتها ! - وفاتهم أنه كان يخاصم رجلا لا يمكن أن يساويه في العلم ولا في الفضل ولا في القدر - وإذن كان لابد له - وهو الداهية الخدعة - لكى يستقيم أمره، ويستقر ملكه أن يتذرع بكل وسيلة يستطيعها، خفية كانت أو مفضوحة ليختدع بها العامة ويحول أنظارهم إليه - ومن أول هذه الوسائل أن يتظاهر بموالاة النبي ويبالغ في محبته لعله يبلغ بذلك مكانة يزاحم بها عليا رضى الله عنه ! ولكن أنى له ذلك وعلى في السماك منه وإنه كان أقرب الناس وأحبهم إلى قلب النبي حتى جعله منه كهارون من موسى ! ومن كان مواليا للنبى حقا فعليه أن يوالى عليا لان النبي صلى الله عليه وآله قال: من كنت مولاه فعلى مولاه ! على أن الايمان ومقره القلب ولا يعلمه إلا الله ليس أمره سهلا، وأن مظاهره ليست في أداء الفرائض ولا في التظاهر بحب النبي والتبرك بآثاره وإنما آيته أن يتبع الرسول فيما جاء به أمرا ونهيا اتباعا ليس فيه ترخص ولا انحراف، ومثل معاوية بما اقترف في حكمه من الموبقات لا يصح في عقل عاقل أن يعد من المؤمنين الصادقين. (٢) قال أبو معاوية الضرير: كتب هشام بن عبد الملك إلى الاعمش (أستاذ الثوري) ان اكتب مناقب عثمان ومساوئ على ! فأخذ الاعمش

القرطاس وأدخلها في فم شاة فلاكتها، وقال لرسوله: قل له: هذا جوابك - ص ٣٠١، و ٣٠٢ ج ١ وفيات الاعيان لابن خلكان. (*)

---



ومن أخطر أعماله التى كان لها أثر بعيد وأليم على المسلمين جميعا وسيبقى هذا الاثر على وجه الدهر مسجلا، أن حابى قومه بنى أمية وآل أبى معيط وآثرهم بالولايات الكبيرة " عندما استعجلوه الولاية " وهى الشام ومصر والكوفة والبصرة، وذلك لاهمية هذه الولايات وغناها، ووفرة خيراتها، وكثرة خراجها. وكانت في ذلك العصر مصدر قوة الدولة المالية - ومن العجيب أنه لم ينقض عام واحد على ولايته حتى أخذ يعزل الولاة الذين ولاهم عمر، ليستبدل بهم ولاة من بنى أمية. فعزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة وولى عليها الوليد بن عقبة بن أبى معيط، وهو الذى غش النبي صلى الله عليه وآله وكذب عليه ونزلت فيه الآية القرآنية " يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ.. " الآية، والقصة معروفة، وهو أخو عثمان لامه، وكان على البصرة أبو موسى الاشعري فعزله عنها وولى عليها ابن خاله عبد الله بن عامر ابن كريز. وكان على مصر عمرو بن العاص بعد ما افتتحها بمهارته وحسن تدبيره في عهد عمر، فلما جاء عثمان عزله عنها وولى عليها عبد الله بن أبى سرح أخاه من الرضاعة. وقد كان ابن سرح هذا من الذين اشتدوا على النبي، وأسرفوا في السخر منه. وقد نزل القرآن بكفره وذمه، وقد كان يقول: سأنزل مثل ما أنزل الله الآية، ومن أجل ذلك أهدر النبي دمه. وهو أول من كتب له بمكة. أما الشام وما حولها فقد كان معاوية على دمشق وحدها (١) فجاء عثمان وجمع الشام كله له، فلسطين وحمص، وكان على فلسطين عبد الرحمن بن علقمة،

---

(١) لما فتحت دمشق في عهد عمر أمر عليها يزيد بن أبى سفيان أخا معاوية بن أبيه وأخا أم حبيبة زوج النبي، وكان من العقلاء، توفى بالطاعون (سنة ١٨ هـ( ولما احتضر استعمل أخاه معاوية على عمله فأقره عمر على ذلك احتراما ليزيد ص ٢٣٧ و ٢٣٨ ج ٢، سير أعلام النبلاء للذهبي. وفى رواية أن الذى استعمل يزيد بن أبى سفيان على الشام هو أبو عبيدة الذى ولاه عمر على الشام بعد أن عزل خالدا عنها (ص ٣٧ ج ٢ من رغبة الآمل شرح الكامل). (*)

---



وهو كنانى، وكان على حمص عمير بن سعد وهو أنصارى وبهذا الملك العريض الذى يسيطر عليه معاوية يتصرف فيه كيف يشاء " أصبح أشبه بالملك منه بالوالى ". وكان عثمان بما مكن لبنى أمية من حكم هذه الولايات الاربع الكبيرة - وهى تعد بمثابة القواعد الاربع للدولة الاسلامية - إنما يصنع هذه القواعد لكى تقوم عليها أركان الدولة الاموية - وكأنه كذلك وهو يجمع أطراف الشام كلها بيد معاوية ويجعلها تحت سلطانه إنما يرمى إلى ترشيحه لان يكون ملكا لهذه الدولة، ويهيئ السبيل لكى يتولى الزعامة الاموية بعد أبيه أبى سفيان. وإليك ما قاله في ذلك الدكتور طه حسين (١). " وليس من شك في أن عثمان هو الذى مهد لمعاوية ما أتيح له من نقل الخلافة ذات يوم إلى آل أبى سفيان وتثبيتها في بنى أمية ". ولما أخذ يبين أعمال عثمان في تولية بنى أمية الولايات الكبيرة قال: والشئ الذى ليس فيه شك هو أن عثمان ولى الوليد على الكوفة بعد عزل سعد بن أبى وقاص، وولى عبد الله بن عامر على البصرة بعد أن عزل أبا موسى الاشعري، وجمع الشام كلها لمعاوية، وبسط سلطانه عليها إلى أبعد حد ممكن، بعد أن كانت الشام ولايات تشارك في إدارتها قريش وغيرها من أحياء العرب، وولى عبد الله بن سرح مصر بعد أن

عزل عنها عمرو بن العاص، وكل هؤلاء الولاة من ذوى قرابة عثمان، منهم أخوه لامه ومنهم أخوه في الرضاعة ومنهم خاله، ومنهم من يجتمع معه في نسبه الادنى إلى أمية بن عبد شمس، كل هذه حقائق لا سبيل إلى إنكارها (٢). ومن أعمال عثمان التى استنكرها المسلمون أشد استنكار ولا يستطيع أحد أن يدفع عنه فيها، أنه رد الحكم بن العاص وأهله إلى المدينة، وكان النبي قد أخرجهم منها للاسباب التى بيناها آنفا وظل الحكم منفيا عن المدينة حياة أبى بكر وعمر، وكان عثمان قد سألهما أن يعيداه فأبيا، ولم يكتف بإعادته مع أهله

---

(١) ص ١٢٠ من كتاب الفتنة الكبرى (عثمان) ويرجع إلى هذا الكتاب النفيس الذى بين تاريخ هذه الفترة اصدق بيان وأصرحه لا يبتغى في ذلك غير الحق. (٢) ص ١٣٥ من نفس المصدر. (*)

---



بل أعطاه مالا كثيرا قدر بمئة ألف درهم، وأقطع الحارث بن الحكم سوق المدينة ويعرف بنهروز، وكان النبي قد تصدق به على المسلمين، وأعطاه مئة ألف بعد أن زوجه ابنته عائشة. أما مروان بن الحكم فقد اختص به واتخذه لنفسه وزيرا ومشيرا وأمر له بمئة ألف. وكان قد زوجه ابنته أم أبان ثم أقطعه فدك التى كانت ملكا للنبى وكانت فاطمة رضى الله عنها طلبتها من أبى بكر فدفعت عنها بحديث أوردوه ونصه كما قالوه " لا نورث ما تركناه صدقة " (١). ظهور العصبية الجاهلية في أيام عثمان: ولا نستوفي كل أعمال عثمان التى أخذت عليه هنا - لان كتابنا هذا لا يحتملها فتطلب من مظانها. نختم كلمتنا هذه بأن نقول: إن العصبية الجاهلية التى كانت معروفة عند العرب من السفه والتعصب والانفة لاتفه الاسباب فجاء الاسلام فقضى على ذلك كله، وبين أنه ليس هناك تفاضل القبيلة أو عزة الجنس، وأن المؤمنين جميعا إخوة لا تفاضل بينهم إلا بالتقوى قال تعالى: " إنما المؤمنون إخوة "، وقال: " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ". وفى الحديث، ليس منا من دعا إلى عصبية أو قاتل على عصبية - إن هذه العصبية كانت قد اختفت في زمن النبي وصاحبيه أبى بكر وعمر حتى جاء عثمان فأعادها وأحياها، وإليك ما قاله في ذلك الدكتور أحمد أمين: لما ولى عثمان وهو أموى استعان بالامويين فكان أكثر عماله منهم وكان

---

(١) كنا نشرنا كلمة بمجلة الرسالة المصرية عن موقف أبى بكر من الزهراء في هذا الميراث ننقل منها ما يلى " إننا إذا سلمنا بأن خبر الآحاد الظنى يخصص الكتاب القطعي، وأنه قد ثبت أن النبي قال إنا لا نورث. وأنه لا تخصيص في عموم هذا الخبر فإن أبا بكر كان يسعه أن يعطى فاطمة رضى الله عنها بعض تركة أبيها كأن يخصها بفدك، وهذا من حقه الذى لا يعارضه فيه أحد، إذ يجوز للامام أن يخص من يشاء بما شاء، وقد خص هو نفسه الزبير بن العوام ومحمد بن مسلمة وغيرهما ببعض متروكات النبي، على أن فدك هذه التى منعها أبو بكر من فاطمة ولم تلبث أن أقطعها الخليفة عثمان لمروان (العدد ٥١٨ من السنة الحادية عشرة من مجلة الرسالة). (*)

---



كاتبه وأمين سره مروان بن الحكم الاموى، ومروان هذا وشيعته قد هدموا كل ما بناه الاسلام من قبل، ودعمه أبو بكر وعمر من محاربة العصبية القبلية وبث الشعور بأن العرب وحدة، وحكموا كأمويين ! لا

كعرب فحرك ذلك ما كان كامنا من العداوة القديمة الجاهلية بين بنى هاشم وبنى أمية، وانتشرت الجمعيات السرية في آخر عهد عثمان تدعو إلى خلعه وتولية غيره (١). بعد مقتل عثمان: بويع أمير المؤمنين على رضوان الله عليه بعد مقتل عثمان بيعة صحيحة، وكان من الذين بايعوه طلحة والزبير وهما من الذين قيل: إنهم من العشرة المبشرين بالجنة ! ولكنهما لم يلبثا قليلا حتى نقضا بيعتهما وخلعا من الطاعة أيديهما " وكان من الحق عليهما أن يفيا بالعهد ويخلصا للبيعة التى أعطياها (٢) " وحرضتهما عائشة على الوقوف من على موقف الخصومة والحرب، لانها كانت غاضبة من بيعة الناس لعلى أشد الغضب، حتى لقد قالت حينما بلغها أمر هذه البيعة كلمتها المشهورة وهى " لا يمكن أن تتم هذه البيعة ولو انطبقت السماء على الارض (٣) وذلك لما كانت تكن في قلبها من بغض وموجدة لعلى، بسبب رأيه المعروف في حديث الافك، ولانه زوج بنت ضرتها السيدة الجليلة خديجة، وكانت تغار منها حتى بعد موتها، ولانه تزوج بأسماء الخثعمية بعد وفاة أبى بكر وهى أم أخيها محمد بن أبى بكر. ولم تلبث عائشة حتى أمسكت بزمام الفتنة وركبت جملها (٤) لتحرض

---

(١) ص ٣١١ من فجر الاسلام. (٢) يقول الفقهاء: إن الباغى على الامام الحق، والخارج عليه بشبهة أو بغير شبهة هو فاسق، ولا ندرى ماذا يقولون فيمن خرج على على من كبار الصحابة ؟ هل يدخلون تحت هذا الحكم ؟ أم أن الصحبة تخرجهم منه ؟ (٣) كانت حينئذ قد فارقت المدينة إلى مكة بحجة الحج ! ولكنها في الحقيقة لما رأت أن نار الثورة في المدينة قد اشتد سعيرها وتوشك أن تلتهم عثمان أرادت أن تبتعد عن لهيبها، على حين أنها كانت من الذين حرضوا على الفتنة بمثل قولها: اقتلوا نعثلا - أبعده الله - وغير ذلك، ولم يكن غيظها من مبايعة على رضى الله عنه بأقل من حزنها على عدم استخلاف طلحة التيمى، إذ كانت تريد أن تعود الخلافة (تيمية) حتى بعد عمر ! ولكنها لم تستطع ! (٤) كان هذا الجمل هدية من يعلى بن أمية اشتراه لها بثمانين دينارا لتركب عليه وهى تسوق = (*)

---



الناس على على، ولتؤيد طلحة والزبير في محاربتهما إياه. وكانت وقعة الجمل المشهورة التى قتل فيها عشرات الالوف من المسلمين ! وفى ذلك يقول على في خطبة له: أيها الناس: إن عائشة سارت إلى البصرة ومعها طلحة والزبير وكل منهما يرى الامر له دون صاحبه، أما طلحة فابن عمها، وأما الزبير فختنها ! والله إن راكبة الجمل الاحمر ما تقطع عقبة، ولا تحل عقدة إلا في معصية الله وسخطه (١) وقال في خطبة رواها ابن عبد البر في الاستيعاب جاء فيها: بايعوني ولم أستكره أحدا، وبايعني طلحة والزبير، ولم يصبرا شهرا كاملا حتى خرجا إلى العراق ناكثين، وإنى منيت بأربعة: أدهى الناس وأسخاهم طلحة، وأشجع الناس الزبير، وأطوع الناس في الناس عائشة، وأسرع الناس إلى فتنة يعلى بن أمية. وبعد أن انتهت وقعة الجمل بنصر على استعرت الحروب في صفين بين على ومعاوية وفى هذه الحروب تألبت جميع القوى على على رضى الله عنه (٢).

---

= جحافل الجيوش لحرب على زاعمة أنها تطالب بثأر عثمان * ويعلى هذا كان عاملا لعثمان على اليمن ثم عزله على، فأسرها في نفسه، وقد شهد تدبير المؤامرة في بيت عائشة وأعان المحاربين بأربعمائة ألف وحمل سبعين رجلا من قريش. (١) ص ٧٨ ج ١ تاريخ أبى الفدا. (٢) لك الله يا على ! تألبت كل القوى عليك، وكم نلت من البعيد والقريب، وكم حملت مما تأبى الجبال أن تحمله، وقد صدق أحمد شوقي شاعر الاسلام في وصف موقف عائشة وصاحبها من على، حيث قال رحمه الله: يا جبلا تأبى الجبال ما حمل * ماذا رمت عليك ربة الجمل * * * * من العجيب أن عائشة أم المؤمنين، كانت أول من أنكر على عثمان ما وقع منه، كانت تخرج قميص النبي " ص " وتقول: هذا قميصه لم يبل وقد بلى دينه، وكانت تقول: اقتلوا نعثلا فقد كفر ! ولما بويع

على بيعته الصحيحة قالت: ما كنت أبالى أن تقع السماء على الارض، ثم أشعلت على على نار الحرب بمعاونة طلحة والزبير إلخ. وقد وصف كارل بروكلمان السيدة عائشة بأنها المحبة للفتنة ص ١٣٣ ج ١ من كتاب تاريخ الشعوب الاسلامية، ووصفها كذلك (بالداهية) ص ١٣٧ من نفس المصدر. * * ربة الجمل عائشة التى تركب جملا في هذه الحرب. (*)

---



وبعد حروب طاحنة في وقائع الجمل وصفين، قتل على رضى الله عنه غيلة بيد مجرم أثيم لعين، وبذلك انقض أكبر حصن أمام الامويين. وعندما بلغ عائشة نبأ قتله تمثلت بقول الشاعر: فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

---

أثأر عثمان الذى شجاها * أم غصة لم ينتزع شجاها قضية من دمه تبنيها * هبت لها واستنفرت بنيها ذلك فتق لم يكن بالبال * كيد النساء موهن الجبال وإن أم المؤمنين لامرأه * وإن تك الطاهرة المبرأه أخرجها من كنها وسنها * ما لم يزل طوله المدى من ضغها صاحبة الهادى وصاحباه * فكيف يمضون لما يأباه وجاء في الاسد أبو تراب (١) * على متون الضمر العراب يرجو لصدع المؤمنين رأبا * وأمهم تدفعه وتأبى تجر ذات الطهر فيه عسكرا (٢) * وتذمر (٣) الخيل وتغرى العسكرا (٤) والقصيدة طويلة على هذا الغرار الرائع (٥). وقال ابن قتيبة في عيون الاخبار: دخلت أم أفعى العبدية على عائشة فقالت: يا أم المؤمنين، ما تقولين في امرأة قتلت ابنا صغيرا لها ؟ قالت: وجبت لها النار ! قالت: فما تقولين في امرأة قتلت من أولادها الاكابر عشرين ألفا (أي عدد من قتلوا في وقعة الجمل) ! قالت عائشة: خذوا بيد اللعينة عدوة الله ! وروى البلاذرى في أنساب الاشراف قال: عرضت لعائشة حاجة فبعثت إلى ابن أبى عتيق، أن ارسل إلى بغلتك لاركبها في حاجة، فقال لرسولها وكان مزاحا: قل لام المؤمنين، ما رحضنا عار يوم الجمل ! أفتريدين أن تأتينا بيوم البغلة (٦) ! * كانت عائشة كما قلنا تسوع خروجها على على بأنها تطالب بثأر عثمان على حين أن القرآن يقول في سورة الاحزاب " وقرن في بيوتكن ولا تبرجن.. الاية ". وانظر الفرق الهائل بينها وبين الحصان العاقلة الرزان أم سلمة التى كانت تقول كما روى البخاري عنها (ص ٨٦ ج ٧): " لا يحركني ظهر بعير حتى ألق النبي ". ١ أبو تراب هو على رضى الله عنه. ٢ - عسكر اسم جمل عائشة التى كانت تركبه في وقعة الجمل. ٣ - تذمر الخيل أي تحثها. ٤ - العسكر هنا معناه الجيش. ٥ - ص ٥٤ و ٥٥ من كتابه دول العرب وعظماء الاسلام. ٦ - ص ٤٢١ ج ١. (*)

---



وقال الفيلسوف الانجليزي المشهور ولز الذى يعد في طليعة مفكري هذا العصر في كتابه " تجربة في التاريخ العام - في مبحث الاسلام " عن موقف عائشة من الحرب الداخلية، ما ترجمته: " إن الاسلام كاد يفتح العالم أجمع لو بقى سائرا سيرته الاولى، ولو لم تنشب في وسطه من أول الامر الحرب الداخلية، فقد كان هم عائشة أن تقهر عليا قبل كل شئ " (١). وقال عنها بركلمان في تاريخ الشعوب الاسلامية: " وأما عائشة الداهية فتركت المدينة تحت ستار من الحج إلى مكة لكى لا تشهد الوقائع فيما بعد " (أي فتنة عثمان) (٢). ثم وصفها بأنها " المحبة للفتنة " (٣).

---

(١) ص ١٤١ ج ١ حاضر العالم الاسلامي. (٢) ص ١٧٣ ج ١. (٣) ص ١٣٣ من نفس المصدر. (*)

---

معاوية بن أبى سفيان هو معاوية بن أبى سفيان بن أمية بن عبد شمس، وأمه هند بنت عتبة ابن أبى ربيعة بن عبد شمس وهى أم أخيه عتبة بن أبى سفيان، أما يزيد ومحمد وعنبسة وحنظلة وعمرو فمن أمهات شتى. ومعاوية مطعون في دينه وقد كان في الجاهلية زنديقا، وأصبح بعد الاسلام طليقا. " وقد ورث عن أبيه قوته وقسوته وكيده ودهاءه ومرونته كذلك، ولم تكن أم معاوية بأقل من أبيه تنكرا للاسلام وبغضا لاهله وحفيظة عليهم، وهم قد وتروها يوم بدر فثأر لها المشركون يوم أحد. ولكن ضغنها لم يهدأ وحفيظتها لم تسكن، حتى فتحت مكة فأسلمت كارهة كما أسلم زوجها كارها (١) " وكما أسلم كذلك ابنها معاوية بعد إسلام أبيه كارها. وهند هذه هي التى أغرت وحشيا بحمزة عم النبي حتى قتله ثم أعتقته، ولما قتل حمزة بقرت بطنه، ولاكت كبده، وفعلت فعلاتها بجثته ! وإذا كان معاوية قد ورث بغض على عن آبائه - مما حدثناك عنه، فإن هناك أسبابا أخرى تسعر من نار هذا البغض، منها أن عليا قتل أخاه حنظلة يوم بدر، وخاله الوليد بن عتبة وغيرهما كثيرين من أعيان وأماثل عبد شمس. ومن أجل ذلك كان معاوية أشد الناس عداوة لعلى يتربص به الدوائر دائما، ولا يفتأ يسعى في الكيد له سرا وعلانية، قولا وعملا. معاوية وحروب الجمل: وقد انتهز معاوية فرصة حروب الجمل فأخذ يحرض طلحة والزبير وعائشة ويظاهرهم، وكان يعد طلحة والزبير بالبصرة والكوفة بأن يحكم كل واحد منهما

---

(١) ص ٦١ من كتاب " على وبنوه " للدكتور طه حسين. (*)

---



إحداهما حتى إذا انتهت هذه الحروب بهزيمة من أثاروها، أشعل الحرب بينه وبين على في صفين وغيرها، ثم انتهى الامر بقتل على بمؤامرة كما ذكرنا ذلك من قبل. ولا تنس أنه لم يبايع عليا عندما بويع له - كما بايع كل الولاة، وخرج عليه. انصراف معاوية إلى أولاد على بعد قتل أبيهم: ولم يشبع نهم الحقد الاموى قتل هذا الامام العظيم، بل صرف معاوية كيده وبغيه أول الامر إلى الحسن رضى الله عنه الذى كان يزاحمه بحقه في الخلافة وما زال يراوغه بكيده حتى تخلص منه بالسم (١). ومات معاوية قبل أن يلحق الحسين بأخيه الحسن (٢)، وهما ريحانتا النبي صلى الله عليه وآله وترك ذلك لابنه يزيد. وممن سمهم معاوية: عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وذلك عندما شاور أهل الشام فيمن يعقد له من بعده فقالوا له: رضينا بعبد الرحمن بن خالد وكان أهل الشام يحبونه، فشق ذلك على معاوية وأسرها في نفسه ثم مرض عبد الرحمن بعد ذلك فأمر معاوية طبيبا يهوديا - وكان مكينا عنده. أن يأتيه فيسقيه سقية تقتله، فأتاه فسقاه فانخرق بطنه فمات (٣).

---

(١) سمته امرأته جعدة بنت الاشعث بتدسيس معاوية، وكان وعدها أن يزوجها من يزيد وأن يعطيها مئة ألف درهم فسوغها المال ولم يزوجها منه، فخلف عليها رجل من آل طلحة فأولدها فكان إذا وقع بينهم وبين بطون قريش كلام عيروهم وقالوا: يابن مسمة الازواج (ص ٧٣ من مقاتل الطالبيين)، وذكر الاصفهانى في هذا الكتاب، أن معاوية عندما أراد البيعة لابنه يزيد لم يكن شئ أثقل عليه من أمر الحسن بن على وسعد بن أبى وقاص فدس إليهم السم فماتا منه. (٢) عن أبى أيوب الانصاري قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله والحسن والحسين يلعبان على صدره فقلت يا رسول: أتحبهما ؟ قال: كيف لا أحبهما وهما ريحانتاى في الدنيا. وعن عبد الله، رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ بين الحسن والحسين وقال: هذان ابناى فمن أحبهما فقد أحبنى، ومن أبغضهما فقد أبغضى (ص ١٨٩ و ١٩٠ ج ٣ سير الاعلام). وعن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وآله جلل حسنا وحسينا وفاطمة بكساء ثم قال: اللهم هؤلاء أهلى وخاصتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا (ص ١٦٨ من نفس المصدر). (٣) راجع ترجمته في الاستيعاب. (*)

وعلى أثره مات عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق بالسم، وكان سبب ذلك أم معاوية حينما كان يدعو إلى بيعة يزيد قال له عبد الرحمن هذا: أهرقلية إذا مات كسرى كان كسرى مكانه ؟ لا نفعل والله أبدا، فبعث إليه معاوية بمئة ألف درهم، فردها عبد الرحمن وقال: " أبيع دينى بدنياى ". وما لبث أن مات فجأة بموضع يقال له الحبشى ! (جبل بأسفل مكة) وحمل إلى مكة فدفن فيها (١). وممن سمهم معاوية كذلك مالك بن الاشتر الذى ولاه الامام على على مصر وكان سمه في عسل ولذلك قال عمرو بن العاص في ذلك إن لله جنودا من عسل. ولا نحصى من تخلص منهم معاوية بالسم. وهذه سنة الحكام الطغاة في كل زمان، ولعلك لا تنسى أن عبد الرحمن بن أبى بكر كان في حرب الجمل مع عائشة أخته وكان هو وعبد الرحمن بن خالد مع معاوية في حرب صفين، ولكن الطغاة لا يبالون شيئا عند طغيانهم، ومن العجيب أن عائشة لم تغير موقفها في تأييد معاوية وقد قضى على أخوين لها. عبد الرحمن هذا، ومن قبله محمد بن أبى بكر، وكان ولاه الامام على مصر فقتلوه ومثلوا به أبشع تمثيل فألقوه بعد قتله في جيفة حمار وألقوا به في العراء. ومن أعجب العجب أن عائشة لم يفثأ من غليان حقدها ولم يطفئ من نار غيظها أن قتل على وخلا الجو لها، واستولى على الملك من تؤثرهم بحبها، فقد وقفت من الحسن موقفا يدل على الخسة يشاركها في ذلك بنو أمية، ذلك أنه بعد أن سمه معاوية وشعر بدنو أجله وأرسل إلى عائشة أن تأذن له بأن يدفن مع جده، ففزعت وأسرعت فركبت بغلا واستنفرت بنى أمية، وكان على المدينة حينئذ مروان بن الحكم فاشتملوا بالسلاح وقالوا: لا يدفن مع النبي، فبلغ ذلك الحسن عليه السلام فأرسل إلى أهله: أما إذا كان هذا فلا حاجة لى فيه، ادفنوني إلى جانب أمي، فدفن إلى جانب أمه فاطمة عليها السلام (ص ٧٥ من مقاتل الطالبين).

---

(١) راجع كذلك ترجمته في الاستيعاب لابن عبد البر. (*)

---



يزيد والحسين كيف قتل الحسين وأهله ! ولما آل الحكم بالوراثة الاستبدادية إلى يزيد بن معاوية (١) الذى ورث البغى والظلم والحقد عن أبيه وجده وسائر قومه، واجتمعت فيه كل خصال الاموية الذميمة وطباعها الاثيمة، أخذ يتمم سياسة أبيه وجده، فأرصد بغيه إلى السبط الثاني وهو الحسين رضى الله عنه، وكان يخشاه أشد خشية، لانه أحق وأجدر بالخلافة منه ومن أبيه، وسولت له نفسه أن يرتكب معه أبشع جريمة تقشعر منها الابدان. وإنا هنا ننقل موجزا لما قاله الدكتور طه حسين في وصف هذه الجريمة البشعة قال حفظه الله وشفاه: ندب ابن زياد لحرب الحسين رجلا من أقرب الناس إليه هو عمر بن سعد ابن أبى وقاص (٢) وأرسل معه جيشا من بضعة آلاف فمضى عمر حتى لقى الحسين فعرض الحسين على عمر أن يختار خصلة من ثلاث، فإما أن يخلو بينه وبين طريقه إلى الحجاز، وإما أن يسيروه إلى يزيد بالشام ليكون بينه وبين يزيد ما يكون (٣)، وإما أن يخلوا بينه وبين الطريق إلى ثغر من ثغور المسلمين، فرضى

(١) كان يزيد هذا صاحب لهو وعبث مسرفا في اللذات مستهترا، وكانت أمه ميسون نصرانية كنائلة زوج عثمان وكانت كثيرا ما تصطحبه إلى البادية حول تدمر حيث تقيم قبيلتها وهناك شرب الخمر وانغمس في اللذات وأخذ منها ما شاء له هواه وفسقه وقد كانوا يسمونه يزيد القرود ويزيد الخمور. (٢) كان عبيدالله بن زياد قد جعل لعمر بن سعد بن أبى وقاص ولاية الرى إن هو خرج على الحسين وقاتله، والرى كما جاء في معجم البلدان لياقوت: مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن كثيرة الفواكه والخيرات، وهى محط الحاج وهى بين نيسابور وداربن، وقال الاصطخرى: هي مدينة ليس بعد بغداد في المشرق أعمر منها. وقال الاصمعي: هي عروس الدنيا وإليها يتجر الناس (ص ٣٥٥ - ٣٥٨ ج ٤ معجم البلدان). (٣) يشك بعض المؤرخين ونحن منهم في هذه الخصلة لانها لا تليق بمقام الحسين ولا بدينه ولا بشهامته، راجع ما قاله الجاحظ فيما سبق أن نقلناه عنه. (*)

---



عمر بن سعد وقال: أؤامر ابن زياد، ولما كتب إليه في ذلك أبى إلا أن ينزل الحسين على حكمه، ولم يكد عمر يقرأ كتاب ابن زياد، حتى طلب إلى الحسين أن ينزل على حكم ابن زياد فأبى الحسين وقال: أما هذه فمن دونها الموت ! فزحف عمر بجيشه على الحسين وأصحابه وكانوا اثنين وسبعين رجلا فقاتلوهم أكثر من نصف النهار وأبلى الحسين وبنو أبيه، وبنو عمومته ومن كان معهم من أنصاره القليلين أعظم البلاء وأقساه، ورأى الحسين المحنة كأبشع ما تكون المحنة، رأى إخوته وأهل بيته يقتلون بين يديه، وفيهم بنوه وبنو أخيه الحسن وبنو عمه، وكان هو آخر من قتل منهم بعد أن تجرع مرارة المحنة فلم يبق منها شيئا (١). وقد كانوا يجزون رءوس القتلى ثم يسلبونها ! وسلبوا الحسين حتى تركوه متجردا بالعراء. ثم يسبون النساء كما يسبى الرقيق، وفيهم زينب حفيدة رسول الله ثم يأتون بهم ابن زياد وكان معهم على بن الحسين وكان صبيا (٢) فأرسلهم ابن زياد مع سائر أهل الحسين إلى يزيد وقدم رءوس القتلى بين أيديهم وفيهم رأس الحسين فدخلوا به على يزيد فوضع أمامه فجعل ينكت في ثغره بقضيب (٣) كان في يده وينشد: يفلقن هاما من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعق وأظلما (٤)

---

(١) قتل مع الحسين ١٧ رجلا كلهم من ولد فاطمة وقتل ٢٣ رجلا من غيرهم وكان قتله يوم الجمعة لعشر خلت من المحرم سنة ٦١ هـ بكر بلاء من أرض العراق (ص ١٤٦ ج ١ من الاستيعاب). (٢) عن أبى حمزة بن يزيد الحضرى قال: رأيت امرأة من أجمل النساء وأعقلهن يقال لها رية حاضنة يزيد قالت: دخل رجل على يزيد فقال: أبشر فقد أمكنك الله من الحسين، وجئ برأسه فوضع في طست فأمر الغلام فكشف فحين رآه أحمر وجهه كأنه شم منه، فقلت لها: أقرع ثناياه بقضيب ؟ قالت إى والله، ثم قال حمزة وقد حدثنى بعض أهلنا أنه رأى رأس الحسين مصلوبا بدمشق ثلاثة أيام (ص ٢١٥ و ٢١٦ ج ٣ سير أعلام النبلاء). (٣) راجع وصف ما صنعوه مع هذا الصبى فيما نقلناه من كلام الجاحظ آنفا وما فعلوه بالحسين وبمن كانوا معه. (٤) هذا البيت من قصيدة للحصين بن الحمام المرى وهو شاعر جاهلي مقل، قال أبو عبيدة: (اتفقوا على أن أشعر المقلين في الجاهلية ثلاثة، المسيب بن غلس، والمتلمس وحصين بن الحمام هذا). (*)

---



وأدخل السبي على يزيد فأدخلهم على أهله، ثم جهزهم بعد ذلك إلى المدينة. وقال الدكتور طه حسين بعد تفصيل رائع مؤثر لما حدث: " والرواة يزعمون أن يزيد تبرأ من قتل الحسين على هذا النحو ! وألقى عبء هذا الاثم على ابن مرجانة عبيد الله بن زياد، ولكنا لا نراه لام ابن زياد، ولا عاقبه، ولا عزله عن عمله كله أو بعضه - ومن قبله قتل معاوية حجر بن عدى وأصحابه ثم ألقى عبء قتلهم على زياد وقال: حملني ابن سمية فاحتملت (١) اهـ باختصار. وفى مقاتل الطالبيين للاصفهاني (ص ١١٩ جـ ١): وحمل خولى بن يزيد رأسه إلى عبيد الله بن زياد، وأمر ابن زياد أن يوطأ صدر الحسين وظهره

وجنبه ووجهه فأجريت الخيل عليه. وبقتل هؤلاء الاقطاب الثلاثة الكبار (٢)، خلا الجو لبنى أمية وامتد سلطانهم على البلاد الاسلامية كلها يستمتعون بحكمها، ويتوارثون هذا الحكم فيما بينهم، بلا منازع ولا معارض، يحكمون حكما استبداديا أمويا قبليا، أساسه الرهبة والضغط والقهر، مستبدلين إياه بحكم الشورى الاسلامي العادل متبعين في ذلك سنن من كان قبلهم من الاكاسرة والقياصرة. وبهذا الحكم تحقق لعثمان كل ما كان يريده لقومه بنى أمية. إذ ما كاد ينقلب إلى ربه، حتى بدت العصبية الاموية أقوى وأعنف ما تكون كما قلنا بما هيأ لها أثناء حكمه، وكشفت القناع عما كانت تخفيه من حردو موجدة لبنى هاشم.

---

(١) ص ٢٦٣ - ٢٦٥ من الجزء الثاني من الفتنة الكبرى (على وبنوه). (٢) عن أم سلمة: أن النبي صلى الله عليه وآله جلل عليا وفاطمة وابنيهما بكساء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتى خاصتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. فقلت يا رسول الله: أنا منهم ؟ قال: أنت إلى خير (ص ١٩٠ ج ٣ سير النبلاء). وقال الامام إبراهيم النخعي: لو أنى كنت فيمن قاتل الحسين ثم أتيت بالمغفرة من ربى فأدخلت في الجنة لاستحييت من رسول الله أن أمر عليه (صفحة ٤٠ ج ٢ من الروض الباسم). (*)

---



فوقف معاوية زعيم الفئة الباغية من على، موقف أبى سفيان من النبي، وجاء يزيد فوقف من الحسين موقف جده من النبي وموقف أبيه من على رضى الله عنه، وصدق قول الشاعر الذى سقناه لك من قبل وقد كان أول عمل لمعاوية بعد أن استولى على الحكم أن كتب إلى عماله في جميع الآفاق بأن يلعنوا عليا في صلواتهم وعلى منابرهم (١) ولم يقف الامر عند ذلك بل كانت مجالس الوعاظ في الشام تختم بشتم على (ص ٤٠٧ ج ٣ ابن عساكر) وأن لا يجيزوا لاحد من شيعته وأهل بيته شهادة وأن يمحوا من الديوان كل من يظهر حبه لعلى وأولاده وأن يسقطوا عطاءهم ورزقهم. هذه فذلكة وجيزة بينا فيها كيف نشأت دولة بنى أمية، والذى بعثنا عليها أنها (أولا) تكشف عن سياسة هذه الدولة التى قلبت نظام الحكم من خلافة عادلة أساسها الشورى إلى ملك عضوض يقوم على الاستبداد. وفى عهدها تحول تيار التاريخ الاسلامي عن مجراه المستقيم وانحرف هاهنا وهاهنا، يسير على غير هدى (٢) (وثانيا) لولا قيامها على ما قامت عليه، ما كان أبو هريرة الذى نؤرخ له، ولا كانت أحاديثه التى شرقت بها الكتب، ولبقى مطمورا لا يعرفه أحد، ولا يعنى به إنسان ! فهى التى رفعته من الضعة والخمول، وخلعت عليه رداء الشهرة والظهور، وكان له بفضلها ذكر في التاريخ الاسلامي عند كثير من الناس أي ذكر.

---

(١) ظلت هذه العادة الذميمة الملعونة حتى أبطلها الامام العادل عمر بن عبد العزيز الذى تولى من سنة ٩٩ إلى ١٠١ هـ وقتل بالسم لانه لم يحكم حكما أمويا، بل حكمه إسلاميا. هذه الموبقة الفظيعة التى لا يرخصها ماء البحر والتى لا تفتأ تلبب معاوية بإثمها الكبير في حياته وبعد مماته إلى يوم الدين قال عنها الاستاذ العقاد: وإذا لم يرجح من أخبار هذه الفترة إلا الخبر الراجح عن لعن " على " على المنابر بأمر معاوية لكان فيه الكفاية لاثبات ما عداه مما يتم به الترجيح بين كفتى الميزان (ص ١٦ من كتاب معاوية بن أبى سفيان في الميزان). (٢) قال الربيع بن يونس: سمعت المنصور يقول: الخلفاء أربعة، أبو بكر وعمر وعثمان وعلى، والملوك أربعة، معاوية وعبد الملك وهشام وأنا (ص ٣٣ ج ٢ النجوم الزاهرة). ومن خطبة لعبد الملك بن مروان: إنى والله ما أنا بالخليفة المستضعف (يعنى عثمان) ولا أنا بالخليفة المداهن (يعنى معاوية) ولا الخليفة المأبون (يعنى يزيد بن معاوية). (*)

---

كانت مؤامرة مدبرة ! ! قبل أن نفرغ من هذا الفصل نتحدث في سطور قليلة عن تلك المؤامرة التى دبروها ضد على رضى الله عنه لكى يقضوا عليه، وينقلوا الامر إلى حكم أموى مبلى. ذلك أنهم - لكى يسوغوا خروجهم على على رضى الله عنه - ادعو أنه قد غض طرفه عن قتلة عثمان فلم يقتص منهم ! وكانت عائشة (أم المؤمنين) أشد الناس عداوة له وأقواهم تحريضا عليه - وكان منها ما كان مما بيناه من قبل - على حين أنها كانت تقول في وجه عثمان. عندما وقع منه ما وقع مما أغضب المسلمين: " اقتلوا نعثلا فقد كفر "، وكانت تخرج قميص النبي صلى الله عليه وآله وتنشره بين يديها وتقول: " إن دينه قد بلى ولم يبل قميصه " ! كما بينا ذلك آنفا. ولكن ما كاد على يفارق هذه الحياة، حتى تولاها الصمت وسكتت عن الطلب بدم عثمان - وقد كان عليها إذا كانت صادقة في دعواها، أن لا تفتر عن مطلبها حتى يتحقق، ولكنها لم تطالب معاوية بما كانت تطالب به عليا، وسكتت راضية، وكذلك سكت معاوية بعد أن استوى على عرش الملك، وأصبح قادرا على أن يقتص ممن اعتدوا على عثمان، وهو الذي أثار الحرب في صفين وغيرها من أجل ثأر عثمان ! وانصرف إلى سياسة ملكه باللين والمداهنة حتى لا يثور الناس أو يخرجوا عليه. وكان آل عثمان خاصة يستيقنون أنه لابد آخذ بحقهم ! ولكن ضاع يقينهم فتأثروا وحزنوا. وإذا كان أمر هذه المؤامرة لا يخفى على الناس كافة، فإن معاوية قد فضحها بلسانه، وهاك ما أفضى به لعائشة ابنة عثمان ننشره على الناس تسجيلا لهذه الفضيحة وقد قالوا (الاعتراف سيد الادلة): قدم معاوية المدينة فدخل دار عثمان فقالت عائشة ابنة عثمان: وا أبتاه ! وبكت. فقال معاوية: يا ابنة أخى، إن الناس أعطونا طاعة

---



وأعطيناهم أمانا، أظهرنا لهم حلما تحته غضب ! وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد، ومع كل إنسان سيفه، وهو يرى مكان أنصاره، وإن نكثنا بهم نكثوا بنا، ولا ندرى أعلينا تكون أم لنا ! ولان تكوني بنت عم أمير المؤمنين خير من أن تكوني من عرض المسلمين (١) ! ! وإذا كان معاوية قد فضح بهذا الحديث سر المؤامرة من أجل التخلص من على وبنيه، فإنه قد فضح كذلك نفسه في عبارة صادقة مكشوفة - كيف كان أسلوبه في حكم الناس ! وماذا كان يضمر الناس له ولحكمه وما يكن لهم هو من غضب ! مما يصح أن يعقد له كتاب برأسه يكون عنوانه: " كيف كان الحكم الاموى " على أنه لا يفوتنا هنا أن نأتيك بصفحة من هذا الحكم بعد الكلمة الآتية: لك الله يا على ! هذه كلمة وجيزة عن دولة بنى أمية وكيف قامت وقد اضطررنا إلى هذا الايجاز، لان استيفاء الكلام في هذا الامر يحتاج إلى كتاب خاص أو إلى كتب مطولة. ومما لا خلاف فيه ولا نزاع، أن معاوية كان باغيا، وأنه كان أول من هدم ركن الشورى في الاسلام وتبعه قومه، ومن أجل ذلك كثر كلام الناس في الانكار عليه وعلى قومه. ولا بأس من أن نورد هنا ذروا قليلا مما قالوه يكون كنموذج. وسنجعل في صدر ما ننقله ما جاء في صحيح البخاري عنه. عقد البخاري في كتابه فصلا بعنوان (فضائل الصحابة) ذكر فيه ما جاء عن النبي في فضل كبار الصحابة. ولما وصل إلى معاوية قال: (باب ذكر معاوية) ولم يقل باب مناقب معاوية ! أو باب فضائل معاوية ! كما يقول في غيره. ولم يذكر في الباب إلا حديثا واحدا بأنه أوتر بركعة، وقول ابن عباس فيه إنه فقيه. على أن هذا الحديث لا يكفى للدلالة على فقهه ! ولكنها السياسة ! ومن يدرينا إن كان ابن عباس قد قال هذه

---

(١) ص ٣٠٠ ج ٣ البيان والتبيين للجاحظ وابن قتيبة في عيون الاخبار وغيرهما. (*)



الكلمة ! على أن شهادة ابن عباس هذه لا تكفى لاثبات فضله. وجاء الحافظ ابن حجر ليشرح الحديث فقال (تنبيه) (١). قول عائشة في تولى معاوية الملك: عن الاسود، قلت لعائشة: ألا تعجبين لرجل من الطلقاء ينازع أصحاب محمد الخلافة ؟ قالت: وما يعجب ! هو سلطان الله يؤتيه البر والفاجر ! قد ملك فرعون مصر (٢) ! ! قول الشافعي: وروى أبو الفداء عن الشافعي أنه أسر إلى الربيع، أن لا يقبل شهادة أربعة من الصحابة وهم: معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة وزياد.

(١) شرح ابن حجر كلمة (تنبيه) فقال: عبر البخاري في هذه الترجمة بقوله ذكر ولم يقل فضيلة ولا منقبة، لكون الفضيلة لا تؤخذ من حديث الباب، وبعد أن ذكر أن ابن أبى عاصم وأبا عمر غلام ثعلب وأبا بكر النقاش قد صنعوا أجزاء في مناقبه، قال: إن ابن الجوزى بعد أن أوردها في الموضوعات ساق عن إسحاق بن راهويه (شيخ البخاري) أنه قال: " لم يصح في فضائل معاوية شئ " قال ابن حجر: فهذه النكتة في عدول البخاري عن التصريح بلفظ منقبة اعتمادا على قول شيخه (ابن راهويه). وأخرج ابن الجوزى من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل - سألت أبى، ما تقول في على ومعاوية: فأطرق ثم قال: اعلم أن عليا كان كثير الاعداء ففتش أعداؤه له عيبا فلم يجدوا فعمدوا إلى رجل قد حاربه فاطروه كيدا منهم لعلى. فأشار بهذا إلى ما اختلقوه لمعاوية من الفضائل مما لا أصل له، وقد ورد في فضائل معاوية أحاديث كثيرة لكن ليس فيها ما يصح من طريق الاسناد، وبذلك جزم إسحاق بن راهويه والنسائي وغيرهما اهـ. وللنسائي قصة مشهورة في أمر فضائل معاوية. قال الدارقطني: خرج النسائي حاجا فامتحن بدمشق وأدرك الشهادة فقال: احملوني إلى مكة وتوفى بالرملة. وكان أصحابه في دمشق قد سألوه عن فضائل معاوية، فقال: ألا يرضى رأسا برأس حتى يفضل ؟ فما زالوا يدفعونه حتى أخرج من المسجد. وللنسائي كتاب في خصائص على رضى الله عنه. وقال الشوكاني في كتابه الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة وفيها تحقق الحفاظ على أنه لم يصح في فضائل معاوية حديث.
(٢) ص ٩٥ ج ٣ من سير أعلام النبلاء للذهبي. (*)



قول الحسن فيه: وإليك كلمة جامعة في معاوية قالها الحسن البصري: روى الطبري أن الحسن كان يقول: " أربع خصال كن في معاوية، ولو لم يكن فيه منهن إلا واحدة كانت موبقة: انتزاؤه على هذه الامة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلاف ابنه بعده سكيرا خميرا، يلبس الحرير ويضرب الطنابير، وادعاؤه زيادا، وقد قال رسول الله: الولد للفراش وللعاهر الحجر، وقتله حجرا وأصحابه، ويل له من حجر وأصحابه ! ويل له من حجر وأصحابه ". وكان السبب في قتل حجر بن عدى أنه كان يرد على المغيرة بن شعبة عامل معاوية على الكوفة شتائمه لعلى رضى الله عنه، وكان معاوية قد أمر ولاته وعماله - كما بينا - بشتم على رضى الله عنه وعيب أصحابه وإقصائهم، ووقع بينه وبين المغيرة كذلك ما وقع بسبب إنكاره على فعلاته. ثم فعل حجر مثل ذلك مع زياد الذى تولى الكوفة بعد المغيرة (١)، فكبر على زياد أن يعارضه أحد، فأمر بسجنه ومعه أحد عشر من أصحابه وادعى أنه شتم الخليفة ! ودعا إلى حربه ! وأتى بشهود يؤيدونه في قوله، ثم أرسله هو وإخوانه إلى معاوية - وعلى أن شريحا قد شهد بأن حجرا يقيم الصلاة، ويؤتى الزكاة، ويديم الحج والعمرة، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. وأنه حرام الدم والمال، فإن معاوية لم يستمع لشهادة شريح وبعث إلى من مع حجر يعرض عليهم البراءة من على واللعن له وإلا قتلهم ! فقالوا لسنا على ذلك، فحفروا لهم القبور وأحضرت الاكفان، وقام حجر وأصحابه للصلاة عامة

الليل فلما كان الغد قدموهم فقتلوهم. ومما قاله معاوية لاحدهم: يا أخا ربيعة ما تقول في على ؟ فقال له: دعني !

---

(١) مما أثار كامن الغضب عند زياد من حجر أنه خطب يوم جمعة فأطال الخطبة وأخر الصلاة فقال له حجر: الصلاة ! فمضى في خطبته، فقال: الصلاة ! فمضى في خطبته، فلما خشى حجر بن عدى فوت الصلاة، ضرب بيده إلى كف من حصى وقام إلى الصلاة، وقام الناس معه. فكتب زياد بذلك وغيره مما افتراه عليه إلى معاوية: ليشده بالحديد هو ومن معه ويرسله إليه فشدوا في الحديد وحملوا إلى معاوية ففعل بهم ما فعل مما بيناه. (*)

---



لا تسألني فهو خير لك، قال: والله لا أدعك ! قال: أشهد أنه كان من الذاكرين الله كثيرا، ومن الآمرين بالحق، والقائمين بالقسط والعافين عن الناس، قال: فما قولك في عثمان ؟ قال: هو أول من فتح أبواب الظلم وأغلق أبواب الحق. قال: قتلت نفسك ! قال: بل إياك قتلت ! فأمر بقتله شر قتلة، فدفن حيا. وفى الاستيعاب لابن عبد البر وأسد الغابة، أن حجرا قال لمن حضره من أهله، لا تنزعوا عنى حديدا، ولا تغسلوا عنى دعا، فإنى لاق معاوية على الجادة، رضى الله عن حجر وإخوان حجر. وهو حجر بن عدى الكندى الملقب بحجر الخير - كان من فضلاء الصحابة وفد على النبي وشهد القادسية (١). معاوية وكيف كان يحكم لما كان معاوية على ما وصفنا، وأن أئمة السنة والشيعة قد أجمعوا على أنه كان باغيا على أمير المؤمنين المرتضى على، وترتب على بغيه عليه سفك دماء غزيرة، وفتن ومعاص كثيرة، لم يخلص المسلمون من شرها إلى هذا اليوم، والظاهر أنها ستبقى إلى يوم القيامة (٢)، وأنه أول من هدم ركن الشورى في الاسلام (٣) وبايع لابنه يزيد بالقوة والجبروت - لما كان كذلك كله فقد اضطر إلى تأييد

---

(١) راجع الطبري في حوادث سنة ٥١ وابن الاثير ص ٢٠٢ - ٢٠٩ ج ٣ وابن عساكر ص ٣٧٩ ج ٢. (٢) ص ٥٤٠ ج ٢٧ مجلة المنار للسيد رشيد رضا. (٣) قال أحد كبار علماء الالمان في الاستانة لبعض المسلمين - وفيهم احد شرفاء مكة: إنه ينبغى لنا أن نقيم تمثالا من الذهب لمعاوية بن أبى سفيان في ميدان كذا من عاصمتنا " برلين " فقيل له: لماذا ؟ قال لانه هو الذى حول نظام الحكم الاسلامي عن قاعدته الديمقراطية إلى عصبية ولولا ذلك لعم الاسلام العالم كله، وإذن لكنا نحن الالمان وسائر شعوب أوروبا عربا مسلمين (ص ٢٣٢ الوحى المحمدى). (*)

---



ملكه بضروب الرهبة والرغبة (١) فمن عارضه أو وقف في سبيله، أرداه ونكل به، إن بالسم، كما فعل بالحسن وعبد الرحمن بن أبى بكر، وعبد الرحمن ابن خالد بن الوليد، والاشتر النخعي (٢) وغيرهم ممن لا يمكن إحصاؤهم كما بيناه آنفا، وكل هؤلاء قد ماتوا بالسم، أو بالقتل كما فعل بحجر بن عدى ومن معه، ومن أرضاه ورضى به وبحكمه وناصره على بغيه، أغدق له من نواله ورفع من مقامه، كما صنع مع أبى هريرة والمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص وغيرهم. معاوية يهدم بناء الحكم الاسلامي الصحيح: وما اقترفه معاوية ودولته من بغى وعصيان وفتن لم يقف وصفه في المشرق فحسب، بل امتد إلى ما وراءه من بلاد المغرب، وإليك كلمة حكيمة للفيلسوف ابن رشد الحفيد وهى لا تحتاج إلى شرح أو تفسير. قال هذا الفيلسوف الكبير وهو يتكلم عن الحكم والسياسة: " إن أحوال العرب في عهد الخلفاء الراشدين كانت على غاية من الصلاح فكأنما وصف

أفلاطون حكومتهم لما وصف في (جمهوريته) الحكومة الجمهورية الصحيحة التى يجب أن تكون مثالا لجميع الحكومات، ولكن معاوية هدم ذلك البناء الجليل القديم، وأقام مكانه دولة بنى أمية وسلطانها الشديد، ففتح

---

(١) لما اجتمع الناس لبيعة يزيد في حضور معاوية قامت الخطباء رغم إظهار الكراهة من القوم. فقام رجل من عذرة يقال له يزيد بن المقنع فاخترط من سيفه شبرا ثم قال: أمير المؤمنين هذا، وأشار بيده إلى معاوية، فإن مات فهذا، وأشار بيده إلى يزيد ! فمن أبى فهذا ! وأشار بيده إلى سيفه ! فقال له معاوية: أنت سيد الخطباء (ص ٣٠٠ ج ١ من البيان والتبيين). ومن العجيب أنه رغم ذلك كله يظهر في دهرنا هذا حشوى ناصبى يغرق في تعصبه لمعاوية ويصفه بأنه " المهدى " وأنه كان لاهل الشام كالامام مالك لاهل المدينة ! ويروى فيه حديثا لا أصل له وهو " اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب، وأدخله الجنة ! " ثم يقول: إن من لم يصدق بهذا الحديث فهو منكر لكل ما ثبت في السنة من شريعة الاسلام ! وقال كذلك إن قواد معاوية وكبار صحابته كانوا يستهدون ملابسه للتبرك بها ! (٢) الذى ولاه على على مصر، وقال فيه عمرو كلمته المشهورة إن لله جنودا من عسل، وكان سمه من عسل !. (*)

---



بذلك بابا للفتن التى لا تزال إلى الآن قائمة قاعدة حتى في بلادنا هذه (الاندلس) " (١). هذا ما قاله الفيلسوف ابن رشد في معاوية ودولته، وفى هامش صفحة ١٨٥ التى مضت قول أحد كبار علماء الالمان في أن معاوية هو الذى حول نظام الحكم الاسلامي عن قاعدته الديموقراطية إلى عصبية. إلخ. وقال سفيان الثوري: الائمة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبد العزيز وما سوى ذلك فهم منتزون (أي متغلبون) (٢). وقال الدكتور أحمد أمين وهو يتكلم عن الحكم الاموى: " فالحق أن الحكم الاموى لمن يكن حكما إسلاميا، يسوى فيه بين الناس، ويكافأ فيه من أحسن عربيا كان أو مولى، ويعاقب فيه من أجرم عربيا كان أو مولى، ولم يكن الحكام فيه خدمة للرعية على السواء، إنما كان الحكم حكما عربيا، والحكام فيه خدمة للعرب على حساب غيرهم، كانت تسود العرب فيه النزعة الجاهلية لا النزعة الاسلامية، فكان الحق والباطل يختلفان باختلاف من صدر عنه العمل، فالعمل حق إذا صدر عن عربي من قبيلة ! وهو باطل إذا صدر عن مولى أو عربي من قبيلة أخرى (٣). معاوية في ميزان العقاد: وإذا بلغنا إلى هنا من الكلام عن معاوية وكيف كان يحكم، فإنا نردف ما قلناه بكلمات وجيزة اقتطفناها من كتاب " معاوية في الميزان "، للكاتب العالم الاستاذ عباس محمود العقاد، لا لنؤيد بها ما قلناه، وإنما لنبين أن ما نقوله هو الحق الذى لا يمارى فيه إلا جهول أو ذو هوى، أو متعصب، وقد جئنا بهذه الكلمات كما جئنا من قبل بكلمات أخرى لنصير العلم والحرية العلامة الدكتور طه حسين ليكون من ذلك كله ميسم خزى وفضيحة للذين لا يفتأون يحصبوننا بالتشيع واتباع الهوى !

---

(١) ص ٦٠ من كتاب ابن رشد وفلسفته لفرح أنطون وقد توفى ابن رشد سنة ٥٩٥ هـ سنة ١١٩٨ م. (٢) ص ١٨٥. ج ٢ جامع بيان العلم وفضله. (٣) ص ٢٧ ج ١ ضحى الاسلام. (*)

---



على أن ما كتبناه هنا، وما نقلناه عن غيرنا في وصف معاوية لم يكن إلا ذروا قليلا من أعماله التى سجلها التاريخ الاسلامي على صفحاته مما لم يسجل مثله لاحد غيره. ولو أن كتابنا هذا قد كسر

على تاريخ معاوية خاصة وما يحمل من قبائح لاستكثرنا من الشواهد والادلة، فيرجع إليها في مظانها. قال العقاد وهو يتكلم عن ناحية من سياسته، وهى ناحية التفريق بين الناس: كانت له حيلته التى كررها وأتقنها وبرع فيها واستخدمها مع خصومه في الدولة من المسلمين وغير المسلمين، وكان قوام تلك الحيلة، العمل الدائب على التفرقة والتخذيل بين خصومه، بإلقاء الشبهات بينهم، وإثارة الاحن فيهم، ومنهم من كانوا من أهل بيته وذوى قرباه، كان لا يطيق أن يرى رجلين ذوى خطر على وفاق، وكان التنافس (الفطري) بين ذوى الاخطار مما يعينه على الايقاع بينهم (١). ومضى معاوية على هذه الخطة التى لا تتطلب من صاحبها حظا كبيرا من الحيلة والروية - فلو أنه استطاع أن يجعل من كل رجل في دولته حزبا منابذا لغيره من رجال الدولة كافة لفعل ! ولو حاسبه التاريخ حسابه الصحيح لما وصفه بغير مفرق الجماعات، ولكن العبرة لقارئ التاريخ في زنة الاعمال والرجال أن نجد من المؤرخين من يسمى عامه حين انفرد بالدولة (عام الجماعة !) لانه فرق الامة شيعا، فلا تعرف كيف تتفق إذا حاولت الاتفاق، وما لبث أن تركها بعده تختلف في عهد كل خليفة شيعا شيعا بين ولاة العهود (٢). وليس أضل ضلالا، ولا أجهل جهلا من المؤرخين الذين سموا سنة (أحد وأربعين هجرية) بعام الجماعة لانها السنة التى استأثر فيها معاوية بالخلافة فلم يشاركه أحد فيها، لان صدر الاسلام لم يعرف سنة تفرقت فيها الامة كما تفرقت في تلك السنة، ووقع فيها الشتات بين كل فئة من فئاتها كما وقع فيها،

---

(١) ص ٦٤. (٢) ص ٦٦. (*)

---



إذ كانت خطة معاوية في الامن والتأمين قائمة على فكرة واحدة وهى التفرقة بين الجميع، وسيان سكنوا عن رضا منهم بالحال، أو سكنوا عجزا منهم عن السخط والاعتراض، وكان سكونهم سكون أيام أو كان سكون الاعمار والاعوام (١). وعلل العقاد جميع أعمال معاوية بعلة: المصلحة الذاتية، أو مصلحة الاسرة والعشيرة (٢). وأرجع العقاد ذلك إلى حكم الوراثة فقال: تميزت لبنى أمية في الجاهلية وصدر الاسلام خلائق عامة يوشك أن تسمى - لعمومها بينهم - خلائق أموية، وهى تقابل ما نسميه في عصرنا بالخلائق الدنيوية أو النفعية، ويراد بها أن المرء يؤثر لنفسه ولذويه ولا يؤثر عليها وعليهم في مواطن الايثار (٣). الذين يزيفون التاريخ: ثم التفت العقاد إلى الذين يزيفون التاريخ فقرعهم بهذا التقريع الاليم فقال:. وإنما المحنة الشائعة من أولئك النهازين المتطوعين الذين يقبلون العملة الزائفة، ويرفضون ما عداها، ويجاهدون من يكشف هذا الزيف ويقومه بقيمته الصحيحة، ثم تكثر العملة الزائفة في الايدى حتى يوشك أن تطرد العملة الصحيحة وتحيطها بالريبة والحذر، ولا ينفع المحك الناقد في هذه الحالة، لان المحك الناقد لم يسلم قبلها من التزييف (٤). وبعد أن تكلم عن الذين يزيفون تاريخ معاوية، وبين حرصهم على مطاوعة أهوائهم، كأنهم من صنائع الدولة في إبان سلطانها، وبين عطاياها المغدقة، قال: ولولا أننا نأبى أن نضرب الامثلة بالاسماء لذكرنا من هؤلاء المؤرخين المعاصرين من يتكلم في هذا التاريخ كلاما ينضح بالغرض ويشف عن المحاباة بغير حجة (٥).

---

(١) ص ١٨٨ و ١٨٩. (٢) ص ٣٦. (٣) ص ١١٩. (٤) ص ١٥. (٥) ص ٢٠ من كتاب معاوية في الميزان. (*)

وهؤلاء الذين أومأ إليهم العقاد ولم يفصح عن أسمائهم، نستطيع أن نذكر منهم جماعة في الشام من حفدة الامويين، منهم: مصطفى السباعي، ومحمد دروزه، ومعروف الدواليبى، ولهم ضريب جالية يقيم بمصر اسمه محب الدين الخطيب وهو من أسماء الاضداد ! ولعلهم - وأمثالهم - يفيئون إلى الحق ولا يتهمون طه حسين والعقاد وابن رشد بما اتهمونا به - عندما جهرنا بالحق في أمر معاوية ودولته - من أن عندهما (عقدة أو عقيدة الشيعية) ! وأنهما عميلان لامريكا أو يخدمان المستشرقين ! حسبنا ما قدمنا من أدلة على بيان حقيقة أمر معاوية وكيف كان يحكم، وما جناه حكمه الظالم على الناس وعلى الاسلام إلى يوم القيامة. وكان لنا أن نجتزئ بما دون ذلك من بيان، لان كتابنا لم يفرد لتاريخ هذا الملك الباغى، ولكنا اضطررنا إلى شئ من الاطالة والاستطراد، لانه لما يزل يوجد أناس في عصرنا تحطب في حبله، وتمارى في بغيه وظلمه، وتتبجح بالقول بأن دولته كانت (أعظم دولة عرفها الاسلام)، وإذا نهض منصف ليبين شيئا من صحيح تاريخه تصدوا له بالشتم والسب ووصفوه بأنه (شيعي) والتشيع في رأى هذه الفئة الحمقاء نبز لقوم ليسوا بمسلمين. الناس مع معاوية: إن قيام الدولة الاموية على ما بيناه من قبل قد جعل الناس مع معاوية على ثلاثة أقسام: قسم: أحب الهدى والحق لا يخشى في الله لومة لائم، ولا يبالى في سبيل الحق ونصرته شيئا. وهؤلاء قد أدوا حق الصحبة النبوية على أكمل ما يكون الاداء. وقسم: آثر السلامة وعطل فريضة مقاتلة الباغى والاخذ على يده، وفريضة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر كما أمر الله - ومن هذا القسم عبد الله بن

---



عمر (١)، ومحمد بن مسلمة وعبد الله بن سلام - وغيرهم - وهؤلاء الثلاثة لم يبايعوا عليا. وقسم: رضى الضلال والباطل وتشيع له واتبع ما يهوى وما يريد فناصروه وأيدوه ضد على رضى الله عنه، إن برواية أحاديث يرفعونها إلى النبي تشيد بذكره وذكر قومه وتحط من قدر على ! ومن هذا القسم أبو هريرة، إن بذلك أو بغيره من عدد النصرة الكيدية والحربية، ومن هذا القسم: عمرو بن العاص وابنه عبد الله بن عمرو (٢) - والمغيرة بن شعبة، وأبو موسى الاشعري ويعلى ابن أمية (٣) وغيرهم، ولكل من هؤلاء جميعا غرض يسعى له، ويرمى إليه.

---

(١) عن عبد الله بن حبيب، أن عبد الله بن عمر قال حين حضرته الوفاة: ما أجد في نفسي من أمر الدنيا شيئا إلا أنى لم أقاتل الفئة الباغية مع على رضى الله عنه - ص ٣٧١ ج ١ من الاستيعاب لابن عبد البر وص ٢٢٩ ج ٣ أسد الغابة. (٢) عن ابن أبى مليكة أن عبد الله بن عمرو كان يقول: مالى ولصفين (وهي التى كانت بين على رضى الله عنه وبين معاوية)، ولقتال المسلمين ! والله لوددت أنى مت قبل هذا بعشر سنين، ولوددت أنى لم أحضر شيئا منها وأستغفر الله عزوجل من ذلك وأتوب إليه - وكانت بيده " الراية " في هذه الوقعة وندم ندامة شديدة على قتاله مع معاوية. وجعل يستغفر ويتوب ص ٣٨٢ و ٣٨٣ من الاستيعاب وص ٢٣٤ ج ٣ أسد الغابة، وفى هذه الصفحة والتى بعدها (٢٣٥) من هذا الجزء أن الحسين مر على حلقة فيها أبو سعيد الخدرى وعبد الله بن عمرو فسلم فرد القوم السلام وسكت عبد الله حتى فرغوا ثم رفع صوته وقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، ثم أقبل على القوم وقال: ألا أخبركم بأحب أهل الارض إلى أهل السماء ؟ قالوا: بلى، قال: هو هذا الماشي، ما كلمني كلمة منذ ليالى صفين ! ولان يرضى عنى أحب إلي من أن يكون لى حمر النعم، فقال أبو سعيد. ألا تعتذر إليه ؟ قال: بلى، وتواعدا أن يفدوا إليه، فلما أتياه استأذن أبو سعيد فأذن له فدخل، ثم استأذن لعبدالله فلم يزل به حتى أذن له فلما دخل أخبر أبو سعيد الحسين بما جرى قبل ذلك فقال الحسين: أعلمت يا أبا عبد الله أنى أحب أهل الارض إلى أهل السماء ؟ قال: إى ورب الكعبة. قال فما حملك على أن تقاتلني وأبى يوم صفين ؟ فوالله لابي كان خيرا منى ! قال: أجل ولكن أبى أقسم على - وكان الرسول قد أمرنى بطاعته فخرجت، أما والله ما اخترطت سيفا، ولا طعنت

برمح ولا رميت بسهم. (٣) يعلى ابن أمية أسلم يوم الفتح وشهد حنينا والطائف وتبوك استعمله عمر على بعض اليمن فحمى لنفسه حمى فاستدعاه عمر فمات قبل أن يصل إليه وكان ذا منزلة عند عثمان ومن أجل ذلك استعمله على صنعاء، ولما قتل عثمان كان من الذين يطالبون بدم عثمان: وأعان الزبير في محاربة على بأربعمائة ألف، وسبعين من قريش - واشترى لعائشة الجمل الذى ركبته في حرب الجمل ثم شهد وقعة الجمل، وجمل عائشة يقال له عسكر اشتراه يعلى بثمانين دينارا. (*)



ولنذكر بعض من كانوا من القسم الاول، الذين قاموا بحق الامر بالمعروف والنهى عن المنكر، أما الذين حاربوا بسيوفهم فهم فوق الاحصاء. عبادة بن الصامت: فمن الاجلاء الذين أنكروا على معاوية وسخطوا عليه، وهو في أوج سلطانه (عبادة بن الصامت) الخزرجي أحد نقباء الانصار. كان معه يوما فقام خطيب يمدح معاوية ويثنى عليه، فقام عبادة بتراب في يده فحثاه في فم الخطيب ! فغضب معاوية، فقال له عبادة: إنك لم تكن معنا حين بايعنا رسول الله بالعقبة، وكان من هذه البيعة، أن نقوم بالحق حيث كنا، لا نخاف في الله لومة لائم، وقال رسول الله: إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب. ولما اشتد غضب معاوية على عبادة رحله إلى عثمان، وقال: إنه أفسد الشام: وقال عبادة لعثمان لما رحله إليه معاوية: سمعت رسول الله يقول: سيلى أموركم بعدى رجال يعرفونكم ما تنكرون، وينكرون عليكم ما تعرفون ! فلا طاعة لمن عصى، ولا تضلوا بربكم. وفى رواية لابن عساكر أنه قال لعثمان بعد ذلك: فوالله الذى نفس عبادة بيده، إن فلانا (يعنى معاوية) لمن أولئك. فما راجعه عثمان بحرف. وكان يقول - وهو بالمدينة: تستعمل الصبيان وتقرب أولاد الطلقاء. هذا ما فعله عثمان بعبادة، فانظر البون البعيد بين عمر وبين عثمان فإن عبادة هذا عندما أنكر على معاوية في عهد عمر وقال لمعاوية: لا أساكنك بأرض، ورحل إلى المدينة قال له عمر: ما أقدمك ؟ فأخبره بأفعال معاوية، فقال له عمر: ارحل إلى مكانك، فقبح الله أرضا لست فيها وأمثالك، فلا إمرة له عليك (١). ولعبادة هذا موقف آخر سنبينه لك قريبا. وممن أنكروا على معاوية كذلك، أبو ذر الغفاري الذى قال فيه النبي

(١) ص ٢ ج ٢ من أعلام النبلاء للذهبي. (*)



" ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذى لهجة أصدق من أبى ذر ". أنكر على عثمان أن يعطى مروان بن الحكم والحارث بن الحكم، وزيد بن ثابت الانصاري ما أعطاهم من مئات الالوف من الدراهم، وتلا قول الله " والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ". وجرت بينه وبين عثمان محاورة في ذلك فأمر عثمان بأن يحلق بالشام فلم يلبث هناك بعد ما رأى من فعلات معاوية ما رأى ! أن ينكر عليه، فأراد معاوية أن يقطع لسانه بثلثمائة دينار ! فكان جوابه، إن كان هذا من عطائي قبلتها، وإن كانت جعلة فلا حاجة لى فيها ! ولما بنى معاوية قصر (الخضراء) بدمشق قال له: يا معاوية إن كانت هذه الدار من مال الله فهى الخيانة، وإن كانت من مالك فهذا هو الاسراف، وكان يقول: والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها ! والله ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيه، والله إنى لارى حقا يطفأ وباطلا يحيا، وصادقا يكذب، وأثرة بغير تقى. وكان الناس يجتمعون عليه، فنادى معاوية، أن لا يجالسه أحد. ولما اشتد إنكاره عليه كتب إلى عثمان: أن أبا ذر قد أفسد على الشام ! فكتب عثمان إلى

معاوية: أحمل جندبا (١) على أغلظ مركب وأوعره، فوجه معاوية من سار به الليل والنهار، ولم يكد يصل إلى المدينة حتى تسلخت أفخاذه وكاد يهلك، ولما قابل عثمان وذكر له ما يفعله معاوية، أمر بتسييره إلى الربذة (٢)، فلم يزل بها حتى مات سنة ٣١ - ٣٢ رضى الله عنه وأرضاه. ودخل سعد بن أبى وقاص على معاوية فلم يسلم عليه بالامرة ! فقال معاوية: لو شئت أن تقول غيرها لقلت ! قال سعد: فنحن المؤمنون ولم نؤمرك، فإنك معجب بما أنت فيه، والله ما يسرنى أنى على الذى أنت عليه، وأنى هرقت عليه محجمة دم (٣).

---

(١) هو أبو ذر. (٢) الربذة قرية على نحو ثلاثة أيام جهة شرق المدينة على طريق حاج العراق وبها قبر أبى ذر. (٣) ص ٨٣ ج ١ أعلام النبلاء. (*)

---



قيس بن سعد مع معاوية: وأرسل قيس بن سعد إلى معاوية كتابا قال فيه: أما بعد فإنك وثن ابن وثن، دخلت الاسلام كرها، وخرجت منه طوعا. ولم يقدم إيمانك، ولم يحدث نفاقك (١). وأخرج مسلم في صحيحه والترمذي، أن معاوية قال لسعد بن أبى وقاص: ما يمنعك أن تسب أبا تراب ! فقال: أما ذكرت ثلاثا، قالهن له رسول الله فلن أسبه، لان تكون لى واحدة منها، أحب إلى من حمر النعم: سمعت رسول الله يقول له، وقد خلفه في بعض مغازيه، وهى تبوك فقال له على: يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان، فقال له رسول الله: أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون بن موسى إلا أنه لا نبى بعدى، وسمعته يقول يوم خيبر: لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فتطاولنا لها، فقال: ادعوا لى عليا فأتى به أرمد ودفع الراية إليه ففتح الله عليه، ولما نزل: " قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم.. " الآية، دعا رسول الله عليا وفاطمة وحسنا وحسينا وقال: " اللهم هؤلاء أهلى " وذلك بعد أن أدار عليهم الكساء رضى الله عنهم جميعا وأرضاهم. ولما قدم معاوية المدينة لقيه أبو قتادة الانصاري (٢) فقال له معاوية: تلقاني الناس كلهم غيركم معشر الانصار، ما منعكم ؟ قال: لم يكن معنا دواب. فقال معاوية: فأين النواضح ؟ قال أبو قتادة: عقرناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر ! ! قال: نعم يا أبا قتادة. ومما قاله أبو قتادة لمعاوية يومئذ أن رسول الله قال لنا: إنا نرى بعده أثرة، قال معاوية: فما أمركم عند ذلك ؟ قال: أمرنا بالصبر، فقال: اصبروا حتى تلقوه ! وكان الحكم بن عمرو الغفاري (٣) - وكان يقال له الحكم بن الاقرع واليا من قبل زياد على خراسان فكتب إليه زياد: إن أمير المؤمنين معاوية كتب إلى، أن يصطفى له الصفراء والبيضاء (٤) فلا تقسم بين الناس ذهبا ولا فضة، فكتب

---

(١) ٨٧ ج ٢ البيان والتبيين للجاحظ. (٢) ص ١٦١ ج ١ الاستيعاب - طبع الهند. (٣) ص ١١٦ ج ١ من نفس المصدر. (٤) أي الذهب والفضة. (*)

---



إليه الحكم: بلغني أن أمير المؤمنين كتب: أن يصطفى له البيضاء والصفراء وإنى وجدت كتاب الله قبل كتاب أمير المؤمنين ! وإنه والله لو أن السماوات والارض كانتا رتقا على عبد ثم اتقى الله لجعل الله له مخرجا، والسلام عليكم، ثم قال للناس اغدوا على مالكم، فغدوا

فقسمه بينهم، وقال الحكم: اللهم إن كان لى عندك خير فاقبضني إليك، فمات بخراسان (بمرض) رحمه الله ورضى عنه وهكذا يكون الرجال. وقال معاوية لاسامة بن زيد: رحم الله أم أيمن كأنى أرى ساقيها، وكأنهما ساقا نعامة، فقال أسامة: كانت والله خيرا من هند (أم معاوية) وأكرم، فقال معاوية: وأكرم أيضا ؟ فقال: نعم، قال الله عزوجل: إن أكرمكم عند الله أتقاكم (١). بين الاحنف ومعاوية: قام رجل من أهل الشام خطيبا بين يدى معاوية ومعه وجوه الناس فكان آخر كلامه أن لعن عليا، فأطرق الناس وتكلم الاحنف فقال: يا أمير المؤمنين، إن هذا القائل ما قال آنفا لو يعلم أن رضاك في لعن المرسلين للعنهم ! فاتق الله ودع عنك عليا، فلقد لقى ربه، وأفرد في قبره، وخلا بعمله، وكان والله ما علمنا المبرز بسبقه، الطاهر خلقه، الميمون نقيبته، العظيم مصيبته، فقال له معاوية: يا أحنف، لقد أغضيت العين على القذى، وقلت بغير ما ترى، وايم الله لتصعدن المنبر فلتلعننه طوعا أو كرها، فقال له الاحنف: يا أمير المؤمنين، إن تعفنى فهو خير لك، وإن تجبرني على ذلك فوالله لا تجرى به شفتاى أبدا، فقال: قم فاصعد المنبر، قال الاحنف أما والله - مع ذلك - لانصفنك في القول والفعل قال: وما أنت قائل يا أحنف إن أنصفتني ؟ قال: أصعد المنبر فأحمد الله بما هو أهله، وأصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم أقول: أيها الناس، إن أمير المؤمنين معاوية أمرنى أن ألعن عليا، وإن عليا ومعاوية اختلفا فاقتتلا، وادعى كل واحد منهما أنه بغى عليه وعلى فئته،

---

(١) ص ٤٧٥ ج ١ أنساب الاشراف للبلاذرى وأم أيمن هي خادمة النبي وأم أسامة. (*)

---



فإذا دعوت فأمنوا رحمكم الله، ثم أقول: اللهم العن أنت وملائكتك وأنبياؤك وجميع خلقك الباغى منهما على صاحبه، والعن الفئة الباغية، اللهم العنهم لعنا كثيرا، أمنوا رحمكم الله، يا معاوية، لا أزيد على هذا ولا أنقص منه حرفا ولو كان فيه ذهاب نفسي. فغص معاوية بريقه وقال: إذن نعفيك يا أبا بحر (١). وسمع الاحنف رجلا يقول: ما أحلم معاوية ! فقال: لو كان حليما ما سفه الحق (٢). وكتب سعيد بن العاص إلى عثمان، وكان واليا من قبله على الكوفة: إنى لا أملك من الكوفة مع الاشتر (النخغي) وأصحابه الذين يدعون القراء، وهم السفهاء، شيئا، فكتب إليه أن سيرهم إلى الشام، فخرج المسيرون من قراء أهل الكوفة فاجتمعوا بدمشق فبرهم معاوية وأكرمهم، ثم إنه جرى بينه وبين الاشتر قول حتى تغالظا، فحبسه ثم أخرجه من الحبس، ولما بلغه أن قوما من أهل دمشق يجالسون الاشتر وأصحابه، كتب إلى عثمان: إنك بعثت إلى قوما أفسدوا مصرهم وأنغلوا، ولا آمن أن يفسدوا طاعة من قبلى، ويعلمونهم ما لا يجدونه حتى تعود سلامتهم غائلة واستقامتهم اعوجاجا (٣). وروى المسعودي في مروج الذهب، أن معاوية حبس صعصعة بن صوحان العبدى و عبد الله بن الكواء اليشكرى ورجالا من أصحاب على مع رجال من قريش فدخل عليهم يوما فقال: ناشدتكم الله إلا ما قلتم حقا وصدقا، أي الخلفاء رأيتموني ؟ فقال ابن الكواء: لولا أنك عزمت علينا ما قلنا ! لانك جبار عنيد لا تراقب الله في قتل الاخيار، ولكنا نقول: إنك ما علمنا واسع الدنيا ضيق الآخرة

---

(١) ص ٢٩ و ٢٩ ج ٤ من العقد الفريد. وكان الاحنف ذات يوم مع معاوية في بيته فجرى بينهما كلام اشتد فيه الاحنف مع معاوية ولم يباله فعجبت ابنة لمعاوية مما قاله الاحنف - وكانت تسمع كلامهما من وراء الستر. فلما نهض الاحنف سألت أباها

كيف تصبر على مثل ما سمعت من هذا الاعرابي ؟ فقال لها: يا بنية إنه سيد بنى تميم إذا غضب، غضب معه مائة ألف لا يسألونه لو غضب ؟ (٢) ص ٢٩٨ ج ١ أمالى المرتضى. (٣) ص ٣٩ وما بعدها ج ٥ الانساب. (*)



تجعل الظلمات نورا، والنور ظلمات. وبعد محاورة طويلة مع ابن الكواء تكلم صعصعة فقال: تكلمت يا ابن أبى سفيان فأبلغت وليس الامر على ما ذكرت ! أنى يكون الخليفة من ملك الناس قهرا ودانهم كبرا، واستولى بأسباب الباطل كذبا ومكرا، أما والله ما لك في يوم بدر مضرب ولا مرمى، ولقد كنت أنت وأبوك في العير والنفير ممن أجلب على رسول الله صلى الله عليه وآله وإنما أنت طليق ابن طليق، أطلقكما رسول الله صلى الله عليه وآله فأنى تصلح الخلافة لطليق، فقال معاوية، لولا أنى أرجع إلى قول أبى طالب حيث يقول: قابلت جهلهم حلما ومغفرة * والعفو عن قدرة ضرب من الكرم لقتلتكم (١). وقدم أبو أيوب الانصاري على معاوية فأجلسه على السرير وحادثه وقال: يا أبا أيوب: من قتل صاحب الفرس البلقاء التى جعلت تجول يوم كذا وكذا ! قال: أنا إذ أنت وأبوك على الجمل الاحمر معكما لواء الكفر، فنكس رأسه وتنمر أهل الشام وتكلموا، فقال معاوية: مه أو قال: ما نحن عن هذا سألناك ! ودخل عليه مرة فقال له: صدق رسول الله سمعته يقول: يا معشر الانصار إنكم سترون أثرة فاصبروا، ولما عاده ابنه يزيد وهو في الحبس قال له: هل لك من حاجة ؟ قال: ما ازددت عنك وعن أبيك إلا غنى (٢). المسور بن مخرمة مع معاوية: روى ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن قال: أخبرني المسور بن مخرمة أنه وفد على معاوية، قال: فلما دخلت سلمت، فقال: ما فعل طعنك على الائمة يا مسور ؟ قال. قلت: دعنا من هذا، وأحسن فيما قدمنا له ! قال: والله لتكلمني بذات نفسك ؟ قال: فلم أدع شيئا أعيبه عليه إلا بينته له فقال: لا أتبرأ من الذنوب ! فما لك يا مسور ذنوب تخاف أن تهلك إن لم يغفرها الله لك ؟

(١) راجع الجزء الثالث من مروج الذهب. (٢) ص ٢٩٤ و ٢٩٥ ج ٢ سير الاعلام. (*)



ملحة: قال معاوية لعمرو بن العاص: هل غششتني مذ نصحتني ؟ قال: لا، قال: بلى، يوم أشرت على بمبارزة على، وأنت تعلم من هو ! فقال عمرو: دعاك رجل عظيم الخطر إلى المبارزة، فكنت من مبارزته على إحدى الحسنيين ! أما إن قتلته، فقد قتلت قتال الاقران، وازددت شرفا إلى شرفك، وخلوت بملكك، وأما إن قتلت فتتعجل مرافقة الشهداء والصديقين والصالحين: قال معاوية: لهذه أشد على من الاولى، فقال عمرو، أفكنت من جهادك في شك فتكون منه الساعة ! قال: دعني عنك الآن (١). وكان على رضى الله عنه قد طلب من معاوية أن يبارزه فخنس وجبن وقد عيروه بذلك، ولكن ماذا يصنع وهو أعلم بنفسه من غيره. ولا نمضى في هذا الباب لان الامثلة كثيرة جدا تملا كتبا، إن من الرجال وإن من النساء الفضليات، مثل سودة بنت عمارة الهمدانية، وبكارة الهلالية، والزرقاء بنت عدى، وأم سنان بنت خيثمة، وعكرشة بنت الاطرش، وما لا يحصى عددهن. وبعد ذلك نأخذ في بيان القسم الثالث الذى صانع معاوية وأعانه. ومن كبار هذا القسم - كما ذكرنا - المغيرة بن شعبة، وعمرو بن العاص، وقد كانا من كبار دهاة العرب وشجعانها، وقد نال كل منهما مأربه من معاوية. فأما المغيرة بن شعبة فقد ولاه معاوية على الكوفة وكان من وصيته له: قد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة فأنا

تاركها اعتمادا على بصرك، ولست تاركا إيصاءك بخصلة ! لا تترك شتم على وذمه، والترحم على عثمان والاستغفار له، والعيب على أصحاب على والاقصاء لهم.. إلخ (٢). وظل المغيرة سبع سنين وأشهرا في الكوفة لا يدع شتم على والوقوع فيه والنيل منه.

---

(١) ص ٢٩١ و ٢٩٢ ج ١ من أمالى المرتضى. (٢) راجع حوادث سنة ٥١ ه من الطبري ج ٦ ص ١٠٨ وابن الاثير ص ٢٠٢ ج ٣. وصف كارل بروكلمان المغيرة بن شعبة بأنه رجل انتهازي لا ذمة له ولا ذمام - ص ١٤٥ ج ١ تاريخ الشعوب الاسلامية. (*)

---



وأما عمرو بن العاص فقد استطاع أن ينتزع حقه في ولايته على مصر، فإنه بعد أن افتتحها بشجاعته وحسن سياسته في عهد عمر بن الخطاب ولاه عمر عليها، وجاء عثمان فعزله وولى بدله عبد الله بن سعد بن أبى سرح، وهو أخو عثمان في الرضاعة (١). ولقد كان من ضروب التأييد التى كان معاوية في حاجة شديدة إليها، وضع أحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله تشيد بذكره وذكر قومه، وتغض من قدر على رضى الله عنه، ومن أجل ذلك وضع نفرا من الصحابة وغيرهم ليقوموا بذلك وكان منهم أبو هريرة الذى ألفنا فيه هذا الكتاب. قال أبو جعفر الاسكافي (٢) رحمه الله: إن معاوية وضع قوما من الصحابة وقوما من التابعين على رواية أخبار قبيحة في على عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلا يرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه، منهم (أبو هريرة) وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة ابن الزبير. وروى الزهر أن عروة بن الزبير حدثه قال: حدثتني عائشة قالت: كنت عند رسول الله إذ أقبل العباس وعلى فقال: يا عائشة إن هذين يموتان على غير ملتى ! أو قال: دينى ! وروى عبد الرزاق عن معمر قال: كان عند الزهري حديثان عن عروة عن عائشة في على، والحديث الثاني زعم فيه أن عائشة حدثته قالت: كنت عند النبي إذ أقبل العباس وعلى فقال: يا عائشة إن سرك أن تنظري إلى رجلين من أهل النار، فانظري إلى هذين قد طلعا، فنظرت فإذا العباس وعلى بن أبى طالب. وأما عمرو العاص فقد أخرج له الشيخان هذا الحديث قال: سمعت

---

(١) دخل عمرو بن العاص على عثمان بعد عزله وعليه جبة محشوة فقال له عثمان: ما حشو جبتك يا عمرو ؟ فقال: أنا، قال: قد علمت أنك فيها ! ثم قال له: يا عمرو أشعرت أن اللقاح درت بعدك ألبانها ؟ فقال: لانكم أعجفتم أولادها. فكنى عثمان عن خراج مصر باللقاح، وكنى عمرو عن جور الوالى بإعجاف الاولاد. (٢) ص ٣٥٨ ج ١ انظر شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد. (*)

---



رسول الله يقول: إن آل أبى طالب ليسوا لى بأولياء، إنما ولي الله وصالح المؤمنين. أما أبو هريرة، فلم يقف عند وضع أحاديث في الطعن في على وإنما زاد في وضع أحاديث ترفع من شأن آل أبى العاص عامة ومعاوية خاصة، وستري ذلك قريبا. هؤلاء بعض من ظاهروا معاوية بألسنتهم ورواياتهم التى نسبوها إلى النبي صلى الله عليه وآله. أما الذين ناصروا معاويه بسيوفهم فهم ألوف عديدة. ومنهم وأسفا من الصحابة (١) كثيرون. ولنعد بعد ذلك إلى موضوعنا من بيان تشيع أبى هريرة لبنى أمية بعد أن وطأنا له بما وطأنا. وقبل ذلك نقدم هذه الصفحة.

من غرائب كتاب مسلم ! (١) لكى يدرأوا التهم عن بعض الصحابة الذين فتنتهم الدنيا أوردوا حديثا يقول: " أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم "، وهذا الحديث لا أصل له، ولهذا الحديث قصة جرت بينى وبين الناصبي محب الدين الخطيب فإنه عندما ظهر كتابي الاضواء واطلع فيه على فصل عدالة الصحابة قابلني غاضبا وقال: كيف تذكر ذلك بعد أن قال فيهم النبي صلى الله عليه وآله " أصحابي كالنجوم - الحديث " فقلت له إنك قد أوردت هذا الحديث في تعليقاتك على كتاب (المنتقى) للذهبي ص ٧١ على أنه صحيح وقد طعنوا فيه، ومن كبار الطاعنين ابن تيمية فاشتد غضبه وقال: في أي موضع هذا الطعن ؟ فقلت له في نفس كتابك (المنتقى) ! فكاد يتميز من الغيظ وقال: في أية صفحة قلت له في صفحة ٥٥١ وفيها يقول ابن تيمية " وحديث أصحابي كالنجوم ضعفه أئمة الحديث فلا حجة فيه " وما كاد يقرأ هذا الكلام الذى أثبته هو بنفسه في كتاب حققه ونشره بين الناس حتى بهت واصفر وجهه، وقد قلت له قبل أن أغادر مجلسه، إن كتاب المنتقى هذا سيسجل عليك هذا الجهل وهذه الوصمة إلى يوم القيامة. وبمناسبة التشيع لمعاوية والتقرب إليه برواية أحاديث مكذوبة على النبي صلى الله عليه وآله ترفع من شأنه نسوق إليك حديثا رواه مسلم في صحيحه ! ! معناه أن أبا سفيان بن حرب طلب من النبي صلى الله عليه وآله أن يزوجه ابنته أم حبيبة وأن يجعل معاوية كاتبا بين يديه إلخ الحديث، وقد ذكر أئمة الحديث أن هذا الحديث باطل بالاجماع لان أبا سفيان قد دخل في الاسلام يوم فتح مكة بالاجماع، أما ابنته أم حبيبة واسمها رملة، فقد أسلمت قبل الهجرة وحسن إسلامها، وكانت ممن هاجر إلى الحبشة هربا من أبيها، وقد تزوجها رسول الله وأبوها كافر، ولما بلغه هذا الزواج قال كلمته المشهورة " ذلك الفحل لا يجدع أنفه " ص ١٦ من تفسير سورة الاخلاص لشيخ الحنابلة ابن تيمية والذى يلقب عند الجمهور بشيخ الاسلام. ويراجع كتابنا أضواء على السنة المحمدية للاطلاع على فصل عدالة الصحابة. (*)



نشأة الاختراع في الرواية والوضع على رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن نتكلم عن مناصرة أبى هريرة لمعاوية بما كان يقدم له من أحاديث يرفعها إلى النبي صلى الله عليه وآله، لابد لنا أن نبين كيف كان أمر الرواية عن رسول الله في ذلك العهد وأنها كانت تصدر ممن يريدها بغير ضابط ولا قيد لا يخشى في ذلك شيئا، لان أحاديث الرسول صلوات الله عليه، لم يكن لها أصل محفوظ يرجع في تحقيقها وبيان صحتها إليه (١). أجمع الباحثون على أن نشأة الاختراع في الرواية ووضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وآله إنما كان في أواخر عهد عثمان وبعد الفتنة التى أودت بحياته، ثم اتسع الاختراع واستفاض بعد مبايعة على رضوان الله عليه، فإنه ما كاد المسلمون يبايعونه بيعة صحيحة، حتى ذر قرن الشيطان الاموى ليغتصب الحق من صاحبه ويجعلها أموية، وإليك كلمة صادقة دقيقة كتبها الاستاذ الامام محمد عبده في مقدمة رسالة التوحيد، وذلك بعد أن تكلم عن الفتنة الكبرى التى " هوى فيها ركن عظيم من هيكل الخلافة واصطدم الاسلام وأهله صدمة زحزحتهم عن الطريق التى استقاموا عليها "، قال رضى الله عنه: " توالت الاحداث بعد ذلك ونقض بعض المبايعين للخليفة الرابع (٢) ما عقدو، وكانت حروب بين المسلمين انتهى فيها أمر السلطان إلى الامويين ! غير أن بناء الجماعة قد انصدع، وانفصمت عرى الوحدة بينهم، وتفرقت بهم المذاهب في الخلافة، وأخذ الاحزاب في تأييد آرائهم، كل ينصر رأيه على رأى خصمه بالقول والعمل، وكانت نشأة الاختراع في الرواية والتأويل، وغلا كل قبيل فافترق الناس إلخ " (٣).

(١) قد فصلنا القول في أمر تدوين الحديث ومتى بدأ وما أصابه قبل التدوين وبعده في كتابنا (الاضواء) راجع الطبعة الثالثة منه. (٢) يشير إلى ما فعله طلحة والزبير من نقضهما البيعة. (٣) ص ٧ و ٨ من الطبعة الاولى. (*)

وقال رضى الله عنه: لم يرزأ الاسلام بأعظم مما ابتدعه المنتسبون إليه، وما أحدثه الغلاة من المفتريات عليه، فذلك ما جلب الفساد على عقول المسلمين وأساء ظنون غيرهم فيما بنى عليه الدين. وإن عموم البلوى بالاكاذيب حق على الناس بلاؤه في دولة الامويين ! فكثر الناقلون، وقل الصادقون، وامتنع كثير من أجلة الصحابة عن الحديث إلا لمن يثقون بحفظه (١). ولقد كان من عموم البلوى بالاكاذيب الذى حق على الناس بلاؤه في دولة الامويين - وأشار إليه الاستاذ الامام في كلامه ما صنعه معاوية لنفسه - بأن وضع قوما من الصحابة والتابعين على رواية أخبار قبيحة على على عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه وجعل لهم على ذلك جعلا يرغب في مثله فاختلقوا ما أرضاه، منهم أبو هريرة (٢). وقال الدكتور أحمد أمين في كلامه عن اتخاذ الحديث وسيلة للاغراض السياسية وغيرها وعن نفاق بعض المحدثين في كتابه ضحى الاسلام بالصفحة ١٢٣ من الجزء الثاني. ويسوقنا هذا إلى أن نذكر هنا أن الامويين فعلا قد وضعوا، أو وضعت لهم أحاديث تخدم سياستهم من نواح متعددة، منها أحاديث في زيادة مناقب عثمان - إذ كان هو الخليفة الاموى من الخلفاء الراشدين، وهم به أكثر اتصالا مثل حديث: إن عثمان تصدق بثلثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في جيش العسرة فنزل رسول الله من على المنبر وهو يقول: ما على عثمان ما عمل بعد هذه ! ما على عثمان ما عمل بعد هذه !. وروى الطبري أن معاوية بن أبى سفيان لما ولى المغيرة ابن شعبة الكوفة في جمادى سنة ٤١ دعاه وقال له: أردت إيصاءك بأشياء كثيرة فأنا تاركها اعتمادا على بصرك بما يرضينى، ويسعد سلطاني ويصلح به رعيتي، ولست تاركا إيصاءك بخصلة، لا تتحم ! (أي لا تتجنب) عن شتم على وذمه والترحم على عثمان والاستغفار له، والعيب على أصحاب على، والاقصاء لهم، وترك الاستماع منهم، وبإطراء شيعة عثمان

---

(١) ص ٣٤٧ ج ٢ تاريخ الاستاذ الامام. (٢) ص ١٧٦ من هذا الكتاب. (*)

---



والادناء لهم والاستماع منهم.. فأقام المغيرة على الكوفة عاملا لمعاوية سبع سنين وأشهرا وهو من أحسن شئ سيرة وأشده حبا للعافية، غير أنه لا يدع ذم على والوقوع فيه.. الخ.. ص ١٤١ ج ٦ من الطبري. ولم يكتف معاوية بذلك بل أحدث (القصص) ليعزز به أسلحة الدعاية له ولم يكن معروفا قبله، فسخر الالوف لذلك وبثهم بين أرجاء البلاد ليقصوا له ما يشد له دولته وما يحفظ به سلطانه، بله ما ينشرون من خرافات وأباطيل مما جلب الفساد على عقول المسلمين، وأساء ظنون غيرهم فيما بنى عليه الدين. كما ذكر ذلك الاستاذ الامام. معاوية هو الذى أحدث القصص أخرج الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن نافع وغيره من أهل العلم قالوا: لم يقص في زمان النبي صلى الله عليه وآله ولا في زمان أبى بكر ولا زمان عمر، وإنما القصص محدث، أحدثه معاوية حتى كانت الفتنة (١)، وقد فتح الباب للقصاص في المساجد والمحافل ليقصوا له ما يهواه. وأخرج ابن أبى شيبة والمروزي عن ابن عمر قال: لم يقص على عهد النبي صلى الله عليه وآله ولا عهد أبى بكر ولا عهد عمر ولا عهد عثمان، إنما كان القصص حيث كانت الفتنة (٢). وقال أبو قلابة: ما أمات العلم إلا القصاص، وقال أحمد بن حنبل: أكذب الناس السؤال والقصاص (٣)، وأخرج العقيلى عن عاصم قال: كان أبو عبد الرحمن يقول: اتقوا القصاص !

---

(١) ص ٦٣ من كتاب تحذير الخواص من أكاذيب القصاص. (٢) ص ٦٧ من نفس المصدر. (٣) ص ٧٠ من نفس المصدر ويراجع كتابنا الاضواء للوقوف على مبلغ ضرر القصص والقصاص. (*)



وبين الدكتور أحمد أمين صورة هذا القصص فقال: يجلس القاص في المسجد وحوله الناس فيذكرهم بالله ويقص عليهم حكايات وأحاديث وقصصا عن الامم الاخرى وأساطير ونحو ذلك. لا يعتمد فيها على الصدق بقدر ما يعتمد على الترغيب والترهيب. قال الليث بن سعد " هما قصصان، قصص العامة، وقصص الخاصة، فأما قصص العامة فهو الذى إليه النفر من الناس يعظهم ويذكرهم فذلك مكروه لمن فعله ولمن استمعه، وأما قصص الخاصة فهو الذى جعله معاوية، ولى رجلا على القصص، فإذا سلم من صلاة الصبح جلس وذكر الله عزوجل وحمده ومجده وصلى على النبي صلى الله عليه وآله ودعا للخليفة ولاهل ولايته وحشمه وجنوده، ودعا على أهل حربه وعلى المشركين كافة (١). ولابد أن نشير هنا إلى منبعين كبيرين لهؤلاء القصاص وأمثالهم تجد ذكرهما كثيرا في رواية القصص وفى التاريخ وفى الحديث وفى التفسير هما: وهب بن منبه وكعب الاحبار (٢). هل كان معاوية من كتاب الوحى ؟ وهذه صفحة نختم بها الكلام هنا عن (الوضع الاموى) في السياسة والدين وهى تحمل مثلا من هذا الوضع يقاس عليه. ذلك أنهم أرادوا أن يزدلفوا إلى معاوية فجعلوه من (كتاب الوحى) وأمعنوا في هذا الازدلاف، فرووا أنه كتب آية الكرسي بقلم من ذهب جاء به جبريل هدية لمعاوية له من فوق العرش (٣)، وقد فشا هذا الخبر بين كثير من الناس على حين أنه في نفسه باطل، تأباه البداهة ويدفع من صدره العقل ! إذ كيف يأمن النبي صلى الله عليه وآله لمثل معاوية على أن يكتب له ما ينزل في القرآن ! وهو وأبوه وأمه ممن أسلموا كرها. ولما يدخل الايمان في قلوبهم !

(١) نقل الدكتور أحمد أمين كلام الليث بن سعد عن خطط المقريزى جزء ٢ ص ٢٥٣ طبعة أميرية. (٢) ص ١٩٦ و ١٩٧ فجر الاسلام. (٣) ص ٢٠١ من كتاب النصائح الكافية لابن عقيل العلوى. (*)



إن هذا مما لا يمكن أن يقبله العقل السليم ! وأما من ناحية النقل فإنه لم يأت فيه خبر صحيح يؤيده، ولقد كان على الذين (وضعوا) هذا الخبر أن يسندوه ببرهان يؤيده وذلك بأن يأتوا ولو بآية واحدة قد نزلت في القرآن وكتبها معاوية ! على أننا لا نستبعد أن يكون قد كتب للنبى صلى الله عليه وآله في بعض الاغراض التى لا تتصل بالوحى، لان هذا من الممكن، أما أن يكتب شيئا من القرآن فهذا من المستحيل. قال المدائني كان زيد بن ثابت يكتب الوحى وكان معاوية يكتب للنبى صلى الله عليه وآله فيما بينه وبين العرب (١). ومن العجيب أن يظل هذا الزعم الباطل يأخذ مكانه من بعض الاذهان في هذا العصر ويسلم به حتى في بعض الجامعات. ففى ذات يوم كنت في زيارة الاستاذ الفاضل الدكتور عبد الجبار المطلبى المستشار الثقافى بالسفارة العراقية بمصر (سابقا) فقال لى: هل لك إلى أن تشهد امتحانا لاحد الطلبة العراقيين في رسالة قدمها إلى جامعة القاهرة لكى ينال عليها درجة دكتور في الادب - موضوعها (بلاغة القرآن وإعجازه) فأغراني جلال الموضوع بأن أحضر هذا الامتحان، وفى الموعد المحدد له التقيت بالدكتور عبد الجبار في قاعة

الامتحان وكانت غاصة بالحضور، وأخذت أستمع لما يقال من الطالب وممتحنيه في إنصات حتى انتهت المناقشة. وقد بدت لى بعض ملاحظات مما جرى بين الطالب وأساتذته حفظتها كلها لنفسي، ولكني لم أملك أن أسكت عن ملاحظتين على هذا الطالب، وما لبثت أن واجهته بهما بمحضر من كانوا في القاعة جميعا (٢).

---

(١) ص ١١٣ ج ٦ من الاصابة لابن حجر. وقبل ابن حجر ذكر الذهبي عن أبى الحسن الكوفى قال: كان زيد بن ثابت كاتب الوحى وكان معاوية كاتبا فيما بين النبي وبين العرب. ص ٨١ ج ٣ سير أعلام النبلاء. (٢) خطر بذهني بعد ما رأيت ما رأيت في مناقشة هذه الرسالة، وفى مناقشة رسالة أخرى مثلها بجامعة الازهر عبارة قالها العقاد عندما طلب منه أن يتقدم إلى جامعة القاهرة لكى ينال منها لقبا علميا رسميا لانه عار من الالقاب العلمية الرسمية والشأن في بلادنا إنما هو (للشهادة) لا للعلم، حتى قالوا: شهادة بلا علم خير من علم بلا شهادة - فكان جوابه: دلوني أولا على أسماء الذين سيتولون امتحاني لكى أعرفهم وأعرف مبلغهم من العلم ! وبعد ذلك أنظر في التقدم للامتحان أمامهم ! رحم الله العقاد ورحم من في طبقته، أولئك الغر الميامين، أئمة العلم والادب المحققين. (*)

---



إحداهما: أنه جعل معاوية من كتاب الوحى، وقد سألته من أين جاء بهذا الخبر الذى لا يصح عند العلماء المحققين ؟ فقال: لقد نقلته عن ابن القيم ! وسكت ! والآخر: أنه لم يذكر كتاب (إعجاز القرآن للرافعي) بين المصادر التى رجع إليها في رسالته، ولما سألته عن ذلك قال: إنى لم أعرف هذا الكتاب ! وقد هالنى هذا الجواب إذ كيف يفوت طالب يبحث في إعجاز القرآن وبلاغته أن يطلع على هذا المصدر العظيم وهو أقوى وأبلغ مصدر في موضوعه، وكيف يقول إنه لم يطلع عليه، وقد ذاعت شهرته بين جميع الآفاق الاسلامية، وحسبه من الوصف أن قال فيه الزعيم الكبير سعد زغلول: " كأنه تنزيل من التنزيل، أو قبس من نور الذكر الحكيم " ومن الغريب أنى لم أسمع من أحد من الممتحنين سؤالا عن أمر معاوية وعلى أي دليل ارتكن عليه في إثبات أنه كان من كتاب الوحى ! وكذلك لم يسألوه عن كتاب إعجاز القرآن للرافعي وكيف لا يذكره بين المصادر التى رجع إليه وكأنهم هم كذلك لا يعرفونه ! وإذا كان ما قاله هذا الطالب عن معاوية غريبا فإن جهله بكتاب الرافعى. أغرب وأعجب ! ومن أجل ذلك لا يصح أن يؤاخذ بما يقع منه من خطأ، وليترك في شفاعة الجهل الذى هو أكبر شفيع في هذا العصر - وسبحان الخلاق العظيم. وقال ابن أبى الحديد في شرح نهج البلاغة: وكان معاوية أحد كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله، واختلف في كتابته له كيف كانت، فالذي عليه المحققون من أهل السير أن الوحى كان يكتبه على عليه السلام، وزيد بن ثابت، وزيد بن أرقم، وأن حنظلة بن الربيع التيمى ومعاوية ابن أبى سفيان كانا يكتبان له إلى الملوك وإلى رؤساء القبائل، ويكتبان حوائجه بين يديه، ويكتبان ما يجبى من أموال الصدقات، وما يقسم في أربابها (١).

---

(١) ص ٣٣٨ ج ١. (*)

---



هذا بيان لبعض ما كان يتخذه معاوية من وسائل لدعم حكمه الباطل، ولو أن كتابنا هذا قد كسر على إحصاء فعلاته وما اقترف في أيام حكمه لملانا من ذلك أسفارا. ولنعد إلى الكلام في أبى هريرة وما

قدم لتأييد الحكم الاموى - وهو موضوع كتابنا هذا. تشيع أبى هريرة لمعاوية علمت من تاريخ أبى هريرة الذى سقناه إليك أنه - كما صرح هو بلسانه - لم يصاحب النبي إلا على ملء بطنه، وأنه لفقره قد اتخذ الصفة ملاذا له يأكل فيها من فضلات الناس وصدقاتهم. وقد ظل على فقره حياة النبي وعهد أبى بكر وعمر - إلى أن فشا له مال بعد أن تولى البحرين في أواخر عهد عمر، ومن ثم أخذ يظهر بعد انزوائه، ويبدو بين الناس بعد خفائه. ولما شبت نيران الحرب بين على رضى الله عنه، وبين معاوية، وإن شئت فقل، لما انبعث الصراع بين الاموية والهاشمية، بعد أن توارى فرقا من القوة زمن النبي وأبى بكر وعمر - كما أوضحنا ذلك من قبل - وافترق المسلمون فرقا كثيرة منذ أواخر عهد عثمان - مال أبو هريرة إلى الناحية التى يسكن إليها طبعه، وتتفق مع هوى نفسه، وهى ولا ريب ناحية معاوية، إذ كانت تملك من أسباب السلطان والمال، ومظاهر الترف والنعيم، ما لا تملك بعضه ولا قليلا منه ناحية على، التى ليس فيها إلا الفقر والجوع والزهد وما إلى ذلك مما شبع منه أبو هريرة ! فاتخذ سبيله إلى رحاب معاوية، ليشبع نهمه من ألوان موائده الشهية (٢)،

---

(١) روى ابن طباطبا المعروف بابن الطقطقى في كتابه الفخري ص ٧٩ أن معاوية كان يأكل كل يوم خمس أكلات وآخرهن أغلظهن ثم يقول: يا غلام أرفع فوالله ما شبعت، ولكني مللت، أنه أكل عجلا مشويا مع دشت من الخبز السميذ وأربع فراى وجديا حارا وآخر باردا سوى الالوان = (*)

---



ويقضى وطره من رفده وصلاته وعطاياه السنية. وإذا كان قد بلغ من فاقة أبى هريرة وجوعه أن يخر - كما أعرب هو عن نفسه مغشيا عليه (١) من الجوع فهل تراه يدع دولة بنى أمية ذات السلطان العريض، والاطعمة الناعمة الفاخرة، وينقلب إلى على الذى كان طعامه سويق الشعير ؟ إن هذا لمما تأباه الطباع البشرية، ولا يتفق والغرائز النفسية، اللهم إلا من عصم ربك، وقليل ما هم.

---

= أما رواية ابن كثير في البداية والنهاية (ص ١١٩ ج ٨) فهى: أن معاوية كان يأكل في اليوم سبع أكلات بلحم، ومن الحلوى والفاكهة شيئا كثيرا ويقول: ما أشبع وإنما أعيا. وقد كان عظيم العناية بأطايب الخوان، وكان يأكل ويشرب في آنية الذهب والصحاف المرصعة بالجوهر. وقد روى أحمد ومسلم عن ابن عباس أن رسول الله قال له يوما: اذهب فادع معاوية، فذهبت فدعوته فقيل: إنه يأكل، فأتيت رسول الله فقلت: إنه يأكل، فقال: اذهب فادعه، فأتيته الثانية فقيل: إنه يأكل، فأخبرته، فقال في الثالثة: لا أشبع الله بطنه فما شبع بعدها - إذ قد استجيبت دعوة النبي فيه.. وإليك وصفا لبعض طعام معاوية يرويه لك الاحنف بن قيس قال: دخلت على معاوية فقدم لى من الحار والبارد والحلو والحامض ما كثر تعجبي منه، ثم قدم لونا لم أعرف ما هو، فقلت: ما هذا ؟ فقال مصارين البط محشوة بالمخ قد قلى بدهن الفستق، وذر عليه بالطبر زد * فبكيت، فقال: ما يبكيك ؟ قلت: ذكرت عليا، بينا أنا عنده، وحضر وقت الطعام وإفطاره وسألني المقام، فجئ له بجراب مختوم، فقلت: ما في هذا الجراب ؟ قال سويق شعير، قلت: خفت عليه أن يؤخذ ؟ أم بخلت به ؟ فقال: لا، ولا أحدهما ولكني خفت أن يلته الحسن والحسين بسمن أو زيت. فقلت: محرم هو يا أمير المؤمنين ؟ فقال: لا ولكن يجب على أئمة الحق أن يعدوا أنفسهم من ضعفة الناس لئلا يطغى الفقير فقره. فقال معاوية: ذكرت ما لا ينكر فضله (ص ٢٤٣ و ٢٤٤ ج ١ من كتاب " نثر الدرر " تأليف الوزير أبى سعيد منصور بن الحسين الآبى المتوفى سنة ٤٢٢ هـ. والكتاب مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٦٠٤). (١) من قول أبى هريرة - كما روى البخاري - لقد رأيتنى وإنى لاخر فيما بين منبر رسول الله إلى حجرة عائشة مغشيا على فيجئ الجائى فيضع رجله على عنقي ويرى أنى مجنون، وما بى من جنون ! ما بى إلا الجوع. * الطبرزد وزان سفرجل نوع من أنواع السكر. (*)

---

وقد آن لنا أن نعرض عليك قصة أبى هريرة مع آل أبى العاص عامة وسائر بنى أمية ومعاوية خاصة - كما وعدناك من قبل - ثم نردف ذلك ببيان بعض ما قدمه لهم جميعا من مرويات وغير مرويات. كيف اتصل أبو هريرة بدولة بنى أمية لاتصال أبى هريرة بدولة بنى أمية قصة عجيبة نقصها عليك، ولا ريب في أنها ستروعك بفصولها. ذلك أنه لما رأى أن بنى أمية قد وثبوا على الحكم، وقبضوا على زمامه بعد مقتل على رضى الله عنه، وأنهم قد أصبحوا ملوكا على بلاد المسلمين، بيدهم الامر والنهى، والحل والعقد، والرفع والخفض، اندفع بسائق من طبيعته إلى انتهاز هذه الفرصة التى سنحت لبغاة المغانم، وطلاب الرغائب، ولم يلبث أن رنا إلى غرض وضعه نصب عينيه، وآل على نفسه ليبلغنه بأية وسيلة حتى يصل إليه - وهذا الغرض أن يتخذ له مكانا في هذه الدولة الجديدة يجعل له شأنا بين الناس بعد أن كان مغمورا في زمن النبي وخلفائه الاربعة، وبذلك يتمكن من أن يشارك في أسلابها ويساهم في مغانمها - وأنى له ذلك وهو يومئذ في الساقة من عامة الصحابة، ليس له - كما علمت من تاريخه -.. شأن يذكر، ولا عمل يؤثر، فلم يكن من دهاة السياسة، ولا من أبطال الحروب، وليس هو بشاعر ولا خطيب، ممن تحتاج إليهم الدولة إبان نشأتها، وبخاصة مثل دولة بنى أمية الباغية التى قامت على أساس غير سليم، وسارت في طريق غير مستقيم. من أجل ذلك كان عليه هو - بما يعرف من نفسه - أن يطب لهذا الامر ويتخذ له السبيل التى تنتهى به إلى مبتغاه، فوجد أن هذه الدولة الناشئة وإن كانت قد أقامت بناءها على قواعد من الدهاء والمداورة والظلم والبغى - بحاجة شديدة إلى دعم هذا البناء حتى لا ينهار، فيخرج الناس عليهم، وينفضوا من حولها، ويخلعوا أيديهم من طاعتها، ولا يكون ذلك إلا بأسانيد قوية تحميها من العوادى، وإن أقوى هذه الاسانيد بعد القوة المادية ولا ريب، أن تكون من

---



قبل الشخصية العظمى التى تعنو لها الجباه، وتخضع لها الرقاب، تلك هي شخصية محمد صلى الله عليه وآله فيروى لها من أحاديثه ما يؤيدها، ويشد أزرها، وقد كان الحديث النبوى يومئذ - وإلى اليوم - أقوى سلاح وأشده في سبيل تأييد الدعوات والادعاءات ! سواء للافراد أو للجماعات في البلاد الاسلامية كافة. ولما أحكم هذا الرأى، وتمثلت له هذه الحقيقة، أخذ على نفسه أن يعد هو هذا السلاح لدولة بنى أمية، ويكفهم مؤونته، فيمدهم بالاحاديث التى تؤيدهم، وتصرف وجوه الناس عن عدوهم - وعدوهم حينئذ كان عليا رضى الله عنه. وقد وطأ لذلك بأن أظهر لهم - وللناس - أنه قد ظفر وحده من النبي بما يجعله يمتاز من سائر الصحابة برواية أحاديثه صلى الله عليه وآله فزعم في أول الامر أن النبي قد غرف له في ثوبه غرفتين، من نفحاته، صيرتاه - من دون الصحابة جميعا - الحفظة لكل ما يتحدث به النبي، فلا يند عنه شئ يصافح أذنيه ويؤديه كما سمعه - وبذلك يكون هو وحده المرجع الصحيح لكل ما جاء عن النبي من حديث - ثم أردف ذلك بزعم آخر فقال: إنه قد حفظ عن النبي (وعاءين)، وعاء بثه، والآخر استحفظه (!) النبي فيه من سره، مما حجبه عن غيره، ثم ختم قصته هذه العجيبة بحديث (المزود). وقد أعانه على ذلك كله أن أحاديث الرسول - لم تكن كما قلنا مدونة محفوظة كالقرآن الكريم بحيث لا يستطيع أحد أن يزيد فيها، أو ينقص منها. وبذلك كان باب (الوضع) مفتوحا على مصراعيه، يدخل فيه كل من أراد الوضع - ثم ساعده كذلك، أن كبار الصحابة الذين يخشاهم كانوا قد ماتوا في عهد معاوية وبخاصة عمر الذى منعه من الرواية وأنذره بالنفى إلى بلاده، إذا هو روى، وكان يضربه بدرته لرواية الحديث حتى صرح أبو هريرة نفسه بأنه ما كان يستطيع أن يروى الحديث وعمر حى.

(١) يقال: استحفظه مالا أو سرا أي عنده حفظه. (*)



١ - حديث بسط الثوب: جعل أبو هريرة ظاهر هذا الحديث دفاعا عن نفسه، مما كانوا يتهمونه به من كثرة أحاديثه، كما تبين لك من قبل، وباطنه أن يثبت أنه قد بلغ من حفظ أحاديث رسول الله غاية لم يبلغها أحد من سائر الصحابة أجمعين. روى البخاري (١) وغيره عنه أنه قال: إنكم تقولون إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله، ويقولون: ما بال المهاجرين والانصار لا يحدثون عن رسول الله بمثل حديث أبى هريرة، وإن إخوتى من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالاسواق - وكنت ألزم رسول الله على ملء بطني، فأشهد إذا غابوا وأحفظ إذا نسوا، وكان يشغل إخوتى من الانصار عمل أموالهم، وكنت امرأ مسكينا من مساكين الصفة أعى حين ينسون. وقد قال رسول الله في حديث يحدثه: إنه لن يبسط أحد ثوبه حتى أقضى مقالتي هذه ثم يجمع إليه ثوبه إلا وعى ما أقول، فبسطت نمرة (٢) على حتى إذا قضى رسول الله مقالته جمعتها إلى صدري، فما نسيت من مقالة رسول الله تلك من شئ. يذكر أبو هريرة في هذا الحديث أنه هو الذى بسط نمرته، ولكن الذهبي يروى عنه حديثا يدل على أن النبي هو الذى نزع نمرة أبى هريرة من على ظهره، وبسطها بينه وبين أبى هريرة ! وهاك ما قاله الذهبي (٣) من حديث سعد بن أبى هند عن أبى هريرة، أن رسول الله قال: ألا تسألني من هذه الغنائم التى يسألنى أصحابك ؟ قلت أسألك أن تعلمني مما علمك الله، فنزع نمرة (٤) كانت على ظهرى فبسطها بينى وبينه حتى كأنى أنظر إلى القمل يدب عليها (أعوذ بالله) فحدثني حتى استوعبت حديثه قال:

(١) ص ٢٣١ ج ٤ فتح الباري. (٢) ص ٢٧٥ ج ١٣ من فتح الباري " فبسطت بردة كانت على " وفى الرواية التى ستأتيك أن النبي قال له: ابسط رداءك. (٣) ص ٤٢٩ ج ٢ سير أعلام النبلاء. (٤) النمرة شملة فيها خطوط بيض وسود. (*)



اجمعها فصرها إليك فأصبحت لا أسقط حرفا مما حدثنى. وعن المقبرى عن أبى هريرة قال: قلت لرسول الله، إنى سمعت منك حديثا كثيرا - فأنساه - فقال: ابسط (رداءك) فبسطته فغرف بيديه فيه، ثم قال: ضمه، فضممته فما نسيت حديثا بعده (١). ولان حديث (بسط الثوب) مهم في تاريخ أبى هريرة، واختلفت رواياته، وهو في نفسه يعتبر خرافة أو من أهم غرائبه، ولم نر أحدا - وأسفا - قد ناقش هذا الحديث مناقشة علمية تحليلية غير العلامة الكبير الاستاذ عبد الحسين شرف الدين في كتابه (أبو هريرة)، فقد رأينا أن نمد القراء بملخص (٢) لما ناقش به هذا الحديث لان كلامه في ذلك طويل. قال رحمه الله: إن لنا على بطلان هذا الحديث وجوها: الاول: أنه زعم أن المهاجرين كان يشغلهم عن النبي الصفق بالاسواق، والانصار كان يشغلهم علم أموالهم (٣)، فساق السابقين الاولين من المهاجرين والانصار كافة بعصا واحدة. وأى قيمة للقول بأن جميع المهاجرين كان يلهيهم الصفق بالاسواق ! بعد قوله تعالى: " رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله " الآية. وهل لمعارض كتاب الله إلا الضرب بعرض الجدار. ومن هو أبو هريرة ليحضر حين يغيب الخصيصون برسول الله، ويحفظ حين ينسون ؟ يقول هذا القول بملء فيه غير

متئد ولا خجل ولا وجل، إذ قاله في عهد معاوية وحيث لا عمر ولا عثمان ولا على ولا طلحة ولا الزبير، ولا سلمان (الفارسى) ولا عمار ولا المقداد، ولا أبو ذر ولا أمثالهم. يدعى ذلك وهو يدرك أن الناس يعلمون موضع على من رسول الله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعه في حجره وهو ولد. ويرفع له في كل يوم من أخلاقه علما، وكان بعد ذلك أقضى أمته وعيبة سره، ووارث حكمته..

---

(١) ص ٥٦ ج ٤ ق ٢ طبقات ابن سعد. (٢) من أراد أن يقف على كل ما قاله العلامة شرف الدين فليرجع إلى كتابه " أبو هريرة " وهو من الكتب القيمة. (٣) أي إدارة حدائقهم إذ كانوا أهل نخيل. (*)

---



فهل يمكن أن ينسى من سننه ما حفظه أبو هريرة ! أو يكتم منها ما بينه أبو هريرة ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم ! على أنه لم يكن من المهاجرين من يصفق في الاسوق إلا القليل، وحسبك أبو ذر والمقداد وعمار - ورفقاء أبى هريرة في الصفة وهم سبعون - كانوا كما وصفهم أبو هريرة - ما منهم رجل عليه رداء. وإنما عليه إما إزار أو كساء قد ربطوه في أعناقهم، إلى آخر كلامه في وصفهم (١) فما بالهم لم يحدثوا بمثل أحاديثه ؟ ولم يكثروا كما أكثر. وكذا الانصار لم يكونوا بأجمعهم من أهل الاموال والاشغال كما زعم، وحسبك ممن لا مال لهم منهم سلمان الفارسى الذى قال رسول الله فيه: سلمان منا أهل البيت. وقال: كما في ترجمة سلمان من الاستيعاب: لو كان الدين عند الثريا لناله سلمان (٢). وقالت عائشة: كان لسلمان مجلس من رسول الله ينفرد به في الليل حتى كاد يغلبنا على رسول الله، وقال على: إن سلمان الفارسى مثل لقمان الحكيم، علم علم الاول والآخر، بحر علم لا ينزف (٣). وقد علم الناس أن أبا أيوب الانصاري لم يكن له من العيش إلا بلغة لا تشغله عن علم ولا عمل، وكذلك أبو سعيد الخدرى، وأبو فضالة الانصاري، وغيرهم من نظرائهم من علماء الانصار وعظمائهم رضى الله عنهم. على أن سيد الحكماء وخاتم الانبياء لم تكن أوقاته فوضى، وإنما كانت في الليل والنهار مرتبة للمهمات، على ما تقتضيه الحكمة في تلك الاوقات، وقد خصص منها لالقاء العلم وقتا لا يعارض أوقات الصفق في الاسواق، ولا أوقات العمل في الاموال، وكان المهاجرون والانصار لا يغيبون في ذلك الوقت أبدا وهم أحرص على العلم مما يخرفه المخرفون.

---

(١) سقنا كلامه هذا آنفا. (٢) لسلمان في مسند بقى ستون حديثا في البخاري أربعة وفى مسلم ٣ ص ٣٦٢ ج ١ سير أعلام النبلاء. توفى بالمدائن سنة ٣٦ هـ. )٣) انظر ترجمة سلمان الفارسى في الاستيعاب لحافظ المغرب ابن عبد البر ص ٥٧٢ ج ٢. (*)

---



الثاني: لو صح ما زعمه أبو هريرة من قول النبي لاصحابه: (لن يبسط أحد منكم ثوبه) الحديث. لتسابقوا إليه، واجتمعوا بقضهم وقضيضهم عليه، فإنه الفضل لا يبلغه الطالب بشد الرحال، والعلم لا يناله ببذل الاموال. وكيف زهدوا في هذه الغنيمة، وضيعوا تلك الفوائد العظيمة.. الخ. الثالث: لو صح ما زعمه أبو هريرة لعظم ندم الصحابة وأسفهم على ما ضيعوه من ذلك الفضل الكبير والعلم الغزير، ولتواتر لهفهم

على ما أهملوه من بسط أثوابهم لرسول الله على حين أنه لا كلفة فيه ولا مشقة عليهم. ولتلاوموا على تركهم ذلك بسوء اختيارهم. ولتواترت منهم الغبطة لابي هريرة بالفوز به دونهم - على أنه لم يكن عليه إلا ثوب واحد، وما منهم من أحد إلا وعليه ثوبان، أو أكثر، فلما لم يكن شئ من ذلك، علمنا أن هذا من (كيس) أبى هريرة (١). الرابع: لو كان الامر كما قصه أبو هريرة لحدث به غيره ممن دعاهم النبي إلى بسط أثوابهم ولعده الصحابة والتابعون من أعلام النبوة. ولتواترت به الاخبار واشتهر اشتهار الشمس في رائعة النهار، فلما لم نجده إلا في حديث أبى هريرة عطفناه على واهياته. الخامس: أنه قد تناقض كلام أبى هريرة في هذه القصة، فتارة يروى أن النبي قال يوما لاصحابه: لن يبسط أحد منكم ثوبه حتى أقضى مقالتي هذه ثم يجمعه إلى صدره الحديث وفى آخره - فوالذي بعثه بالحق ما نسيت من مقالته تلك شيئا إلى يومى هذا ! وتارة يقول: قلت يارسول الله: إنى أسمع منك الحديث أنساه قال صلى الله عليه وآله: ابسط رداءك فغرف بيديه ثم قال: ضمه فضممته فما نسيت شيئا بعده ] وأنت ترى أن القصة على مقتضى الحديث الاول: أنها كانت بين رسول الله وأصحابه، والمبتدئ فيها إنما كان رسول الله. إذ دعاهم إلى بسط أثوابهم

---

(١) يشير بذلك إلى ما رواه البخاري من أن أبا هريرة سئل مرة عن حديث، فقيل له: يا أبا هريرة، سمعت هذا من رسول الله ؟ فقال: لا، هذا، من كيس أبى هريرة (ص ٤١٣ ج ٩ فتح الباري) وهذا الكيس ولا ريب غير " الوعاءين " الذين سيأتيك نبؤهما العجيب ! (*)

---



إشفاقا عليهم من النسيان، وإنها على مقتضى الحديث الثاني (حديث المقبرى)، إنما كانت بين أبى هريرة خاصة ورسول الله، والمبتدئ فيها إنما هو أبو هريرة، حيث شكا نسيانه إلى رسول الله ! وأيضا فإن الحديث الاول يقتضى: تخصيص عدم النسيان بتلك الحالة فقط (١) لقوله فيه: ما نسيت من مقالته تلك شيئا ! والحديث الثاني: يقتضى العموم في عدم النسيان لكل شئ من الاشياء، حديثا كان أم غيره مطلقا لقوله فيه: ما نسيت شيئا بعده، فإن النكرة في سياق النفى حقيقة في العموم - وقد ارتبك هنا شارحو البخاري، وارتجت عليهم أبواب الاعتذار عنه، حتى قدر ابن حجر في فتح الباري وقوع هذه القصة مرتين ! وقد أخرج مسلم هذا الحديث وقال فيه: فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئا حدثنى به، وهذا يقتضى كون عدم النسيان أعم مما اقتضاه الحديث الاول وأخص مما اقتضاه الحديث الثاني. ونحوه حديث ابن سعد بسنده إلى عمرو بن مرداس بن عبد الرحمن الجندي عن أبى هريرة قال: قال لى رسول الله: ابسط ثوبك فبسطته فحدثني النهار ثم ضممت ثوبي إلى بطني فما نسيت شيئا مما حدثنى، لكن قوله فيه: فحدثني النهار لا يوجد في هذا الحديث إلا من هذا الطريق طريق الجندي فقط، وبه كان مخالفا لكل ما جاء في هذا الموضوع من سائر الطرق إلى أبى هريرة (٢). وبعد أن أورد العلامة شرف الدين أحاديث غير ذلك فيها غرائب ومنها حديث أخرجه أبو نعيم عن أبى هريرة: أن رسول الله قال: يا أبا هريرة: ألا تسألني عن هذه الغنائم التى يسألنى أصحابك (٣) فقلت: أسألك أن تعلمني مما علمك الله ! قال: فنزعت نمرة (٤) على ظهرى - وفى حديث آخر (ليس

---

(١) وقع في جامع الترمذي وحلية أبى نعيم التصريح بهذه المقالة. وأنها كانت ما هذا لفظه (ما من رجل يسمع كلمة أو كلمتين مما فرض الله عليه فيتعلمهن أو يعلمهن إلا

دخل الجنة). (٢) ص ٥٦ ق ٢ ج ٤ الطبقات الكبرى. (٣) كأنه كان وحده من دون الصحابة جميعا عفا قانعا لا يسأل عن الغنائم ولا يمد عنقه لها (٤) ص ٤٢٩ ج ٢ سير أعلام النبلاء. (*)



على ثوب غيرها !) فبسطتها بينى وبينه - حتى كأنه أنظر إلى القمل يدب عليها ! فحدثني حتى استوعب حديثه قال: اجمعها فصرها إليك فأصبحت لا أسقط حرفا مما حدثنى. وقول أبى هريرة: فبسطت نمرة ليس على ثوب غيرها (١) يقتضى على الظاهر أن تبدو سوأته - وقد تأول القسطلانى وزكريا الانصاري كلامه فحملاه على أنه بسط بعض النمرة لئلا تنكشف عورته. ثم ختم كلامه بقوله: وهذه الحكاية (حكاية بسط الثوب) في ذاتها تشبه قصص المخرفين، ولا تكاد تمتاز عن خلط الدجالين - وحاشا لله أن تمتزج بمعجزات الرسول، أو يصدق بنسبتها إليه أصحاب العقول، فإن معجزاته (ص) بهرت أولى النهى بأنوار حقيقتها، وقهرت جبابرة الارض بحسن أسلوبها، واعتدال طريقتها. على أن من ألم بهذا الحديث - من جميع الطرق وجده مختلف الالفاظ والمعاني باختلاف طرقه، لا تتجارى معانيه ولا ألفاظه إلى غاية، ولا تتساير في حلبة، يصدم كل منها الآخر فإذا هو زاهق والحمد لله (٢). ضعف ذاكرة أبى هريرة: وقبل أن ننتقل إلى الفصل الثاني من قصه أبى هريرة نلحق هذه الصفحات بالفصل الماضي لاتصالها به. كان أبو هريرة يذكر عن نفسه أنه كان كثير النسيان، لا تكاد ذاكرته تمسك شيئا مما يسمعه، ثم يزعم أن النبي - كما علمت من بعض ما روى آنفا - قد عرف له في نمرته غرفتين فأصبح لا ينسى شيئا يصل إلى أذنه، وذلك لكى يسوغ كثرة أحاديثه ويثبت في الاذهان صحة كل ما يرويه. على أن هذه الذاكرة القوية التى اختص بها أبو هريرة من دون الصحابة جميعا، بل من دون ما ذرأ الله من الطباع الانسانية، قد خانته في مواضع

(١) راجع الحديث في البخاري في باب المزارعة وفيه " كنت امرأ مسكينا ألزم رسول الله على ملء بطني - قال النبي يوما: لن يبسط أحد منكم ثوبه حتى أقضى مقالتي هذه ثم يجمعه في صدره فينسى من مقالي شيئا أبدا، فبسطت نمرة ليس على غيرها - الحديث ص ٢٢ ج ٥ فتح الباري. (٢) ص ٢٨٠ - ٢٩٤ من كتاب أبى هريرة للعلامة شرف الدين. (*)



متعددة، وأن ثوبه الذى بسطه قد تمزق فتناثر ما كان قد ضمه بين أطرافه، والامثلة على ذلك كثيرة، وإنا نكتفي بمثالين اثنين فقط ! لما روى أن رسول الله قال: لان يمتلئ جوف أحدكم قيئا ودما خير من أن يمتلئ شعرا قالت عائشة: لم يحفظ ! إنما قال: وأوردت الحديث كما سقناه لك من قبل (١). وقصة ذى اليدين التى رواها البخاري عن أبى هريرة أنه صلى الله عليه وسلم صلى الظهر أو العصر، فسلم بعد ركعتين، فقال له ذو اليدين: الصلاة يا رسول الله، أنقصت ؟ فقال النبي (يخاطب الصحابة) أحق ما يقول ؟ قالوا: نعم، فصلى ركعتين أخريين ثم سجد. هذه القصة في رواية البخاري: أنها صلاة الظهر، أو صلاة العصر - وفى رواية النسائي ما يشهد بأن الشك كان من أبى هريرة وهذا لفظه. صلى النبي صلى الله عليه وسلم إحدى صلاتي العشى ولكن نسيت ! ومن عجيب أمر الذين يثقون بأبى هريرة ويمنعون عنه السهو والنسيان لا يتحرجون من أن ينسبوهما إلى النبي صلى الله عليه وآله. فقد روى البخاري عن عائشة أن النبي سمع رجلا يقرأ في المسجد فقال: رحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا أسقطتهن من سورة كذا وكذا (٢). وقال صلوات الله عليه: إنما أنا

بشر أنسى، فإذا نسيت فذكروني. وقد قالوا: إن حديث ابن مسعود في السهو وهو " إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون " حجة لمن أجاز النسيان على النبي فيما ليس طريقه البلاغ مطلقا (أي البلاغ عن الله) وكذا فيما كان طريقه البلاغ ولكن بشرطين - أحدهما: أنه بعدما يقع منه بتبليغه. والآخر: نه لا يستمر على نسيانه، بل يحصل له تذكرة إما بنفسه، وإما بغيره. وإذا كان أبو هريرة - كما نعت نفسه - ذكيا فطنا قوى الذاكرة واسع

---

(١) راجع حديث الشعر في كتابنا هذا. (٢) ص ٣٠٢ ج ٥ وص ٧٠ ج ٩ فتح الباري. (*)

---



الحافظة، ضابطا لكل ما يسمع، لا تفلت منه كلمة، ولا يند عنه لفظ، فلم لم يحفظ القرآن الكريم على فراغه، وطول عمره ! وقد حفظه كثير من الرجال، وكذلك بعض النساء، ومنهن أم ورقة (١) بنت عبد الله بن الحارث الصحابية، وكان النبي يسمها الشهيدة، ولم لم يتعلم القراءة والكتابة، ويرضى أن يكون أميا ! ولعل ذلك لان عدم معرفة القراءة والكتابة من صفات الكمال عنده. ولو كان أبو هريرة قد بلغ هذه الدرجة التى لم يبلغها قط إنسان قبله، ولا يبلغها أحد بعده. وهى (عدم النسيان) لاشتهر عنه ذلك، ولاصبح وحده (علما مفردا) يرجع المسلمون جميعا إليه، وبخاصة في عهد أبي بكر وعمر، ولكان له - في الاسلام خاصة - على مد عصوره مقام أي مقام، إذ يكون دون سواه موضع ثقة الصحابة جميعا، فيأخذون بالثقة كل ما يجرى به لسانه، ويقبلون مطمئنين كل ما يلقيه عليهم من رواياته، وتستمر هذه الثقة إلى من بعد الصحابة من التابعين، ومن بعدهم إلى يوم الدين، ثم تكون كل أحاديثه من دون أحاديث الصحابة جميعا (متواترة في لفظها ومعناها، لا ينال منها الشك، ولا يعتريها الظن، وتأتى في درجة الثقة بعد القرآن الكريم). ولكن الامر قد جرى على غير ذلك، فلم يكن له شأن يذكر في زمن النبي صلى الله عليه وآله ولا في عهد الخلفاء الراشدين، وقد عرفت من قبل مبلغ ثقة عمر به فقد كان ينهاه عن رواية الحديث، ولما لم يرجع ضربه بالدرة، وأنذره إذا هو روى أن ينفيه إلى بلاده. ولو كان أبو هريرة على ما زعم، لاباح عمر له وحده أن يروى، ولكان عنده وعند غيره أصدق من روى وأوثق من حدث، ولم يقف الامر بهم عند ذلك بل إنهم قد اتهموه وكذبوه في الرواية - كما علمت من قبل - وكان بذلك كما بينا أول راوية اتهم في الاسلام.

---

(١) كانت أم ورقة هذه تلميذة لعائشة. (*)

---



٢ - حديث الاوعية: ولما أتم أبو هريرة الفصل الاول من قصته وهو " حديث بسط الثوب " وروجه (١) بين الناس، رأى من التدبير أن يوطئ به إلى ما بعده، فأخرج الفصل الثاني من هذه القصة وهو " حديث الوعاءين " ليقر في أذهان الناس أن النبي لا يفتأ يخصه بالفضل، ويمده بالايثار، وأنه بعد أن أفرده بتلك (النفحة النبوية التى حباه بها فجعله وحده محيطا بكل أحاديثه، قد شاء صلى الله عليه وآله - زيادة في إكرامه أن يصطفيه ليكون مستودع أسراره التى حجبها عن غيره، فأفضى إليه بأحاديث يحفظها في وعائه - وجعل له الخيار في

أن يبوح بها أو يكتمها، ولكى يبين خطر هذه الاسرار التى أمر بكتمانها قال: لو بثثت شيئا من هذا الوعاء لقطع هذا البلعوم. ويدهى أن أبا هريرة لم يأت بهذا الحديث إلا ليثبت - قبل كل شئ - علو قدره، وسمو شأنه بين جميع أصحابه، ثم ليهول به على الناس بعد ذلك، وليجعل منه سلاحا رهيبا في يده، يرغب به ويرهب - وبذلك تلتفت إليه الانظار، وتشرئب له الاعناق، وتتطاول إليه النفوس. والناس بطبيعتهم يتشوفون إلى اكتناه الاسرار، ويسعون جهدهم دائما في كشف ما غيب عنهم من الامور. ونمهد للكلام عن حديث (الوعاءين) بحديثين رواهما الذهبي وغيره، قد يكشفان شيئا عن سر هذا (الوعاء) المكنون، أو المكتوم. روى عن ابن المسيب (وهو زوج ابنة أبى هريرة) قال: كان أبو هريرة إذا أعطاه معاوية سكت ! وإذا أمسك عنه تكلم (٢) !. وروى عن محمد بن زياد قال: كان معاوية يبعث أبا هريرة على المدينة (أي يوليه عليها) فإذا غضب عليه بعث مروان وعزله (٣).

---

(١) يقال روج فلان كلامه، زينه وأبهمه فلا تعلم حقيقته (المصباح المنير). (٢) ص ٤٤٢ ج ٢ من أعلام النبلاء وص ٣٤ ج ١ من تذكرة الحفاظ و ١١٤ ج ٨ من البداية والنهاية. (٣) ص ٤٤١ من سير أعلام النبلاء ج ٢. (*)

---



ولعل سكون أبى هريرة إذا ما أعطاه معاوية، أن لا يبث أحاديث لا ترضى معاوية أو لا تنال من عدوه. مثل الحديث الذى رواه البخاري في ذم بنى أمية الذى يقول فيه: هلكة أمتى على يدى أغلمة من قريش. وقد قال ابن حجر في شرح هذا الحديث: كان ذلك في زمن معاوية. ومثل الحديث الذى رواه عمرو بن يحيى بن سعيد الآمدي عن جده قال: كنت مع مروان وأبى هريرة، فسمعت أبا هريرة يقول: سمعت الصادق المصدوق يقول: هلاك أمتى على يدى غلمة من قريش. قال مروان: غلمة ؟ قال أبو هريرة: إن شئت أسميهم، بنى فلان وبنى فلان ! أما كلام أبى هريرة عندما يمسك عنه معاوية فإنه يذكر أحاديث فيها مدح وثناء على على وأولاده، كالحديث الذى رواه عنه أحمد ونصه: نظر رسول الله إلى على والحسن والحسين وفاطمة فقال: " أنا حرب لمن حاربكم، وسلم لمن سالمكم (١) ". ونصه كما أخرجه الترمذي من حديث زيد بن أرقم - كما جاء في ترجمة الزهراء من الاصابة أن رسول الله ذكر عليا وفاطمة والحسن والحسين فقال: أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم، كذلك أخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه. والامثلة في ذلك كثيرة - ومثل هذا ولا ريب مما يغيظ معاوية وقومه. فكان من أجل ذلك يسارع إلى ما يرضيه. وقد عرف ذلك أبو هريرة فكان كلما أبطأ عليه معاوية بالعطاء تكلم بما يغضبه لكى يتوالى عليه عطاؤه. ويعود إلى المدينة واليا. ولنأخذ في بيان أحاديث الوعاءين. أخرج البخاري عن أبى هريرة قال: حفظت عن رسول الله (وعاءين) فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم !

---

(١) وكذلك أخرجه الطبراني في الكبير بالاسناد إلى أبى هريرة. (*)

---



وقال: لو أنبأتكم بكل ما أعلم لرماني الناس بالخرف، وقالوا أبو هريرة مجنون، وفى رواية: لو حدثتكم بكل ما في جوفى لرميتموني بالبعر !

وقال: يقولون: أكثرت يا أبا هريرة. والذى نفسي بيده ! لو حدثتكم بكل شئ سمعته من رسول الله لرميتموني بالقشع (يعنى المزابل) ثم ما ناظرتموني (١). كيس أبى هريرة: ولم يكتف أبو هريرة بالجرابين، بل قال في رواية: حفظت من رسول الله خمسة أجربة، فأخرجت منها جرابين (٢) ولو أخرجت الثالث لرجمتموني بالحجارة وهذه الاوعية كلها لم تقنعه، وإنما زعم أن له كيسا آخر ! من الاسرار التى لا يعلمها أحد غيره. عن مكحول قال: كان أبو هريرة يقول. رب كيس عند أبى هريرة لم يفتحه. رواه البخاري. ومن هو أبو هريرة حتى يؤثره النبي بشئ يخصه به ويكتمه ويخفيه عن أصفيائه وأوليائه وأقرب الناس إليه (٣) ؟ إنه لم يكن له أية ميزة من فضل يدنو بها إلى النبي، ولا عد بعد انتقال النبي إلى الرفيق الاعلى من أية طبقة من طبقات الصحابة (٤) فلا هو من السابقين الاولين، ولا من المهاجرين، ولا من الانصار،

---

(١) هذه الاخبار الثلاثة رواها ابن سعد في ترجمته في الطبقات. (٢) ص ٣٨١ من الحلية ورواية القاضى الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزى في كتابه المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ١٣٣ أنه حفظ عن رسول الله خمسة أجربة أحاديث وقال: إنى أخرجت منها جرابين ولو أخرجت الثالث رميتموني بالحجارة، وهذا الكتاب مأخوذ بالصورة الشمسية بدار الكتب العربية رقم ٤٨٣ مصطلح حديث. (٣) انظر صحيفة على عليه السلام في كتابنا " أضواء على السنة المحمدية " الطبعة الثالثة. (٤) قسموا الصحابة من حيث فضلهم إلى ١٢ درجة فما وجدناه في واحدة منها. " ١ " قدماء السابقين الذين أسلموا بمكة " ٢ " أصحاب دار الندوة " ٣ " مهاجرة الحبشة " ٤ " أصحاب العقبة الاولى " ٥ " أصحاب العقبة الثانية " ٦ " أول المهاجرين الذين وصلوا إلى النبي بقباء قبل أن يدخل المدينة " ٧ " أهل بدر " ٨ " المهاجرون بين بدر والحديبية " ٩ " أهل بيعة الرضوان " ١٠ " من هاجر بين الحديبية وفتح مكة " ١١ " مسلمة الفتح " ١٢ " صبيان وأطفال رأوا النبي يوم الفتح وحجة الوداع ص ٦٩ و ٧٠ ج ١ من الروض الباسم للوزير اليماني ولعله بذلك يكون من طبقة الصبيان. (*)



ولا من أهل العقبة الاولى ولا الثانية، ولا من العرفاء، ولا من الكملة في الجاهلية وأول الاسلام، ولا من شعراء النبي الذين نافحوا عنه، ولا من المفتين على عهد رسول الله ولا على عهد أبى بكر وعمر وعثمان، ولم يظهر إلا بعد الفتنة الكبرى - كما سنبينه فيما بعد - ولم يكن من القراء الذين حفظوا القرآن الكريم، ولا جاء في فضله حديث عن رسول الله (١) وكل ما عرف أنه كان من أهل الصفة لا أكثر ولا أقل. ومما يدل على هوانه وأنه كان من عامة الصحابة الذين لا شأن لهم، ولا علم عندهم، أنه لم يكن من الذين يبعثون إلى الاقطار الاسلامية ليعلموا أهلها أحكام الدين في عهد النبي ولا في عهد خلفائه. حتى في زمن معاوية، وسبق لنا كلام في هذا المعنى عندما بعثه النبي مع العلاء بن الحضرمي. ولو أن هناك شيئا يؤثر به النبي أحدا من أصحابه، لكان على أولى الناس جميعا به، ذلك بأنه ربيبه، وابن عمه وأخوه ووارث علمه، وأول من أسلم بعد خديجة وزوج ابنته فاطمة، وأبو السبطين لم يفارقه لا في سفر ولا في حضر وشهد معه المشاهد كلها سوى تبوك - ولما استخلفه النبي فيها على المدينة قال له على: أتخلفني في النساء والصبيان ؟ فقال له النبي هذه الكلمة التى لن يظفر بها أحد غيره وهى: أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه لا نبى بعدى (٢). حقا كان على هو أولى الناس جميعا بأن يوثره النبي بأسراره، فإن لم يكن على فأبو بكر أو عمر أو أبو عبيدة أو الزبير حواريه وابن عمته، أو ابن مسعود (٣) الذى قال له النبي: آذنك على أن ترفع الحجاب، وتسمع سوادى (٤)،

---

(١) عقد البخاري بابا في فضائل الصحابة وذكر أحاديث كثيرة في فضل كثير من الصحابة لم يكن أبو هريرة منهم ولا بحديث واحد. (٢) رواه البخاري والترمذي. (٣) روى مسلم أن النبي قال: خذوا القرآن من أربعة، ابن أم عبد (عبد الله بن مسعود) فبدأ به، ومعاذ بن جبل، وأبى بن كعب، وسالم مولى حذيفة، فترى أنه لم يصل إلى درجة أحد الموالى. (٤) وتسمع سوادى أي سرارى وهى خصوصية لابن مسعود. (*)



وكانوا لشدة ملازمته للنبى صلى الله عليه وآله لا يرون إلا أنه من أهل بيته، وعرف بين الصحابة بأنه صاحب السواد والوساد الذى لا يعرفه غيره. أو حذيفة بن اليمان الذى أخذ عن النبي صلى الله عليه وآله العلم بالمنافقين وقد سأله عمر: هل هو من المنافقين ؟ فقال له حذيفة، لا، ولا أزكى أحدا بعدك. وقد روى الشيخان عنه قال: قام فينا رسول الله مقاما ما ترك شيئا يكون في مقامه إلى قيام الساعة إلا حدث به، حفظه من حفظ، ونسيه من نسيه. وروى أحمد ومسلم عنه قال: والله إنى أعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بينى وبين الساعة، وما ذاك أن يكون رسول الله حدثنى عن ذلك شيئا أسره لى لم يكن حدث به غيرى (١) ولكن رسولي الله قال وهو يحدث مجلسا أنا فيه - وبعد أن ذكر حذيفة ما قاله النبي قال: فذهب أولئك الرهط كلهم غيرى (٢) وقد مات حذيفة بعد الفتنة الاولى بقتل عثمان. أي أن أبا هريرة لم يكن في ذلك الرهط. أو أبو ذر الغفاري، وهو أحد السابقين الاولين، ومن نجباء الصحابة وكان خامس خمسة، وصفه النبي بقوله: ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء على ذى لهجة أصدق من أبى ذر، ومن سره أن ينظر إلى زهد عيسى، فلينظر إلى أبى ذر - هذا الصحابي الجليل الذى جمع كل هذه الصفات يقول: ما ترك رسول الله شيئا مما صبه جبريل وميكائيل في صدره إلا صبه في صدري، ولا تركت شيئا مما صبه في صدري إلا قد صببته في صدر مالك ابن أبى حمزة. أو سلمان الفارسى الذى قال فيه النبي: سلمان منا أهل البيت، ولو كان الدين عند الثريا لناله سلمان، وقال فيه على: سلمان الفارسى مثل لقمان لحكيم، علم علم الاول والآخر، بحر علم لا ينزف - وكان ينفرد بالنبي في الليل كما ذكرت عائشة.

(١) انظر أمانة هذا الصحابي الذى يصرح بأن النبي لم يسر بشئ له وحده. (٢) أي أن أبا هريرة لم يكن في هذا المجلس إذا لم يكن في الرهط الذين ذهبوا قبل حذيفة. (*)



وهناك رجل صحب النبي قديما وكان من المقربين إليه الملازمين له في السفر والحضر - وكان كذلك من أهل الصفة - وكان له أن يتقدم أبا هريرة في كثرة الرواية - أو في أن يتلقى من النبي ما لم يصل إلى غيره، ولكنه كان متواضعا مؤديا لحق الصحبة، ذلك هو (ربيعة بن كعب الاسلمي). قال ابن عبد البر في تاريخه: " كان من أهل الصفة، وكان يلزم رسول الله في السفر والحضر وصحبه قديما وعمر بعده، مات بعد الحرة سنة ٦٣ هـ وهو الذى سأل النبي مرافقته في الجنة، فقال له رسول الله: أعنى على نفسك بكثرة السجود. رواه الاوزاعي عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن ربيعة بن كعب (١). كان هؤلاء جمعيا أولى الناس بأن يؤثرهم النبي بما لا يريد أن يظهره لسائر الصحابة - إذا كان هناك سر يريد أن يفضى به لاحد من خواصه - وقد قال بعض العلماء: إن اعتقاد ذلك - أي أن النبي قد كتم عن جميع الصحابة شيئا وخصه بأحدهم - يؤدى إلى نسبة الخيانة إلى النبي - ومعاذ الله. وعلى أنه يزعم هذه المزاعم كلها عن أجربته

هذه فإنه يعود فيناقض نفسه ويقول: إن أبا هريرة لا يكتم ولا يكتب (٢). ٣ - حديث المزود (٣): أما الفصل الثالث وهو الاخير من هذه القصة الطريفة، فهو (حديث المزود) ويغلب على الظن أنه ظهر به بعد أن أصبح ذا حظوة ودالة في دولة بنى أمية - وقد نال مبتغاه من تعويضه، بما ادعى أنه فقده بسبب ضياع هذا المزود الذى أكل منه مائتي وسق ! ولو لم يقض عليه جيش معاوية لظل يأكل منه طول حياته !

---

(١) ص ١٨٤ ج ١ من الاستيعاب وص ٢٧٣ ج ١ من أنساب الاشراف للبلاذرى. (٢) ص ١١٩ ج ٢ ق ٢ من طبقات ابن سعد طبعة ليدن. (٣) المزود بكسر الميم وعاء التمر بعمل من أدم (جلد مدبوغ). (*)

---



وها هو ذا مرويا عنه قال: " أصبت بثلاث مصيبات في الاسلام ! لم أصب بمثلهن ! موت رسول الله وكنت صويحبه، وقتل عثمان (طبعا)، والمزود. قالوا: وما المزود يا أبا هريرة ؟ قال: كنا مع رسول الله في سفر (أي سفر يا مولانا) فقال: يا أبا هريرة، أمعك شئ ؟ قلت: تمر في مزود، قال: جئ به، فأخرجت تمرا قال: فمسه ودعا فيه، ثم قال: ادع عشرة، فأكلوا حتى شبعوا، ثم كذلك حتى أكل الجيش كله (١) (يا سلام !) وبقى من تمر معى في المزود: فقال يا أبا هريرة: إذا أردت أن تأخذ منه شيئا فأدخل يدك ولا تكفه، قال: فأكلت منه حياة النبي، وأكلت منه حياة أبى بكر كلها، وأكلت منه حياة عمر كلها، وأكلت منه حياة عثمان كلها فلما قتل عثمان (٢) انتهب ما في يدى ! وانتهب المزود ! ألا أخبركم كم أكلت منه ؟ أكلت منه أكثر من مائتي وسق ؟ وإذا كان قد ذكر في هذا الحديث أن مزوده كان فيه تمر، وأن النبي وقد طلبه منه ومسه ثم أطعم منه الجيش، فإنه قد قال في رواية أخرى جاءت في مسند أحمد وإسنادها جيد: أعطاني رسول الله شيئا من تمر فجعلته في (مكتل) (٣) لا مزود - فعلقناه في (سقف البيت) (٤) فلم نزل نأكل منه حتى كان آخره، أصابه أهل الشام حيث أغاروا على المدينة - يعنى جيش بسرة بن أرطاة الذى بعثه معاوية لينكل بأهل المدينة ومكة - وما دام جند معاوية هم الذين أغاروا على هذا المزود فليكن عوضه من معاوية، وقد كان، فعوضه عنه بالشئ الكثير ! وإذا كانت رواية أحمد هذه تدل على أن أبا هريرة قد علق المزود في

---

(١) أي جيش كان ذلك ؟ وفى أية غزوة ؟ - وهل كان معلقا في الصفة ؟ وهل أخذه معه في البحرين ؟ وإذا كان يطعم من المزود حياة النبي وخلفائه الثلاثة، فلم كان يركب الصعب في سبيل طعامه، ويستقرئ الناس الآيات وهى معه ليطعموه أو يحرموه ؟ (٢) هنا السر وقد ذكر مصيبته في عثمان ليشايع بها الامويين.. (٣) المكتل بكسر الميم الزنبيل وهو ما يعمل من الخوص يحمل فيه التمر وغيره. (٤) يروى هنا أن المزود كان معلقا في " سقف البيت " ولم يكن له بيت، بل كان مقامه في الصفة. (*)

---



سقف البيت - فإن رواية الذهبي في " سير أعلام " تدل على أن المزود كان معلقا (بحقوه) (أي معقد إزاره) وهاك رواية الذهبي: قال أبو هريرة: أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله بتمرات فقلت: ادع لى فيهن يا رسول الله بالبركة، ثم قال: خذهن فاجعلهن في (مزود) فإذا أردت منهن فأدخل يدك فخذ، ولا تنثرهن نثرا، قال: فحملت من ذلك التمر كذا وكذا (١) وسقا في سبيل الله، وكنا نأكل ونطعم، وكان

المزود معلقا بحقوى لا يفارق حقوى فلما قتل عثمان انقطع (٢). هذه غرائب ثلاث من غرائب أبى هريرة المتعددة، نضعها تحت الاعين البصيرة، والعقول المستنيرة، لتفكر فيها تفكيرا عميقا، ثم لتحكم بعد ذلك على حقيقة روايات أبى هريرة وكيف كانت، ومقدار نصيبها من الصحة، ومدى سلامة عقل من صدقها ! وإذا كان لنا من كلمة نقولها هنا فهى أننا نقطع بأن هذه الاحاديث لا حقيقة لها، وما كان أبو هريرة ليستطيع أن يظهر بواحد منها في عهد كبار الصحابة الذين كان يخشاهم ولا يجرؤ على أن يتكلم بمثلها وبأقل منها أمامهم، وإنما ظهر بها في عهد معاوية الذى أيده وناصره، ولم يكن في عهده أحد يستطيع أن يقول كلمة الحق، اللهم إلا المؤمنين حقا وقليل ما هم. وهناك من وراء ذلك كله برهان قاطع يهدم كل ما يزعم أبو هريرة سواء في هذه القضية أو في غيرها، وهو مقدار الزمن الذى قضاه في الصفة (بالمدينة) وهو كما بيناه لا يزيد على عام وبضعة أشهر. هذه كلمتنا عن هذه القصة وأحاديثها الثلاثة ونصلها بكلمة أخرى عن عبارة جاءت في أثناء حديث (بسط الثوب) وهى: ألا تسألني في هذه الغنائم التى يسألنى عنها أصحابك !

---

(١) قدر هذه الكذكذة بمائتي وسق - والوسق حمل بعير. (٢) يصرح هنا بأن المزود كان لا يفارق حقوه - وكله عند مشايخنا جائز ص ٤٥٢ ج ٢ من سير أعلام النبلاء. وحديث المزود أخرجه الامام أحمد من طريقين والبيهقي من طريقين آخرين وأخرجه غيرهما من طرق أخرى. (*)

---



إن من أعجب العجب حقا أن يستعلن أبو هريرة بهذا الحديث، ولا يخشى أن تفضحه الحقيقة، وتنقضه سيرته التى عرفها الناس من أول يوم نزح فيه من بلاده ليخدم النبي صلى الله عليه وآله وذلك عندما طمع فيما ليس له بحق، فطلب من النبي صلى الله عليه وآله أن يسهم له من غنائم خيبر وهو لم يشهد حربها، ونال على هذا التطفل جزاء وفاقا من أبان بن سعيد - ويزيد هذا الحديث افتضاحا وتناقضا، ما وقع منه وهو في البحرين واتهام عمر إياه بسرقة مال المسلمين ! ويبدو لمن يدرس نفسية أبى هريرة من خلال سيرته أنه كان مصابا بالمرض الذى يسمى في هذا الزمان (بمركب النقص)، فهو من أجل ذلك يسعى ليستكمل هذا النقص، ويخلع عن نفسه (إزار) الخمول والضعة ليستبدل به لبدة الاسد، ووجد أن أسهل طريق يبلغه مأربه، أن يبث أخبارا عن نفسه ثم ينسبها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله توهم من يسمعها أنه كان ذا منزلة خاصة عند رسول الله صلى الله عليه وآله وأنه كان يؤثره على غيره من كبار الصحابة بفضله ! ومما سول له أن لا يتحرج في الرواية، وأن يذهب فيها كل مذهب، بحيث لا يخشى في ذلك شيئا. أن كان المفترى عليه صلوات الله عليه قد انتقل إلى الرفيق الاعلى، وأن وجد الاصحاب الكبار الذين يكذبونه في مزاعمه، قد انتقلوا جميعا إلى رحمة الله، وبخاصة عمر الذى ذهب عنه الخوف من درته التى كانت تباشر ظهره إذا ما روى - وقد صرح هو بعد أن استباح لنفسه الرواية فقال: إنى أحدثكم بأحاديث لو حدثت بها في زمن عمر لضربني بمخفقته، ولا تنس أن وضع الحديث كان قد فشا واستفاض في عهد معاوية كما بينا. ومن الاسباب التى أعانته على الرواية هو اتساع الفتوح الاسلامية، ومن أسلموا فيها لا يعرفون شيئا مما كان في عهد النبي صلى الله عليه وآله وخلفائه الراشدين، ومن وراء ذلك كله كان السلطان يؤيده، ويوسع له ولغيره مجال الوضع. كل ذلك قد جعله - بعد أن خلا الجو له - أن يرخى لنفسه عنان الرواية ويهيم في أوديتها، ويفتن ما شاء أن يفتن فيها، حتى سال سيلها، وطم واديها، وأصبح بذلك (محدث الدولة الرسمي) فكل ما يرويه يجب أن يكون صحيحا مقبولا !

وهذا الحديث الذى نتحدث عنه هنا ليس هو الاول من غرائبه، وإنما له نظائر كثيرة. ومن هذه النظائر ما قرأت نبأه قبل ذلك في قصة الثوب والمزود والاجربة، ومنها ادعاؤه أنه كان مع أبى بكر في حجته ! وأن النبي صلى الله عليه وآله قد وكله بحفظ زكاة رمضان ! وغير ذلك من مزاعمه التى لا تحصى. ولو أنت رجعت إلى مسنده فدرسته دراسة علمية عميقة، وأردت أن تحصى ما فيه من الغرائب والخرافات والترهات لملات من ذلك كتابا ضخما برأسه. وإذا كان تاريخ أبى هريرة قد حمل ما حمل من العجائب مما قد يمكن السكوت عليه، وغض النظر عنه، فإن هذه الغرائب الثلاث المضحكة لتثير أعظم الدهش، وأشد العجب، إذ لا يمكن أن يصدقها أي عقل، إلا إذا كان متعفنا، ومن أجل ذلك لا يمكنا أن نسكت عليها، أو لا نقف فيها. ومن العجيب المذهل أن هذه الغرائب - أو الخرافات - قد اتخذت سبيلها في التاريخ الاسلامي من لدن تدوينه إلى اليوم، وتمكنت من عقول جمهور المسلمين وأفكارهم، لتفعل فعلها مطمئنة، فلا يتكلم أحد فيها، ولا يقف باحث عندها، ويقولون كيف لا نصدقها، والذى صاغها (صحابي جليل (١)) وكل ما يأتي به أي صحابي فهو صحيح لا ريب فيه. وإذا كانت هذه القاعدة العقيمة التى أضحكت الناس علينا - قد أوجبها التقليد والجمود من قبل، فإنها قد أضحت الآن مما لا يمكن بأى حال أن تتبع، وبخاصة أن وراء مثل هذه الخرافات أمرا خطيرا يجب الالتفات إليه، ووضعه موضع الاعتبار، ذلك أن هذه الخرافات ومثيلاتها مما يرويه أبو هريرة - أو غيره - متصلة كلها بشخص رسول الله صلوات الله عليه أو بدينه، فإقرارها أو السكوت عليها، مما يسوء - ولا ريب - مقام النبي، ويجلب النقد إلى دينه، وقد أصبح للناس عقول يفهمون بها، وعلوم يزنون بموازينها - وإن التغاضي عن مثل هذه الخرافات ليدع للناس أن يقولوا: إن هذا الرسول يأتي بالخرافات، وإن دينه مبنى على الترهات. على حين أنه صلوات الله عليه ما بعث إلا لهدم الخرافات

(١) ثم جعلوه أخيرا " راوية الاسلام ". (*)



والاوهام واقتلاعها من الاساس، وأتى بدين أساسه العقل السليم والفكر الصحيح. وإنا إذ نذكر ما نذكر، والاسى يملا جوانحنا، لنرجو أن يكون قد آن لعلماء المسلمين المثقفين، أن يمحصوا تاريخهم، ويطهروا دينهم مما شابه من الخرافات، وما غشيه من الترهات، حتى يبدو للناس على نور العلم والعقل، كما أراد الله في أصدق صورة وأروعها. وإذ انتهينا إلى هنا فإنا نذكر طرفا مما قام به أبو هريرة إلى آل أبى العاص وبنى أمية. بعض ما قدمه أبو هريرة إلى آل أبى العاص وبنى أمية لم يكن ما قدم أبو هريرة إلى آل أبى العاص عامة، وسائر بنى أمية ومعاوية خاصة، جهادا بسيفه أو بماله، وإنما كان كما قلنا - أحاديث ينشرها بين الناس، يطعن فيها على على رضى الله عنه ويخذل بها أنصاره، ويجعل الناس يتبرأون منه، أو يشيد بفضل عثمان ومعاوية ! ومما رواه في فضل عثمان ما رواه البيهقى عنه: أنه لما دخل دار عثمان وهو محصور استأذن في الكلام، ولما أذن له قال: إنى سمعت رسول الله يقول: إنكم ستلقون بعدى فتنة واختلافا، فقال له قائل من الناس: فمن لنا يا رسول الله ؟ أو ما تأمرنا ؟ فقال: عليكم بالامير وأصحابه، وهو يشير إلى عثمان. أورده أحمد بسند جيد ! ولما نسخ عثمان المصاحف دخل عليه أبو هريرة فقال

(١): أصبت ووفقت، أشهد ! لسمعت رسول الله يقول: أشد أمتى حبا لى، قوم يأتون من بعدى يؤمنون بى، ولم يرونى - يصدقون بما جاء في الورق المعلق، فقلت: أي ورق ؟ حتى رأيت المصاحف ! فأعجب ذلك عثمان وأمر لابي هريرة بعشرة آلاف.

---

(١) ص ١٦ ج ٧ البداية والنهاية. (*)

---



وهذا الحديث من غرائبه، وهو ينطق ولا ريب أنه ابن ساعته كالحديث الذى قبله، وأنهما من كيسه ! وأخرج ابن عساكر وابن عدى والخطيب البغدادي عنه (أبو هريرة) قال: سمعت رسول الله يقول: إن الله ائتمن على وحيه ثلاثة: أنا وجبريل ومعاوية ! ورواية أخرى (١) عنه مرفوعا، الامناء ثلاثة: جبريل وأنا، ومعاوية ! ومما خدم به أبو هريرة معاوية أنه لما اشتد إنكار عبادة بن الصامت على معاوية - كما علمت من قبل - أرسل معاوية إلى أبى هريرة - وكان يومئذ بالشام وقال: ألا تمسك عنا أخاك عبادة ! فأتاه أبو هريرة وقال له: يا عبادة ! مالك ومعاوية ! ذره وما حمل ! فقال له عبادة لم تكن معنا إذ بايعنا رسول الله على السمع والطاعة والامر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأن لا تأخذنا في الله لومة لائم، فسكت أبو هريرة (٢) وتخاذل. ومن تشيعه، أن معاوية أرسله هو وأبو الدرداء إلى على ليدعوانه إلى الشورى فقابلهما عبد الرحمن بن غنم الاشعري - وكان من أفقه أهل الشام - وهو الذى فقه عامة التابعين بالشام وكان له جلالة وقدر، فكان مما قاله لهما: عجبا منكما ! كيف جاز عليكما ما جئتما به ؟ تدعوان عليا أن يجعلها شورى ؟ وقد علمنا أنه قد بايعه المهاجرون والانصار وأهل الحجاز والعراق، وأن من رضيه خير ممن كرهه، ومن بايعه خير ممن لم يبايعه ! وأى مدخل لمعاوية في الشورى ! وهو من الطلقاء الذين لا تجوز لهم الخلافة، وهو وأبوه من رءوس الاحزاب ؟ فندما على مسيرهما (٣).

---

(١) ص ١ ج ٨ البداية والنهاية. (٢) ص ٤ ج ٢ أعلام النبلاء للذهبي. (٣) ص ٤١٤ ج ٢، من الاستيعاب لابن عبد البر. (*)

---



أبو هريرة يشهد على على بأنه يحمي قتلة عثمان ذكر صاحب الغارات أن النعمان بن بشير قدم هو وأبو هريرة على على عليه السلام من عند معاوية يسألانه أن يدفع قتلة عثمان إلى معاوية ليقيدهم بعثمان، لعل الحرب أن تطفأ. وإنما أراد معاوية أن يرجع مثل النعمان وأبى هريرة من عند على عليه السلام إلى الناس وهم لمعاوية عاذرون ولعلى لائمون - وقد علم معاوية أن عليا لا يدفع قتلة عثمان إليه - فأراد أن يكون هذان يشهدان له عند أهل الشام بذلك، وأن يظهر عذره فقال لهما: ائتيا عليا فأنشداه الله وسلاه بالله، لما دفع إلينا قتلة عثمان - فإن أبى فكونوا شهداء الله عليه وأقبلا على الناس فأعلماهم ذلك. فأتيا إلى على عليه السلام فدخلا عليه فتكلم أبو هريرة في ذلك، ولكن عليا لم يرد عليه، وبعد أن كلمه النعمان، التفت إليه وقال له: حدثنى عنك يا نعمان. أنت أهدى قومك سبيلا ؟ يعنى الانصار - قال: لا، قال: فكل قومك قد اتبعنى إلا شذاذا منهم ثلاثة أو أربعة، أفتكون أنت من الشذاذ ؟ فقال النعمان، أصلحك لله ! إنما جئت لاكون معك وألزمك، وقد كان معاوية سألني أن أؤدى

هذا الكلام ورجوت أن يكون لى موقف أجتمع فيه معك، وطمعت أن يجرى الله تعالى بينكما صلحا فإن كان غير ذلك رأيك فأنا ملازمك وكائن معك. فأما. أبو هريرة فلحق بالشام، وأقام النعمان عند على عليه السلام - فأخبر أبو هريرة معاوية بالخبر، فأمره أن يعلم الناس، ففعل، وأقام النعمان بعده ثم خرج فارا من على عليه السلام، وكان النعمان عثمانيا. (ص ٢١٣، المجلد الاول من شرح نهج البلاغة) ولما خرجت الخوارج على على رضى الله عنه وقامت الحرب بينه وبين معاوية أخذ أبو هريرة يثبط الناس، وكان ذلك من أسلحته في مناصرة معاوية، وذلك بأحاديث يرويها عن النبي صلى الله عليه وآله منها ما رواه أحمد والبخاري عنه:



ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي من استشرف لها تستشرفه - ومن وجد ملجأ أو معاذا فليعذ به (١) ! يروى هذا وهو يعلم أن حديثه هذا مخالف لقوله تعالى: " فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ إلى أمر الله " ولما جاء في كثير من الاحاديث من الضرب على يد الظالم. وروى الشيخان عنه واللفظ لمسلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من أطاعنى فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع الامير فقد أطاعنى ومن عصى الامير فقد عصاني ولقد كان يظن عندما وقع الخلاف بين على ومعاوية أن الدائرة ستدور على معاوية لانه على الباطل، والحق في جانب على رضى الله عنه. فقبع واستكان ولما تغلب الظلم والبغى كشف عن وجهه، وظهر أمام معاوية بولائه، وكان أول من تلقى بسر بن أرطاة الذى أرسله معاوية إلى المدينة للفتك بأهلها وأخذ البيعة منهم له فعاونه في أخذ البيعة، وقال له: سر حتى تمر بالمدينة فاطرد الناس وأخف من مررت به، وانهب كل من أصبت له مالا ممن لم يكن دخل في طاعتنا، ففعل

---

(١) ص ٩٥ ج ١٣ من فتح الباري وقد ظل هذا الحديث سندا قويا يرتكن إليه كل الذين يريدون أن يثبطوا الناس عن الجهاد ضد الظالمين، ويعوقوهم عن دفع بغى الغاصبين، - وعلى سبيل المثال - نذكر أنه لما تمكن الانجليز في سنة ١٩١٤ من القبض على ناصية البلاد المصرية بقوتها، وأعلنت الاحكام العرفية فيها لكى تبلغ في ظلها كل ما تريد من نهب وسلب وظلم وقهر هاج الناس وماجوا واضطربت الامور، ولما انتشر الامر على الانجليز لم يجدوا وسيلة يدفعون بها غضب الجماهير ويطفئون نار ثورتهم، إلا أن يلجأوا إلى مشيخة الازهر الشريف لانقاذهم فطلبوا منها أن تسعى بنفوذها الدينى إلى تهدئة الخواطر وصدعت المشيخة بما أمرت به وأصدرت منشورا طويلا للناس كافة وإلى طلبة العلم خاصة أن يلزم الجميع سبيل الهدوء ويخلدوا إلى السكينة ويستسلموا للغاصب " ولا يتكلم أحد منهم في الاحوال الحاضرة " وألزمت الطلبة خاصة بأن لا يبرحوا منازلهم من الساعة السادسة مساء ولم يجدوا سندا يرتكنون عليه فيما دعوا الناس إليه، إلا هذا الحديث الذى رواه البخاري عن أبى هريرة وقد وقع هذا المنشور هيئة كبار العلماء وفريق كبير من العلماء، ونام المصريون حتى بلغ الانجليز مأمنهم وانتصروا - على ظلمهم - كما نام المسلمون من قبل حتى تغلب الامويون على بغيهم، كل ذلك وغيره، مما لم يصل إلينا خبره، يقع ببركة حديث (راوية الاسلام) أبى هريرة *. * ومن شاء أن يطلع على صورة هذا المنشور فليرجع إلى كتاب (السلطان حسين) تأليف الاستاذ محمد سيد كيلانى ص ٤٣ - ٤٦ أو الصحف المصرية الصادرة في ١٠ / ١١ / ١٩١٤. (*)



بسر بأهل المدينة ما لم يفعله جبار من قبل - وقد كان كما وصفوه قاسى القلب فظا سفاكا للدماء لا رأفة عنده ولا رحمة - فروع أهلها وأنزل بهم من ألوان العذاب ما تقشعر منه النفوس، وتنخلع القلوب،

من تقتيل وتنكيل وتحريق وهتك للحرمات، ولم يجد فيها مرحبا به، ولا معينا له، ولا راضيا عن جرائمه سوى أبى هريرة. الذى كان غاليا في مناصرة معاوية، وبعد أن أخرس الناس الرعب واستسلموا مرغمين، نادى فيهم وقال: " قد استخلفت عليكم (أبا هريرة)، فإياكم وخلافه ". ولم يزل أبو هريرة قائما بولايته يصلى بالناس حتى قدم المدينة جارية بن قدامة السعدى من قبل أمير المؤمنين على في ألفى فارس، فلم يكد أبو هريرة يسمع بقدومه حتى ولى هاربا من وجه جارية، فقال جارية فيه كلمته المشهورة المحفوظة: " لو وجدت أبا سنور لقتلته " (أي أبا هريرة) ولم يكد يخلو له الجو ويتسق الامر لمعاوية بعد قتل الامام حتى عاد أبو هريرة فتولى أمر المدينة. ولا ريب في أن الذى قذف الرعب في قلب أبى هريرة حتى لاذ بالفرار - تاركا صلاته وصلاة من معه - إنما هو الخوف والجزع من بطش جارية - أن يؤاخذه بما اقترف من الاثم مع بسر بن أرطاة عندما أغار على المدينة، فيفتك به ويجعله مثلا لغيره - ذلك بأن أبا هريرة كان وحده من بين أهلها جميعا الذى تشيع له، ورحب به، ومشى في ركابه وناصره عندما أخذ البيعة لمعاوية بقهره وجبروته. ومن أجل ذلك كله خصه جارية - دون سواه من أهل المدينة - بتهديده، وأنه لو وجده لقتله، ولم يفعل جارية مثل ذلك مع أحد من أهل المدينة قاطبة غيره (١). وتولية أبى هريرة للمدينة من قبل معاوية لولائه له (وعلى حى) أمر نص عليه جميع المؤرخين (٢) ولهذه التولية ولا ريب معنى لا يخفى على اللبيب.

---

(١) راجع ابن الاثير في حوادث سنة ٤٠ هـ عند ذكر سير بسر إلى الحجاز واليمن ص ٣٧٣ ج ٣ طبعة ليدن لترى كلمة جارية هذه. (٢) راجع تاريخ الذهبي الكبير ص ٣٣٤ ج ٢. (*)

---



وقد بلغ من مناصرته لبنى أمية أنه كان يحث الناس على أداء ما يطالب به عمالهم ويحذرهم من معصيتهم، أو أن يسبوهم. قال العجاج الراجز (١) قال لى أبو هريرة: ممن أنت ؟ قلت من أهل العراق قال: يوشك أن يأتيك بقعان الشام (٢) فيأخذوا صدقتك فإذا أتوك فتلقهم بها، فإذا دخلوها فكن في أقاصيها، وخل عنهم وعنها، وإياك أن تسهم، فإنك إن سببتهم ذهب أجرك، وأخذوا صدقتك، وإن صبرت جاءت في ميزانك يوم القيامة ! ! - والاخبار في ذلك كثيرة، ومما رواه في فضل معاوية ما أخرجه الخطيب عنه: ناول النبي صلى الله عليه وآله معاوية سهما فقال: خذ هذا السهم حتى تلقاني به في الجنة. وقد بلغ من شدة إخلاص أبى هريرة لمعاوية أنه كان يتمنى لو يكون من أبطال الحروب فيغامر في مواقع صفين ضد على رضى الله عنه. فقد روى العتكى قال: كان أبو هريرة مع معاوية في صفين، وكان يقول: لان أرمى فيهم بسهم (يعنى أهل العراق) أحب إلى من حمر النعم (٣). أهل الغرب ! ودمشق ! روى مسلم عن أبى هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله قال: لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة، قال أحمد وغيره: هم أهل الشام. وجعل أبو هريرة دمشق من مدائن الجنة في حديث رفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله هذا نصه: أربع مدائن من مدائن الجنة، فمكة والمدينة وبيت المقدس ودمشق، أما مدائن النار فالقسطنطينية وطبرية وأنطاكية وصنعاء. وإليك خبرا تتفكه به تطرب له

---

(١) ص ٥٧٢ من كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ج ٢. (٢) بقعان الشام: خدمهم وعبيدهم ومماليكهم ومصدقيهم والمصدق بتخفيف الصاد، وتشديد الدال المكسورة

هو عامل الزكاة التى يستوفيها من أربابها أي الجابى. (٣) ص ٥٩ من كتاب قبول الاخبار ومعرفة الرجال لابي القاسم البلخى (مخطوط). (*)



حسن وجه معاوية: نظر أبو هريرة إلى عائشة بنت طلحة - وكانت مشهورة بالجمال الفائق - فقال: سبحان الله ! ما أحسن ما غذاك أهلك ! (والله) ما رأيت وجها أحسن منك إلا وجه معاوية على منبر رسول الله (١). أبو هريرة وهند: قال الشافعي فيما رواه الطبري، قال أبو هريرة: رأيت هندا بمكة كأن وجهها فلقة قمر ! وخلقها من عجيزتها مثل الرجل الجالس ومعها صبى يلعب ! فمر رجل فنظر إليه فقال: إنى لارى غلاما إن عاش ليسودن قومه ! فقالت هند: إن لم يسد إلا قومه فأماته الله (٢)، ولا ريب في أن أبا هريرة قد وضع هذا الحديث ليتقرب به إلى معاوية. وقصة غريبة: ولقد كان معاوية يعهد إليه بما يوصله إلى أغراضه، فقد روى الثقات أنه لما أراد أن يحتال على طلاق زوجة عبد الله بن سلام القرشى زينب بنت إسحاق، بعد أن هام يزيد بجمالها، أرسل أبا هريرة وأبا الدرداء إلى عبد الله ليبلغه رغبة معاوية في أن يزوجه ابنته لورعه، على أن يطلق زوجته لكى تخلص ليزيد، فصدق عبد الله، ولكنه بعد أن خسر امرأته أبى معاوية أن يزوجه ابنته (٣) ! معاوية يحدث صلاة موقوتة من أجل هواه وأبو هريرة يؤصلها له: لما بلغ معاوية نعى أمير المؤمنين (على رضى الله عنه) وقت الضحى قام فصلى ست ركعات، ثم أمر بنى أمية بالاحاديث في فضلها عن النبي صلى الله عليه وآله (٤)

(١) ص ١٠١ ج ٦ العقد الفريد. (٢) ص ١٥٩ من كتاب معاوية بن أبى سفيان في الميزان للعقاد. (٣) المصدر السابق نفسه. (٤) ص ١٨٥ ج ٣ الصراط المستقيم للعاملي. (*)



وهذه الصلاة لم يصلها النبي صلى الله عليه وآله ولا أبو بكر ولا عمر ولا ابن عمر (١). ولكن لم يلبث محدث الدولة أبو هريرة أن روى هذا الحديث: أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهن حتى أموت: صوم ثلاثة أيام في كل شهر وصلاة الضحى ونوم على وتر (٢). ولقد كان أبو هريرة كثيرا ما يدعى باطلا أن النبي صلى الله عليه وآله خليله وقد حققنا أمر هذا الادعاء الباطل فيما مضى (٣). أبو هريرة يضع أحاديث على على رضى الله عنه وضع أبو هريرة أحاديث كثيرة على على رضى الله عنه، يطول بنا الحديث لو أتينا بها كلها، فنكتفي بأمثال قليلة تنبئ عن غيرها. قال أبو جعفر الاسكافي (٤): إن معاوية وضع قوما من الصحابة وقوما من التابعين على رواية أخبار قبيحة في على تقتضي الطعن فيه، والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلا يرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه - منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير.. إلخ. وروى الاعمش قال: لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة (سنة ٤١) (وهو في الحقيقة عام الفرقة) جاء إلى مسجد الكوفة، فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه، ثم ضرب صلعته مرارا وقال يا أهل العراق ! أتزعمون أنى (أكذب) (٥) على رسول الله وأحرق نفسي بالنار !

(١) ص ٤٠ ج ٣ البخاري. (٢) ص ٤٤ من نفس المصدر. (٣) راجع صفحة ١١٨ من هذا الكتاب. (٤) ص ٣٥٨ ج ١ شرح نهج البلاغة. (٥) يدل هذا القول على أن كذب أبى هريرة على النبي كان قد اشتهر حتى عم الآفاق وأصبح الناس يتحدثون به في كل مكان. (*)



(والله) لقد سمعت رسول الله يقول: إن لكل نبى حرما، وإن حرمى بالمدينة ما بين عير إلى ثور (١)، فمن أحدث فيهما حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وأشهد بالله أن عليا أحدث فيها ! ! فلما بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمه وولاه إمارة المدينة (٢). على أن الحق لا يعدم أنصارا وأن الصحابة إذا كان فيهم مثل أبى هريرة والمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص وغيرهم ممن يستطيع معاوية أن يستحوذ عليهم، فإن فيهم كثرة غالبة لا يستهويها وعد ولا يرهبها وعيد، وكذلك في غيرهم من سائر الناس. فقد روى سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن القاسم عن عمر بن عبد الغفار أنه - أبو هريرة - لما قدم الكوفة مع معاوية (٣) كان يجلس بالعشيات بباب كندة ويجلس الناس إليه، فجاء شاب من الكوفة فجلس إليه وقال: يا أبا هريرة، أنشدك الله، أسمعت رسول الله يقول لعلى بن أبى طالب: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه ؟ فقال: اللهم نعم ! فقال: فأشهد بالله، لقد واليت عدوه، وعاديت وليه. ثم قام عنه بعد أن وخزه هذه الوخزة الاليمة.

(١) قال صاحب معجم البلدان في حرف (الثاء) ثور اسم جبل بمكة فيه الغار الذى اختفى فيه النبي - وفى الحديث: أنه حرم بين عير إلى ثور: قال أبو عبيد: أهل المدينة لا يعرفون بالمدينة جبلا يقال له: ثور - ويرى أهل الحديث أنه حرم ما بين عير إلى أحد. وقال بعض الرواة بين عير إلى كدى - وقيل بمكة جبل اسمه عير ولا يجوز أن يعتقد أنه حرم ما بين عير الجبل الذى بالمدينة وثور الجبل الذى بمكة فإن ذلك بالاجماع مباح. (٢) ص ٣٥٩ ج ١ شرح نهج البلاغة وص ٥٨ من كتاب قبول الاخبار لابي القاسم البلخى. (٣) يتبين من ذلك أن معاوية كان يستصحب أبا هريرة في رحلاته ليكون داعيا له وأنه لم يكتف بملازمته إياه بالشام. (*)



كيف يفعل التعصب والحرص على الدنيا ذكر البطليوسى أن من العلل التى تعرض للحديث علة (فساد الاسناد)، وقال إنها من أشهر العلل، وإن الاسناد يعرض له الفساد من أوجه، منها أن يكون الراوى متعصبا لبعض الصحابة منحرفا من بعضهم، وقال: " ومما يبعث على الاسترابة بنقل الناقل أن يعلم منه حرص على الدنيا وتهافت على الاتصال بالملوك ونيل المكانة والحظوة عندهم، فإن من كان بهذه الصفة لم يؤمن على التغيير والتبديل والافتعال للحديث والكذب حرصا على مكسب يحصل عليه، ألا ترى إلى قول القائل (١): ولست وإن قربت يوما ببائع * خلاقى ولا دينى ابتغاء التحبب ويعتده قوم كثير تجارة * ويمنعنى من ذاك دينى ومنصبي وقد نبه رسول الله صلى الله عليه وآله على نحو هذا الذى ذكرناه بقوله: " إن الاحاديث ستكثر بعدى، كما كثرت عن الانبياء قبلى فما جاءكم عنى فاعرضوه على كتاب الله فما وافق كتاب الله فهو عنى قلته أو لم أقله (٢). ومما لا يمترى فيه أحد أن أبا هريرة كان متعصبا لمعاوية منحرفا عن على رضى الله عنه، وأنه كان حريصا على الدنيا متهافتا على الاتصال بمعاوية لنيل المكانة والحظوة عنده وقد نال كل ما يريد. جزاء من يداخل السلطان الظالم ومما لا يكاد يختلف عليه أحد أن معاوية بن أبى سفيان كان أول حاكم ظالم في الاسلام، ومما لا مراء فيه كذلك، أن أبا هريرة قد داخله وناصره وركن

(١) هو من رجال باهلة العظام يخاطب عبد الملك بن مروان. (٢) ص ١٠٣ و ١٠٤ من كتاب (الانصاف في التنبيه على الاسباب التى أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم) للامام أبى محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى الاندلسي المتوفى سنة ٥٢١ ه وقد بينا سائر العلل التى تكلم عنها البطليوسى في كتابنا (أضواء على السنة المحمدية) فيرجع إليها هناك. (*)



إليه، فترى ماذا يكون جزاؤه وجزاء مثله على ذلك في كل عصر ؟ أما القرآن الكريم فقد قضى فيهم بأن جزاءهم النار وذلك في قوله تعالى " ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ". وهاك ذروا من تفسير هذه الآية الكريمة: قال أبو بكر الجصاص في تفسيره (أحكام القرآن): الركون إلى الشئ هو السكون إليه والمحبة، فاقتضى ذلك النهى عن مجالسة الظالمين ومؤانستهم، والانصات إليهم وهو مثل قوله تعالى: " فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين " وقال الزمخشري في الكشاف: والنهى متناول للانحطاط في هواهم، والانقطاع إليهم، ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم، ومداهنتهم، والرضا بأعمالهم، ومد العين إلى زهرتهم، وذكرهم بما فيه تعظيم لهم، وتأمل قوله: " ولا تركنوا " فإن الركون هو الميل اليسير وقوله: " إلى الذين ظلموا " أي إلى الذين وجد منهم الظلم، ولم يقل الظالمين. وقال الرازي في مفاتيح الغيب: قال المحققون: الركون المنهى عنه هو الرضا بما عليه الظلمة من الظلم وتحسين تلك الطريقة وتزيينها عندهم وعند غيرهم، ومعنى قوله: " فتمسكم النار " أي أنكم إذا ركنتم إليهم فهذه هي عاقبة الركون، واعلم بأن الله حكم بأن من ركن إلى الظلمة لابد أن تمسه النار، وإن كان كذلك فكيف يكون حال الظالم نفسه ! وقال البيضاوى في (أنوار التنزيل): وإذا كان الركون إلى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون إلى الظالمين الموسومين بالظلم، ثم بالميل إليهم كل الميل، ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه. ونتم القول في ذلك بما جاء في الحديث عمن يداخلون الظالمين: في حديث ابن عباس الذى ذكره ابن عبد البر في الجزء الاول من جامع بيان العلم. " من أتى أبواب السلطان افتتن ". وأخرج أحمد وأبو داود من حديث (أبو هريرة): " ما ازداد أحد من



السلطان دنوا، إلا ازداد من الله بعدا "، وروى النسائي والترمذي والحاكم وصححاه وغيرهم من حديث كعب بن عجرة مرفوعا: سيكون بعدى أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فليس منى، ولست منه، ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم، ولم يصدقهم بكذبهم فهو منى، وأنا منه، وهو وارد على الحوض. وهناك أحاديث كثيرة في ذلك أخرجها الجلال السيوطي في كتاب (الاساطين في عدم المجئ إلى السلاطين " وقد تركناها خشية الاطالة. ولا يمترى أحد أن الصفات التى ذكرها المفسرون في تفسير آية " ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار "، وما جاء في الاحاديث الشريفة، ينطبق كله على أبى هريرة، ومن على شاكلته في مداخلة معاوية والركون إليه. أيادى بنى أمية على أبى هريرة: عرف بنو أمية صنيع أبى هريرة معهم، وقدروا موالاته لهم فأغدقوا عليه من أفضالهم، وغمروه برفدهم وأعطياتهم، فلم يلبث أن تحول حاله، من ضيق إلى سعة، ومن شقاء إلى دعة، ومن فقر إلى ثراء، ومن ضعة إلى علياء. وبعد أن كان يستر جسمه بنمرة بالية، أصبح يلبس الخز (١) والديباج (٢) والكتان الممشق والساج المزرور بالديباج، وبعد أن كان خادما صار سيدا مخدوما ! ومن

قوله كما جاء في الحلية: نزعت نمرة على ظهرى فبسطتها بين يديه صلى الله عليه وآله كأنى أنظر إلى القمل يدب عليها. وكان يربطها في عنقه فتبلغ ساقه فيجمعها بيده لئلا تبدو عورته. وروى البخاري عن محمد بن سيرين قال: كنا عند أبى هريرة وعليه ثوبان ممشقان من كتان، فقال: بخ بخ يتمخط في الكتان ! لقد رأيتنى وإنى لاخر فيما بين منبر رسول الله إلى حجرة عائشة مغشيا على ! فيجئ الجائى

---

(١) قال ابن سعد في طبقاته (ص ٥٨ - ٤ - ٢) والذهبي في أعلام النبلاء ص ٤٥٠ ج ٢ إن أبا هريرة كان يلبس الخز. (٢) هو الطيلسان - وروى ابن سعد في نفس المصدر أن أبا هريرة كان يلبس الساج المزرور بالديباج. (*)

---



فيضع رجله على عنقي ويرى أنى مجنون ! وما بى من جنون ! ما بى إلا الجوع (١). ورواية الذهبي في أعلام النبلاء: عن محمد: كنا عند أبى هريرة فتمخط فمسح بردائه وقال: الحمد لله الذى تمخط أبو هريرة في الكتان (٢). ولا يستغرب أحد من هذا الامر المستقذر الذى تنفر منه النفوس، فإن الذى يستسيغ غمس الذباب في الطعام ثم يأكله، لا يستغرب منه أي شئ يفعله بعد ذلك. وحسبه أنه أبو هريرة ! ولقد كانت أول لفتة من عين الامويين إلى أبى هريرة، أن ولاه معاوية على المدينة، ثم زادت أياديهم عليه فبنوا له قصرا بالعقيق، وأقطعوه أرضا به، وأخرى بذى الحليفة، ولا يحصى ما أسدوه له، وإنما التى هي قاصمة الظهور، ومحرجة الصدور، والتى لا يذكرها إنسان ذو نفس كريمة إلا امتلا حزنا وأسى أن يزوجوه من الاميرة الجليلة بسرة بنت غزوان أخت الامير المجاهد الجليل عتبة بن غزوان (٣). والذى زوجه منها مروان بن الحكم أيام ولايته على المدينة من قبل معاوية. وقد ذكر ابن حجر في الاصابة (ص ٣٠ ج ١) أنها قد استأجرت " أبا هريرة " في العهد النبوى ثم تزوجها بعد ذلك، لما كان مروان يستخلفه في إمرة المدينة على عهد معاوية. ولقد كان هذا الزواج بعد موت أخيها عتبة بزمن طويل، ولو كان حيا ما استطاع أن يدنو ممن تخدمها، ولكنها المصادفات الغريبة الساخرة. لك الله أيها الاميرة الفاضلة الاصيلة الطاهرة التى قضى عليها بؤسها وشقاؤها أن يفترشها من كان من قبل يخدمها في أيام عريه وفقره بطعام بطنه. ألا ما أقسى الزمن، وما أظلم الدهر ! مهين مثل أبى هريرة يتيح له الحظ

---

(١) ص ٢٥٩ و ٢٦٠ ج ١٣ من فتح الباري. (٢) ص ٤٢٦ ج ٢. (٣) هو الامير الجليل عتبة بن غزوان أسلم سابع سبعة وكان من الامراء الغزاة - وهو الذى اختط البصرة وأنشأها ومصرها ولما استعمله عمر عليها بنى بها مسجدا ولم يبن دارا توفى سنة ١٨ هـ وقبل سنة ١٥ هـ. )*(

---



فيجد من عون السلطان وغفلة الزمان، ما ينال به، ما لم يكن يحلم به ! وليته كان كريما مع هذه السيدة الجليلة التى عثر بها جدها، فوقعت مضطرة فريسة - وهى العربية الابية - بين يديه، فيذكر سالف برها به وسابق إكرامها إياه، ويحفظ أياديها الكثيرة عليه أيام فقره وفاقته، أيام كان يمشى على الارض بلا نعلين، كما تهكم به عمر عندما عزله عن البحرين ! ولكنه قد عاملها معاملة قاسية

شديدة تتفق مع طبيعته وأصله. وهاك صورة قاتمة يبدو منها كفره بنعمتها، وسوء معاملته لها، وإهانته إياها، مما لا يصدر مثله عن رجل كريم، أو زوج نبيل. أشره وبطره لما بلغ ما كان يعد مستحيلا لمثله، وتزوج من هذه الاميرة العظيمة، لم يعرف قدر ما سبق من نعم غمرته بها من قبل، ولم يقدرها قدرها، فقد استخفه أشره، ونم عليه أصله وطبعه، فخرج عن حدود الادب والوقار للتى قضى عليها سوء حظها، ونحس طالعها، بأن تتزوج من خادمها ! فكان يفتخر بعد هذا الزواج الذى كان نكبة على هذه الاميرة ويقول: إنى كنت أجيرا لبسرة بنت غزوان بطعام بطني، فكنت إذا ركبوا سقت بهم، وإذا نزلوا خدمتهم. وفى رواية الاثرم وابن ماجه، كنت أجيرا لابنة غزوان بطعام بطني وعقبة رجلى، أحطب لهم إذا نزلوا، وأحدو بهم إذا ركبوا، والآن تزوجتها، فأنا الآن أركب فإذا نزلت خدمتني. ويقول: وكانت إذا أتت على مكان سهل نزلت فقالت: لا أريم حتى تجعل لى عصيدة ! فهأنذا إذا أتيت على نحو من مكانها قلت لها: لا أريم حتى تجعلي لى عصيدة. ومما أخرجه ابن سعد عن محمد عن أبى هريرة أنه قال: كنت أجير ابن عفان وابنة غزوان، بطعام بطني وعقبة رجلى، أسوق بهم إذا ركبوا (١)، وأخدمهم إذا نزلوا، فقالت لى يوما لتردنه حافيا، ولتركبنه قائما، فزوجنيها الله بعد،

---

(١) تقدم النص من قبل. (*)

---



فقلت: لتردنه حافية، ولتركبنه قائمة ! وفى رواية لابن سيرين، لتردنه حافية، ولتركبنه وهو قائم (١). فانظر إلى هذا الكلام الذى تعرى عن كل مروءة وكرم، إذ يباهى بامتهان زوجه أمام الناس ويجاهر بالتشفى منها، وهل يفعل مثل ذلك رجل أصيل نبت من عنصر عريق ؟ ولكن لا عجب فإنه أبو هريرة وكفى ! وليته كان يكتفى بذكر هذا الاشر والزهو في مجالسه الخاصة، بل بلغ من تبجحه في ذلك أنه كان يستعلن به على منبر رسول الله بالمدينة، وإليك ما رواه في ذلك أبو نعيم في الحلية (٢). عن أبى يزيد المدينى قام أبو هريرة على منبر رسول الله بالمدينة فخطب خطبة ومما قاله فيها: الحمد لله الذى أطعمني الخمير، وألبسني الحرير وزوجني بنت غزوان بعد ما كنت أجيرا لها بطعام بطني فأرحلتنى فأرحلتها كما أرحلتني.. الحديث. ومن العجيب أنك ترى من يسوع هذا الزواج ويقول: إن الاسلام قد سوى بين الناس في المنزلة فلا فارق بين خادم ومخدوم ! وهو قول باطل لا ينطق به إلا من نبت من عنصر غير كريم، فهو لا يستطيع أن يميز بين الشريف في عزته، والوضيع في خسته، ويجهل ما تقضى به الطبائع البشرية من أن الناس ليسوا سواء في الاخلاق والشيم، ولا يدرى ما قاله الرسول صلى الله عليه وآله: " الناس معادن - وأنزلوا الناس منازلهم ". هذا وإن كل نبيل النفس أغر المكارم لا يستنكر هذا الزواج فحسب بل ينفر منه ويمقته ويفزع له. وإن لنا أن نقول هنا ولا نخشى في الحق شيئا: إنه لو كان قد روعى حق العرف العربي، واتبع حكم الشرع الاسلامي، لما وقع هذا الزواج قط، وذلك بسبب انعدام الكفاءة ووجود التفاوت العظيم في المنزلة بين هذه الاميرة الجليلة وبين أبى هريرة، فبينما تراها في السطح من

---

(١) ص ٥٣ ج ٤ ق ٢ من طبقات ابن سعد. وص ٣٢ ج ١ تذكرة الحفاظ. (٢) ص ٣٨٤ ج ١ حلية الاولياء. (*)

المجد والشرف والعزة، إذ بك تجده عاريا من مزايا الحسب والنسب، وما ظنك برجل بلغ من الهوان والضعة، أنه لا يعرف اسمه ! والكفاءة أول شرط في صحة الزواج، فإذا ما انعدم هذا الشرط أصبح الزواج باطلا، وبخاصة إذا وقع بإرغام وقهر من حاكم ظالم وسلطان فاجر، كما هو الشأن في زواج أبى هريرة بهذه السيدة البائسة المغلوبة على أمرها الذى وقع تحت سلطان معاوية الغاشم ! ولكن ما لا يجوز أن يقع قد وقع بفعل السياسة وطغيانها ! التى لعن الاستاذ الامام محمد عبده اسمها ومعناها وقال فيها كلمته المشهورة: ما دخلت السياسة في شئ إلا أفسدته أمثلة مما رواه أبو هريرة وقد آن لنا أن نحدثك بأمثلة مما رواه أبو هريرة ! بعد ما قدمنا ما قدمنا من تاريخ أبى هريرة، نسوق إليك أمثلة مما رواه وعزاه إلى النبي صلى الله عليه وآله ولا نعلق عليها، بل ندع ذلك لعقول القراء النبهاء وفطنتهم، لان الكلام في أمره قد طال: أخرج البخاري ومسلم عنه أنه قال: جاء ملك الموت إلى موسى فقال له: أجب ربك ! فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها، فرجع الملك إلى الله تعالى، فقال: إنك أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت ففقأ عينى ! فرد الله إليه عينه وقال: ارجع إلى عبدى فقل له: إن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما توارت بيدك من شعرة فإنك تعيش بها سنة ! وأخرج أحمد هذا الحديث في مسنده عن أبى هريرة وفيه: إن ملك الموت كان يأتي الناس عيانا، قال: فأتى موسى فلطمه ففقأ عينه، الحديث وأخرجه ابن جرير الطبري عن أبى هريرة بلفظ: إن ملك الموت كان يأتي الناس عيانا حتى أتى موسى فلطمه ففقأ عينه. وجاء في هذا الحديث أن ملك الموت جاء إلى الناس خفيا بعد موت موسى ! وشكرا لموسى ! ! وقد أورد الثعالبي في كتابه (المضاف والمنسوب) هذا الحديث تحت عنوان

---



(لطمة موسى) وقال عنه إنه من أساطير الاولين وأن ملك الموت هذا (أعور) حتى قيل فيه. يا ملك الموت لقيت منكرا * لطمة موسى تركنك أعورا ! وختم قوله بهذه العبارة " وأنا برئ من هذه الحكاية " (ص ٤٠، ٤١). ومن العجيب أن يصف الثعالبي هذا الحديث بأنه من أساطير الاولين بعد أن رواه البخاري ومسلم، مما يدل على أن هذين الكتابين لم يكن لهما في القرون الاولى الاسلامية تلك القداسة التى جعلت لهما بعد ذلك، والثعالبي - كما هو معروف - قد مات في سنة ٤٢٩ هـ. ولا ننسى هنا فضل موسى على الناس جميعا فقد حفظهم من رؤية ملك الموت البشعة، وله فضل آخر عظيم على المسلمين، فقد كان هو السبب في أن وضع عنهم ٤٥ صلاة كل يوم وليلة (انظر حديث المعراج) إذ أنه استدرك على الله وعلى النبي ونصح له أن يراجع ربه وظل النبي يصعد ويهبط بين الله وموسى تسع مرات، وفى كل مرة تنقص الصلاة خمسا ! إلى أن أصبحت خمس صلوات في اليوم والليلة، فجزى الله موسى عن المسلمين كافة أحسن الجزاء، إذ لولاه لكان على المسلمين أن يؤدوا كل يوم خمسين صلاة ! وأخرج البخاري ومسلم عنه: قال النبي تحاجت الجنة والنار: فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ! وقالت الجنة: مالى لا يدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقطتهم ! قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: أنت عذابي أصيب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منهما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله ! فتقول: قط قط ! فهناك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض. الحديث. وروى الشيخان عنه، ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى الثلث الاخير يقول: من يدعوني فأستجيب له.. الحديث. وأخرج الشيخان عنه مرفوعا إلى

النبي: قال سليمان بن دواد: لاطوفن الليلة بمائة امرأه تلد كل امرأة غلاما ! يقاتل في سبيل الله، فقال له الملك: قل إن

---



شاء الله، فلم يقل ! فأطاف بهن فلم تلد إلا امرأة نصف إنسان: قال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وآله لو قال: إن شاء الله لم يحنث - وكان أرجى لحاجته ! وفى رواية أنهن تسعون امرأة وفى رواية ثالثة أنهن سبعون، وفى رواية رابعة أنهن ستون وكل هذه الروايات قد جاءت عن البخاري ومسلم وأحمد. وكل جائز عند مشايخنا ! وأخرج الشيخان عنه قال: صلى رسول الله صلاة فقال صلى الله عليه وآله إن الشيطان عرض لى فشد على يقطع الصلاة فأمكنني الله منه فدعته (أي فخنقته) ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا فتنظروا إليه، فذكرت قول سليمان عليه السلام (رب هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى) الآية. روى البخاري عن أبى هريرة قال رسول الله: اشتكت النار إلى ربها فقالت: أكل بعضى بعضا، فأذن لها بنفسين، نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون في الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير. وروى الشيخان من حديث أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله: يجمع الله الناس فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبعون ما كانوا يعبدون، وتبقى هذه الامة بمنافقيها فيأتيهم الله تعالى في غير الصورة التى يعرفون فيقول: أنا ربكم ! فيقولون: نعوذ بالله تعالى منك ! هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم في الصورة التى يعرفونها فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا ! وأخرج الشيخان عن أبى هريرة مرفوعا: فقدت أمة من بنى إسرائيل لا يدرى ما فعلت، وإنى لا أراها إلا الفأرة، إذا وضع لها ألبان الابل لم تشرب، وإذا وضع لها ألبان الشاة شربت - الحديث. وروى البخاري عنه: أن النبي قال: ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع. ورواية مسلم في كتابه: وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام. ورواية البزار عنه: غلظ جلد الكافر وكثافة جلده اثنان وأربعون ذراعا - بذراع الجبار، يا حفيظ !

---



ورواية الترمذي والحاكم عنه: وأن ضرسه مثل أحد (١) وأن مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة. وهناك روايات كثيرة عن الكافر، وكلها عن أبى هريرة أعرضنا عنها. وأخرج الشيخان عنه عن رسول الله قال: خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا، وزاد أحمد عن أبى هريرة: في سبعة أذرع عرضا. وهذا الحديث هو نفس الفقرة السابعة والعشرين من الاصحاح الاول من سفر التكوين (العهد القديم) وإليك نصها: فخلق الله الانسان على صورة الله - على صورة الله خلقه، ذكرا وأنثى خلقهم. وفى مسلم عن أبى هريرة مرفوعا: إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه، ولا يقل قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، فإن الله خلق آدم على صورته - وقد أخرجه البخاري في الادب المفرد ورواه أحمد كذلك. روى البخاري عن أبى هريرة أن رسول الله قال: من عادى لى وليا، فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبد بشئ أحب إلى مما افترضته عليه، وما زال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحببته، فكنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وما ترددت عن شئ أنا فاعله. ترددي عن قبض نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته (٢) ! وروى البخاري عنه أنه كان يحمل مع النبي إداوة لوضوئه وحاجته، فبينما هو يتبعه بها، فقال: من هذا ؟ فقال: أنا أبو هريرة فقال: ابغنى أحجارا استنفض بها، ولا تأت بعظم

ولا بروثة. فأتيته بأحجار أحملها في طرف ثوبي حتى وضعت إلى جنبه، ثم انصرفت حتى إذا فرغ مشيت معه فقلت: ما بال

---

(١) أي جبل أحد - يا حفيظ ! (٢) تفرد البخاري بإخراج هذا الحديث وقد طعن فيه الائمة فقال الذهبي وابن رجب: هذا حديث غريب. وقال الخطابى: التردد في حق الله غير جائز والبداء عليه في الامور غير سائغ. ويبدو أن أبا هريرة قد استقى هذا الحديث من أستاذه وهب بن منبه، فقد وقع في الحلية في ترجمة هذا الكاهن " وهب " أنه قال: إنى لاجد في كتب الانبياء أن الله تعالى يقول: ما تردد عن شئ قط ترددي عن قبض روح المؤمن. (*)

---



العظم والروثة ؟ قال: هما من طعام الجن، وأنه قد أتانى وفد جن نصيبين (١) - ونعم الجن، فسألوني الزاد، فدعوت الله لهم، أن لا يمروا بعظم ولا بروثة إلا وجدوا عليها طعاما ! فانظر إلى تركيب ألفاظا هذا الحديث قبل أن تنظر إلى معانيه ! وفسر (طوبى) في قوله تعالى " طوبى لهم " فقال: طوبى شجرة في الجنة يقول الله لها: تفتقي لعبدي عما شاء، فتتفتق له عن الخيل بسروجها، وعن الابل بأزمتها وعما شاء من الكسوة (٢). حديث الذباب روى البخاري وابن ماجه عن أبى هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله قال: " إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله فإن في أحد جناحيه داء والآخر شفاء ". ولهذا الحديث ألفاظ مختلفة منها: فإن في أحد جناحيه سما وفى الآخر شفاء، وأنه يقدم السم ويؤخر الشفاء، ومنها: أن تحت جناح الذباب الايمن شفاء وتحت جناحه الايسر سما، فإذا سقط في إناء أو في شراب أو في مرق فاغمسوه فيه فإنه يرفع عند ذلك الجناح الذى تحته الشفاء ويحفظ الذى تحته السم (٣). هذا الحديث قد وجد من نقد الباحثين ما لم يجده حديث آخر، ذلك بأن الذباب في نفسه قذر تنفر النفوس من رؤيته فكيف يأمر النبي بغمسه إذا سقط في الاناء الذى فيه طعام أو شراب ثم يتعاطون بعد ذلك ما في الاناء ؟ ومنذ سبع عشرة سنة هب النطاسى البارع الدكتور سالم محمد يشك في هذا الحديث مرتكنا على ما أثبته الحس والعلم وأجمع عليه الاطباء قاطبة من ضرر الذباب، وأنه أكبر أعداء الانسان لانه يسبب أمراضا كثيرة تفتك

---

(١) بلدة مشهورة. (٢) ص ٥١٣ ج ٢ تفسير ابن كثير. (٣) يبدو أن أبا هريرة قد ذكر هذا الحديث وهو على إحدى الموائد الفاخرة - إذ كانت الاحاديث تروى في المناسبات - ورأى ذبابة وقعت في أحد الاواني وخشى أن يستقذر الآكلون ما فيها فيفوته شهى طعامها فقال هذا الحديث. (*)

---



بالملايين من البشر كل عام، فوقف في وجهه شيخ جامد يدرس - للاسف - الشريعة الاسلامية بإحدى الجامعات المصرية - فرمى هذا الطبيب الفاضل بالجهل، وأنه لم يحترم (البخاري المقدس). وقد رأيت حينئذ إنصافا للعلم، وتنزيها لمقام النبي صلى الله عليه وآله، وتأييدا لهذا الدكتور الباحث أن أنشر في العدد ٩٦٤ - ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥١ من مجلة الرسالة - كلمة هذا نصها: معركة الذباب قامت في الشهور الاخيرة معركة حامية بين مجلتي: لواء الاسلام والدكتور، حول حديث الذباب، فالاولى تتمسك بهذا الحديث، وتصر على إثباته، ليأخذ الناس به، ويصدقوا بمدلوله، مرتكنة على أن كتب الحديث قد أوردته - ومنها البخاري - وأما الثانية فتدفع هذا الحديث وتستبعد

صدوره عن النبي الذى لا ينطق عن الهوى، وحجتها ما أثبته العلم وحققته التجربة من ضرر الذباب، وأنه ناقل للعدوى في أمراض كثيرة. وإن المرء ليأسى أن يقوم إنسان (١) في هذا العصر الذى زخرت فيه بحار العلم وأخرجت من عجائب المخترعات والمستكشفات ما يدهش العقول، وتسابق أهلوه في مضمار العلم ما استطاعوا للانتفاع بما خلق الله لهم وسخره لعلومهم في السماوات والارض، متخذين في ذلك كل سبب من أسباب العرفان والتجربة - فيشغل الناس بهذه الابحاث العقيمة التى لا تنفع ولا تفيد، بل هي إلى إساءة الدين أدنى، وإلى ضرر الناس أقرب ! ولقد كان جديرا بمجلة (لواء الاسلام) ألا تسود صفحاتها بمثل هذا البحث العقيم الذى يفتح ولا ريب على الدين شبهة يستغلها أعداؤه، ويتوارى منها

---

(١) الاشارة في ذلك إلى هذا الشيخ الحشوى الذى كان يجادل الدكتور بغير حق وقد أصبح معروفا بين الناس بسخافة العقل وضيق العطن، وإن كان من شيوخ الدين. الذين يدرسون الشريعة للشبان المسلمين وغير المسلمين. (*)

---



أولياؤه، وأن تدع الامر في مثل هذا الحديث إلى العلم وتجاربه، وما وصلت إليه أبحاثه الدقيقة التى لا يمكن نقضها، ولا يرد حكمها. وماذا يضر الدين إذا أثبت العلم ما يخالف حديثا من الاحاديث التى جاءت من طريق الآحاد، وبخاصة إذا كان هذا الحديث في أمر من أمور الدنيا التى ترك النبي صلى الله عليه وآله أمرها إلى علم الناس. وهل أوجب علينا الدين أن نأخذ بكل حديث حملته كتب السنة أخذ تسليم وإذعان ! وفرض علينا أن نصدقها، ونعتقد بها اعتقادا جازما ؟ إن الذى يجب التصديق به واعتقاده، إنما هو الخبر (المتواتر) فحسب، وليس عندنا كتاب يجب اعتقاد كل ما جاء فيه اعتقادا جازما يبعث اليقين إلى القلب، غير القرآن الكريم، لانه هو الذى جاء من طريق (التواتر) أما الاخبار التى جاءت من طريق (الآحاد) فإنها لا تعطى اليقين، وإنما تعطى الظن الذى لا يغنى من الحق شيئا - فللمسلم أن يأخذ بها ويصدقها إذا اطمأن قلبه بها، وله أن يدعها إذا حاك في صدره شئ منها، وهذا أمر معروف عند النظار، ولا يعارض فيه إلا زوامل الاسفار من الحشوية الجامدين الذين لا يقام لهم وزن. وإذا نحن أخذنا حديث (الذباب) على إطلاقه ولم نسلط عليه أشعة النقد فإنا نجده من أحاديث (الآحاد) وهى التى تفيد الظن فإذا لم يسعنا ذلك في رده بعد أن أثبت العلم بطلانه، فليسعنا ما وصفه العلماء من قواعد عامة في ذلك، مثل: ليس كل ما صح سنده يكون متنه صحيحا، ولا كل ما لم يصح سنده يكون متنه غير صحيح (١). وإذا قيل إن هذا الحديث قد رواه البخاري - وهو لا يروى إلا ما كان صحيحا - فإنا نرد على ذلك بأنه قد روى في كتابه ما عده هو صحيحا عملا بظاهر الاسناد، لا ما ثبت أنه صحيح في الواقع - ولذلك لا يلزم غيره ما اعتبره - هو لنفسه. قال الزين العراقى في شرح ألفيته: وحيث قال أهل الحديث: هذا حديث

---

(١) ارجع إلى كتابنا أضواء على السنة في طبعته الثالثة تجد هذه القواعد مبسوطة هناك. (*)

---

صحيح فمرادهم - فيما ظهر لنا عملا بظاهر الاسناد، لا أنه مقطوع بصحته في نفس الامر، لجواز الخطأ والنسيان على الثقة، هذا هو الصحيح عند أهل العلم المحققين، ولهذه القاعدة قال ابن أبى ليلى: لا يفقه الرجل في الحديث حتى يأخذ منه ويدع ! وقال الامام أبو حنيفة في سبب رده لبعض الاحاديث: " ردى على كل رجل يحدث عن النبي بخلاف القرآن، ليس ردا على النبي، ولا تكذيبا له، ولكنه رد على من يحدث عنه بالباطل، والتهمة دخلت عليه ليست على نبى الله، وكل شئ تكلم به النبي فعلى الرأس والعين، قد آمنا به وشهدنا أنه كما قال ". على أننا إذا سلمنا - كما قلنا - بأن النبي صلى الله عليه وآله قد نطق بهذا الحديث ثم أثبت العلم (ضرر الذباب) فليس علينا بأس من الرجوع عنه، وعدم الاخذ به، لانه من أمور الدنيا ولنا في ذلك أسوة حسنة بما فعل النبي نفسه صلى الله عليه وآله حينما رأى أهل المدينة يؤبرون النخل فأشار عليهم بترك تأبيره - ولما ثبت بعد ذلك ضرر عدم التأبير وخرج التمر شيصا، قال لهم حديثه المشهور " إنما ظننت ظنا، فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به "، وفى رواية " إذا أمرتكم بشئ من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشئ من رأيى فإنما أنا بشر ". ثم ختم كلامه بهذه القاعدة العامة الجليلة التى يجب أن تكون دستورا للمسلمين على مد العصور، والتى تثبت بحق أن الدين الاسلامي صالح لكل زمان ومكان. وإنه صديق العلم وعدو الجهل، وهذه القاعدة هي " أنتم أعلم بأمر دنياكم ". أما راوي هذا الحديث وهو (أبو هريرة) فقد ردوا له أحاديث كثيرة في حياته وبعد مماته، حتى من التى صرح بأنه سمعها من النبي مثل حديث: خلق الله التربة يوم السبت (١). وإنا نكتفي اليوم بهذه الكلمة القصيرة ونشكر لحضرة النطاسى البارع

---

(١) ممن اعترضوا على حديث الذباب في عصرنا الدكتور محمد توفيق صدقي. (*)

---



الدكتور سالم محمد الذى آثار هذا البحث النافع - وندعوه وسائر زملائه الاطباء، ثم رجال العلم جميعا، من مهندسين، وفلكيين، وجغرافيين، وغيرهم، أن يستمروا في أبحاثهم العلمية النافعة بوسائلهم الصحيحة التى دعا إليها الاسلام، ولا تخشوا أحدا في ذلك " فأنتم أعلم بأمر دنياكم ". المنصورة محمود أبوريه وفى نفس اليوم الذى نشرت فيه مجلة الرسالة هذه الكلمة - وهو يوم ٢٤ / ١٢ / ١٩٥١ تلقيت من سيادة الدكتور سالم محمد، وكان حينئذ مديرا لمستشفى كفر الشيخ، هذه البرقية ننشرها بنصها لتسجل على وجه التاريخ. الاستاذ محمود أبوريه بك المنصورة - بمقالك مغتبطون، ولك شاكرون. دكتور سالم محمد أما هذا الشيخ الحشوى الجامد فقد صفعته هذه الكلمة، وأضمر لنا من يومئذ في قلبه حقدا وضغنا، فلا يدع مناسبة يذكر فيها اسمى إلا نفث لسانه بما يكمن في قلبه.. ومن الغريب أن العرب كانوا يعلمون من ضرر الذباب وقذارته مثل ما نعلم، وكانوا يأنفون من تناول الطعام الذى يقع فيه الذباب، ويرفعون أيديهم منه استقذارا له وأنفة، ومن أجل ذلك قال شاعرهم: إذا وقع الذباب على طعامي * رفعت يدى ونفسي تشتهيه ولما ذكر هذا البيت لابي هريرة عندما روى حديثه هذا وقيل له: كيف يستقذر العربي الجلف منظر الذباب وهو يقع على طعامه ويرفع يده عنه ونفسه تشتهيه ؟ ثم يأتي الرسول الكريم ذو النفس العالية والذوق السليم فيأمر أمته بأن يغمسوا الذباب الذى يقع على طعامهم ويأكلونه بعد ذلك ؟ فأجاب أبو هريرة بأن رواة هذا البيت لم يحفظوا ما قاله الشاعر وأنه كما رويناه عن شيخنا أشعب: إذا وقع الذباب على

طعامي * غمست يدى ونفسي تشتهيه وبذلك لا يكون مناقضا لنص حديث النبي صلى الله عليه وآله..



وبعد ذلك كله نقول إن أبا هريرة قد ناقض نفسه في هذا الحديث، كعادته في التناقض بين أحاديثه، وإنا ندع الكلام في ذلك إلى إمام كبير من أئمة أهل السنة، ومن كبار رجال الحديث، حتى لا نرمى بالتحامل على أبى هريرة ذلكم هو السيد رشيد رضا رحمه الله. قال رحمه الله: " روى البخاري عن النبي صلى الله عليه وآله قال: إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فإن في أحد جناحيه شفاء، وفى الآخر داء، فهذا الحديث مشكل - وإن كان سنده صحيحا - وكم في الصحيحين من أحاديث اتضح لعلماء الحديث غلط الرواة فيها - كحديث خلق الله التربة يوم السبت مثلا وغيره مما ذكره المحققون، وكم فيهما من أحاديث لم يأخذ بها الائمة في مذاهبهم، فليس ورود هذا الحديث في البخاري دليلا قاطعا على أن النبي صلى الله عليه وآله قاله بلفظه، مع منافاته للعلم، وعدم إمكان تأويله، على أن مضمونه يناقض حديث أبى هريرة (نفسه). وهو أن النبي صلى الله عليه وآله سئل عن الفأرة تقع في السمن فقال: إن كان جامدا فاطرحوه وما حولها وإن كان ذائبا فأريقوه، أو لا تقربوه. فالذي يقول ذلك لا يبيح أكل الشئ إذا وقع فيه الذباب ! فإن ضرر كل من الذباب والفيران عظيم (١) " وقد ثبت أن ضرر الذباب أعظم من ضرر الفيران بكثير، وأنه يحمل ميكروبات لامراض كثيرة (٢). وله كلام طويل في حديث الذباب نقتطف منه هذه السطور، قال رحمه الله: ".. وحديث الذباب غريب عن الرأى وعن التشريع جميعا، أما التشريع في مثل هذا، فإن تعلق بالنفع والضرر، فمن قواعد الشرع العامة، أن كل

---

(١) ص ٤٥٦ ج ١٨ من مجلة المنار. وحديث الفأرة رواه مالك في الموطأ وكذلك رواه غيره ونصه: أن النبي صلى الله عليه وآله سئل عن فأرة وقعت في سمن فماتت، قال: خذوها وما حولها من السمن فاطرحوه. (٢) من الامراض التى عرفت بأن الذباب ينقلها: التيفويد والكوليرا والزحار والحمى المعوية والرمد الصديدى.. إلخ. (*)



ضار قطعا فهو محرم قطعا، وكل ضار ظنا فهو مكروه كراهة تحريمية أو تنزيهية على الاقل إن كان الظن ضعيفا - وأما الرأى فلا يمكن أن يصل إلى التفرقة بين جناحى الذبابة في أن أحدهما سام ضار، والآخر ترياق واق من ذلك السم " ! وقال: " وكل من ظهر له علة في رواية حديث فلم يصدق رفعه لاجلها فهو معذور شرعا، ولا يصح أن يقال في حقه إنه مكذب لحديث كذا. " وقال عن قراءة البخاري واعتقاد ما فيه: " وما كلف الله مسلما أن يقرأ صحيح البخاري ويؤمن بكل ما فيه وإن لم يصح عنده أو اعتقد أنه ينافى أصول الاسلام. وليس معصوما هو ورواته من الخطأ، وليس كل مرتاب في شئ في روايته كافرا ! ما أسهل التكفير على مقلدة ظواهر أقوال المتأخرين ! وحسبنا الله ونعم الوكيل " (١). وانظر تحقيق هذا العلامة الذى يفهم الدين بعقل راجح، وتحقيق متين واضح، وقارن بينه وبين الذين يصدقون بهذا الحديث، ويدافعون عنه في المجلات من الذين يزعمون أنهم علماء وقضى سوء الحظ على الجامعات أن يدرسوا فيها، ومن أجل ذلك قلنا: إن أبا هريرة قد أتى بهذا الحديث من " كيسه " ليحقق به حاجة في نفسه. وروى الترمذي في جامعه عن أبى هريرة قال: قال رسول الله: العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم

(٢) وفى رواية بزيادة: والكمأة من المن وماؤها شفاء العين ! ومما رواه الشيخان عنه أن النبي قال: لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة. وقد عمل الصحابة بما يخالفه - فقد روى البخاري عن أسامة بن زيد، أن رسول الله قال: إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها - وروى هذا الحديث كذلك عبد الرحمن بن عوف. ولما سمع عمر هذا الحديث رجع من الشام عندما وجد الوباء بها.

---

(١) ص ٥١ ج ٢٩ مجلة المنار. (٢) ص ٢٨ ج ٢ طبعة الهند. (*)

---



وعندما علم أبو هريرة ذلك - عاد فروى عن النبي: لا يوردن ممرض على مصح - رواه البخاري - ولما قال له الحارث بن أبى ذباب - وهو ابن عم أبى هريرة - قد كنت أسمعك يا أبا هريرة تحدثنا مع حديث (لا يوردن الحديث) حديث (لا عدوى) فأنكر معرفته لذلك وغضب، ورطن بالحبشية (١). ومن غرائبه التى كان لا يفتأ يطالع الناس بها ليستهويهم، كما كان يضحك الصبيان بلعبة الغراب وهو أمير على المدينة من قبل معاوية، تلك الغريبة التى عثرنا عليها أثناء قراءتنا لكتاب الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف للحافظ بن حجر ص ١٢٩: روى إسحاق في مسنده من رواية مجاهد، قيل لابي هريرة: هل في الجنة من سماع ؟ قال: نعم شجرة أصلها من ذهب ! وأغصانها من الفضة وثمرها الياقوت والزبرجد ! يبعث لها ريح فيحرك بعضها بعضا، فما سمع شئ قط أحسن منه ! التخفيف عن داود: أخرج البخاري عن أبى هريرة يرفعه قال: خفف على داود القرآن فكان يأمر بدابته لتسرج فيقرأ القرآن قبل أن يسرج دوابه ! توكيله بحفظ زكاة رمضان: أخرج البخاري بسنده إلى أبى هريرة قال: وكلنى رسول الله بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته وقلت: والله لارفعنك إلى رسول الله. قال: إنى محتاج وعلى عيال ولى حاجة شديدة فخليت عنه ! فأصبحت، فقال النبي صلى الله عليه وآله يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة ؟ فقلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخليت سبيله، قال صلى الله عليه وآله: إما أنه قد كذبك. وسيعود، فرصدته فجاء يحثو الطعام فأخذته فقلت:

---

(١) رواه مسلم وكذلك رواه ابن وهب محدث مصر الكبير في جامعة الذى طبعه المعهد العلمي الفرنسى بالقاهرة سنة ١٩٣٩ ص ١٠٤ وكان هذا المحدث الكبير لا يروى كثيرا عن أبى هريرة. (*)

---



لارفعنك إلى رسول الله، قال: دعني فإنى محتاج، لا أعود ! فرحمته فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لى رسول الله: يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة ؟ قلت: يا رسول الله شكا حاجته فرحمته فخليت سبيله قال صلى الله عليه وآله: أما أنه قد كذبك وسيعود، فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لارفعنك إلى رسول الله، قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها.. إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله، فلما أصبحت، قال لى رسول الله: ما فعل أسيرك البارحة ؟ فحكيت له القصة، فقال: أتعلم من تخاطب

منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟ قلت: لا. قال صلى الله عليه وآله: ذلك شيطان ! الله يمسح ظهر آدم: ومن عجائبه: حديثه أن الله خلق آدم فمسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، أمثال الذر، ثم جعل بين عينى كل إنسان منهم وبيصا (أي بريقا) من نور ثم عرضهم على آدم، فقال آدم: من هؤلاء يا رب ؟ قال: ذريتك، فرأى آدم رجلا منهم أعجبه وبيص ما بين عينيه، فقال: يا رب من هذا، قال: هذا ابنك داود، قال آدم: كم جعلت له من العمر ؟ قال: ستين سنة ! قال: يا رب زده من عمرى أربعين سنة حتى يكون عمره مئة سنة، قال الله عزوجل: اذن يكتب ويختم فلا يبدل، فلما انقضى عمر آدم، جاء ملك الموت لقبض روحه، قال آدم: أولم يبق من عمرى أربعون سنة ؟ قال له ملك الموت: أولم تجعلها لابنك داود ؟ قال: فجحد، فجحدت ذريته (١). مانع الزكاة يوم القيامة: مانع الزكاة يوم القيامة يطوق بشجاع أقرع له زبيبتان يوم القيامة - متفق عليه.

---

(١) أخرجه الحاكم وصححه في المستدرك وأورده الذهبي وصححه في تلخيص المستدرك. (*)

---



كيف يحشر الناس يوم القيامة ؟ يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أثلاث ! ثلث على الدواب، وثلث على وجوههم، وثلث على أقدامهم ينسلون - رواه البيهقى. أحاديث متناقضة ! في سنن أبى داود عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: ما من رجل يسلم على إلا رد الله على روحي، حتى أرد عليه السلام ! هذا مع ما في النسائي وغيره عنه أن النبي قال: إن الله وكل بقبري ملائكته يبلغوني عن أمتى السلام ! وفى سنن أبى داود وغيره عنه أنه قال: أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة، وليلة الجمعة، فإن صلاتكم معروضة على، فقالوا: يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ فقال: " إن الله حرم على الارض أن تأكل لحوم الانبياء " (١). إذا نودى للصلاة أدبر الشيطان ؟ أخرج الشيخان عن أبى هريرة أن رسول الله قال: إذا نودى للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين. فإذا قضى النداء أقبل حتى إذا ثوب بالصلاة أدبر، حتى إذا قضى التثويب أقبل يخطر بين المرء ونفسه يقول: اذكر كذا لما لم يكن يذكر ! حتى يظل الرجل لا يدرى كم صلى ! عفريت مع النبي ! روى البخاري عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله: أن عفريتا من الجن تفلت البارحة ليقطع على صلاتي فأمكنني الله منه، فأخذته فأردت أن أربطه على سارية من سوارى المسجد، حتى تنظروا إليه كلكم، فذكرت دعوة

---

(١) ص ١٩٠ و ١٩١ من كتاب اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية. (*)

---



أخى سليمان: " رب هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى " فرددته خاسئا ! عفريت متمرد من إنس أو جان، الحديث.. التثاؤب من الشيطان: روى البخاري عن أبى هريرة عن النبي قال: التثاؤب من الشيطان، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم إذا قال: ها، ضحك الشيطان. الله يحب العطاس ويكره التثاؤب: روى البخاري عن أبى هريرة أن النبي قال: إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب. صياح الديكة ونهيق الحمار: أخرج الشيخان عن أبى هريرة واللفظ

للبخاري أن النبي قال: إذا سمعتم صياح الديكة، فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكا، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فإنه رأى شيطانا. الله يقرأ: طه ويس: وأسند الدارمي عن أبى هريرة أن رسول الله قال: " إن الله تبارك وتعالى قرأ طه ويس قبل أن يخلق السموات والارض بألفى عام " ! الفرات يحسر عن كنز من ذهب: روى الشيخان عن أبى هريرة، قال رسول الله: يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا. ورواية الاعرج عن أبى هريرة مثله إلا أنه قال: يحسر عن جبل من ذهب، ورواية مسلم عن أبى هريرة بلفظ (يحسر الفرات عن جبل من ذهب فيقتتل عليه الناس فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ! يقول كل رجل منهم: لعلى أكون أنا الذى أنجو.

---



ووقع عند أحمد وابن ماجه عن أبى هريرة مثل هذا الحديث إلى قوله: فيقتتل عليه الناس فيقتل من كل عشره تسعة ! وروى عن رسول الله: ما من رجل يزور قبر حميمه فيسلم عليه، ويقعد عنده، إلا رد عليه السلام، وأنس به، حتى يقوم من عنده. رواه أبو الشيخ والديلمي وروى كذلك: ما من رجل يمر بقبر كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام. وفى كنز العمال (وسنده جيد) رواه الخطيب وابن عساكر وابن النجار ومن أحاديثه الغريبة: روى البخاري عن الزهري قال: قال سعيد بن المسيب، أخبرني أبو هريرة أن رسول الله قال: لا تقوم الساعة حتى تضطرب (١) أليات نساء دوس على ذى الخلصة، وذو الخلصة طاغية دوس التى كانوا يعبدون في الجاهلية. لم سمى الخضر ؟ روى البخاري عن أبى هريرة عن النبي أنه قال: " إنما سمى الخضر، لانه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء ! " ولدينا من مثل هذه الاحاديث ما يملا كتابا برأسه. وتراجع أحاديثه التى تلقاها عن أستاذه كعب الاحبار في مكانها من هذا الكتاب. وإنا إنصافا لابي هريرة نقول: إنه جاء ببعض أحاديث يبدو منها شعاع النبوة، وإن كانت قليلة جدا، ولعل هذه الاحاديث كانت مما سمعه وضبطه، مثل ما رواه أحمد في مسنده أن رسول الله قال: لا يجتمع غبار في سبيل الله

---

(١) حتى تضطرب: أي يضرب بعضها بعضا، والاليات جمع ألية على وزن جفنة وجفنات والالية العجيزة وجمعها أعجاز. (*)

---



ودخان جهنم في منخرى رجل مسلم - ولا يجتمع شح وإيمان في قلب رجل مسلم. وحديث: ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس، رواه البخاري في الادب المفرد. وحديث: إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل. وحديث: المؤمن مرآة أخيه، إذا رأى فيه عيبا أصلحه. وحديث: سئل الرسول، أإن لنا في الهائم أجرا ؟ قال: في كل كبد رطبة أجر، رواه أحمد والبخاري في الادب المفرد. وإذ وصلنا من تاريخ أبى هريرة إلى هنا، فإنا نردف ما سقناه من قبل بكلمات للفقيه المحدث السيد محمد رشيد رضا رحمه الله - قالها في أبى هريرة (١): كان إسلامه في سنة ٧ هـ، فأكثر أحاديثه لم يسمعها من النبي وإنما سمعها من الصحابة والتابعين، فإذا كان جميع الصحابة عدولا في الرواية، كما يقول جمهور المحدثين (٢)، فالتابعون ليسوا كذلك - وقد ثبت أنه كان يسمع من كعب الاحبار،

وأكثر أحاديثه (عنعنة (٣)، على أنه صرح بالسماع (٤) في حديث خلق الله التربة يوم السبت - وقد جزموا بأن هذا الحديث أخذه من كعب الاحبار (٥).

---

(١) ص ٤٣ ج ٢٩ المنار. (٢) لقد أخطأ جمهور المحدثين في اعتبار جميع الصحابة عدولا، وقد بينا ذلك بالادلة القاطعة في كتابنا " أضواء على السنة المحمدية " من الطبعة الثالثة وأثبتنا أن عدالة الصحابة أغلبية لا كلية. (٣) أي أن أكثر أحاديثه لم يكن يتلقاها عن النبي صلى الله عليه وآله سماعا وإنما يرويها عن غيره وقد قال أبو بكر بن العربي: إذا كان الحديث معنعنا كان محتملا، ولم يلزم فيه ما يلزم في حدثنى، لان للراوى أن يقول: عن فلان وإن لم يدركه، حكاه الشافعي. ص ٥٢ من كتاب الاجابة للزركشي. (٤) أي أنه سمعه من النبي. وزاد فقال: أخذ رسول الله بيدى. (٥) هكذا يثبت العالم الكبير - كما أثبت غيره - أنه كان كاذبا حتى في الاحاديث التى صرح بأنه قد سمعها من النبي وقد مر بك نص الحديث. (*)

---



وقال (١): إنه يكثر في أحاديثه، الرواية بالمعنى والارسال (٢) لان الكثير منها قد سمعه من الصحابة وكذا من بعض التابعين (٣) لا من النبي، ولهذا تكثر فيه العنعنة. وقال (٤): " إنه انفرد بأحاديث كثيرة كان بعضها موضع الانكار، أو مظنته لغرابة موضوعها كأحاديث الفتن، وإخبار النبي صلى الله عليه وآله ببعض المغيبات التى تقع بعده، ويزاد على ذلك، أن بعض تلك المتون غريب في نفسه، ولو انفرد بمثله غير صحابي لعد من العلل التى يتثبت بها في روايته - كما هو المعهود عند نقاد الحديث، أهل الجرح والتعديل (٥). ولذلك نرى الناس ما زالوا يتكلمون في بعض روايات أبى هريرة (٦) ". وقال فيه وفى عبد الله بن العباس (٧) الذى أكثر الرواية عن رسول الله من غير أن يسمعه لانه كان صغيرا يوم وفاة النبي حتى قالوا إنه لم يسمع منه إلا أربعة أحاديث وبعضهم أبلغها إلى عشرين حديثا: على حين أنه روى عنه ١٦٦٠ حديثا عند ابن الجوزى، وفى مسند أحمد ١٦٩٦ حديثا ! " إن أبا هريرة وابن عباس ما وضعا أساس الشريعة، ولا أركانها ولا أصولها، ولا فروعها وإنما رويا لنا كغيرهما من الصحابة الكرام. ولو أحصينا ما انفرد بروايته أبو هريرة وحده من أحاديث الاحكام الشرعية لرأيناه قليلا جدا، وعلمنا أنه

---

(١) ص ١٦٣ ج ٨ تفسير المنار. (٢) أي أن أحاديثه كانت بالمعنى وأكثرها مرسلة. (٣) أي أنه لم يصرح باسم من كان يروى عنه من الصحابة أو التابعين حتى يعرف إن كان عدلا أو غير عدل. (٤) ص ٩٧ ج ١٩ المنار مجلة. (٥) ولكن من يجرؤ على تجريح أبى هريرة وهو محصن بقلاع الصحبة، وقد أوصدوا باب الجرح والتعديل دون الصحابة جميعا، وفتحوه على مصراعيه ليدخل فيه الناس كافة. (٦) ولكن لا يزال بيننا من يقذفون الذين يتكلمون في روايات أبى هريرة ويرمونهم بالزندقة. (٧) ص ١٠٣ ج ١٩ من مجلة المنار ويلاحظ أن السيد رشيد رحمه الله قد قال هذا الكلام في رده على بعض دعاة النصرانية بمجلة الشرق والغرب المسيحية الذين انتقدوا أبا هريرة وابن عباس في أحاديثهما المشكلة، وكان بذلك يدافع عنهما ! (*)

---



لو لم يروه، لما نقصت كتب الاحكام شيئا كثيرا "، " وأن الطعن في أبى هريرة لو كان صادقا ما حط من قدر هذه الشريعة شيئا ولو لم يخلق أبو هريرة لما نقصت الشريعة شيئا " (١). ولان أبا هريرة وغيره كانوا يروون بالمعنى كما بينا ذلك في موضعه من كتاب " أضواء على السنة المحمدية " فقد قال هذا الامام الكبير، وهو يتكلم عن تجامى أكثر الصحابة التحديث عن النبي خشية أن لا يؤدوا ما سمعوه على حقيقة لفظه كما نطق النبي به، فيخالفوا بذلك قوله صلى الله عليه

وآله " نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وأداها كما سمعها "، وإن الجمهور قد جوزوا بعدهم رواية الحديث بالمعنى - قال رحمه الله: " إنه وجد من الصحابة من كان لا يتحامى التحديث كهؤلاء (أي الذين تحاموا عن التحديث) كأبى هريرة الذى كان أقل ما يروى من سماعه وأكثره من غيره من الصحابة وعن التابعين أيضا حتى عن كعب الاحبار - وكان مع ذلك قلما يذكر سماعا فأكثر ما روى عنه عنعنة كانت مصدر مشكلات كثيرة " (٢). وقال رحمه الله (٣) وهو يبين أن بطلى الاسرائيليات، وينبوعي الخرافات، هما كعب الاحبار ووهب بن منبه: " وما يدرينا أن كل تلك الروايات - أو الموقوفة منها - ترجع إليهما (٤)، فإن الصحابة رضى الله عنهم لم يكونوا يذكرون ما يسمع بعضهم من بعض، ومن التابعين على سبيل الرواية والنقل، بل يذكرونه من غير عزو غالبا، وكثيرون من التابعين كذلك (٥)، بل أكثر ما روى عن أبى هريرة من الاحاديث

---

(١) ص ١٠٨ من نفس المصدر. (٢) ص ٥١٤ ج ٢٩ من مجلة المنار. ويراجع فصل رواية الحديث بالمعنى في كتابنا الاضواء الطبعة الثالثة. (٣) ص ٤٧٦ ج ٩ تفسير المنار. (٤) أي إلى كعب الاحبار ووهب بن منبه. (٥) أوضحنا ذلك كله في محله من كتابنا. (*)

---



المرفوعة لم يسمعه منه صلى الله عليه وآله ولذلك روى أكثره عنه عنعنة (١)، أو بقوله: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وأقله بلفظ، سمعت رسول الله يقول كذا. وقد روى عن بعض الصحابة وعن بعض التابعين وثبت أنه روى عن كعب الاحبار - ومن هنا نجزم بأن موقوفات الصحابة التى لا مجال فيها للاجتهاد والرأى لا يكون لها قوة المرفوع كما قال المحدثون إلا إذا كانت ليست من قبيل الاسرائيليات " (٢). وقال رحمه الله (٣): " وأنا لا آمن أن يكون بعض أحاديث أبى هريرة المرفوعة الغريبة المتون التى لم يصرح فيه بالسماع (٤) - مما رواه عن كعب الاحبار فقد صرحوا بأنه روى عنه ". هذه ترجمة مختصرة لابي هريرة التزمنا فيه الناحية التقريرية - ولم نسلك فيها المنهج التحليلي العلمي العصرى الذى لا تكمل التراجم الصحيحة إلا به. ولا تتم دراسة الرجال والاحداث إلا باتباعه - ذلك بأننا لم نصل بعد إلى احتمال سطوتها - وبخاصة إذا كان الامر يتصل بأحد الصحابة الذين قالوا فيهم: إنهم كلهم عدول ! فلا يجوز لاحد أن ينتقد بالعلم أو العقل، أو بالبرهان والحجة، أحدا منهم، لا في روايته ولا في سيرته - ومما قالوه فيهم: إن بساطهم قد طوى ! ! كأن العدالة موقوفة عليهم، والعصمة مختصة بهم ! وكأنهم في ذلك قد ارتفعوا عن درجة الانسانية - فلا يعتريهم ما يعترى كل إنسان من سهو أو خطأ، أو وهم أو نسيان، ولا نقول الكذب والبهتان ! فحاشاهم ذلك !

---

(١) راجع صفحة ٢٦٠ ففيها كلام لابي بكر بن العربي عن الحديث المعنعن. (٢) ص ٤٧٦ ج ٩ من تفسير المنار. (٣) ص ٣٤٢ ج ٢٧ المنار. (٤) قد ثبت أن الاحاديث التى صرح بسماعها من النبي صلى الله عليه وآله قد رواها عن كعب الاحبار كما رأيت في حديث خلق الله التربة يوم السبت كما ذكر ذلك السيد رشيد في كلمته، فما بالك بالاحاديث التى رواها عنعنة عن غيره. (*)

---



وماذا يقولون فيما جاء في القرآن الكريم عنهم ووصفه لاعمالهم وأنه قد نزلت سورة خاصة بالمنافقين منهم - وأن سورة براءة قد سميت (بالفاضحة) (١) لانها فضحت جماعة منهم - وأن أكثرهم قد ارتد بعد

موت الرسول، وكذلك ما ورد فيهم من أحاديث صحيحة وأخبار متواترة (٢) ! إذا جابهتهم بذلك نبحوك ولعنوك - وقالوا: مرتد وزنديق وفاسق، ثم قذفوك بسبابهم وشتائمهم، على أنا إذا سلمنا لهم جدلا بأن كل صحابي معصوم مما يقع فيه غيره من بنى الانسان، فإن أمر أبى هريرة بخاصة ليباين أمر الصحابة أجمعين، فقد جرحه كبار الصحابة بما عرفوه عنه، لانه كان يعاشرهم وشكوا في روايته بل كذبوه فيها كما بيناه من قبل حتي كان كما قلنا: أول راوية اتهم في الاسلام. وفاة أبى هريرة توفى أبو هريرة على الصحيح، كما روى النووي في شرحه على مسلم، سنة ٥٩ هـ عن ثمانين سنة، بقصره بالعقيق، وحمل إلى المدينة وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبى سفيان، وكان يومئذ أميرا على المدينة من قبل معاوية. ولما كتب الوليد إلى عمه معاوية ينعى له أبا هريرة، أرسل إليه معاوية: انظر من ترك وادفع إلى ورثته عشرة آلاف درهم، وأحسن جوارهم، وافعل إليهم معروفا ! ! وهكذا يترادف رفدهم له حتى بعد وفاته (٣).

---

(١) أخرج البخاري عن سعيد بن جبير أنه قال: قلت لابن عباس: سورة التوبة قال: هي الفاضحة ما زالت تنزل فيهم حتى ظننا أنها لم تبق أحدا - وهى تسمى كذلك، المنقرة لتنقيرها عن أسرار المنافقين، والمخزية والمثيرة، والحافرة والمنكلة، والمدمدمة والمقشقشة والمبعثرة والمشردة وتسمى سورة العذاب - ص ١٣٦ ج ٢ تفسير الكشاف لجار الله الزمخشري. (٢) ارجع إلى فصل عدالة الصحابة في كتاب (الاضواء) الطبعة الثالثة لترى قول الحق فيهم ولتقف على ما رآه رسول الله منهم ورأيه فيهم. (٣) وعلى أن أبا هريرة قد دفن بالعقيق بالمدينة فإنك تجد له ضريحا عاليا فيه قبة مكسوة بالجوخ تعلوها عمامة كبيرة خضراء وهذه القبة داخل مسجد يسمى باسمه ويقع هذا المسجد في شارع يشق مدينة الجيزة (بالديار المصرية) من شرقها إلى غربها يسمى (شارع سيدى أبى هريرة) = (*)

---



تنبيه وتحذير ! هذا هو كتاب (شيخ المضيرة) الذى استخرت الله في تصنيفه، وأنفقت ما أنفقت من الجهد في سبيله، وليس لى علم الله - أي غرض من وراء نشره إلا أن يعرف الناس تاريخ هذا الصحابي الذى ملا الارض - دون غيره - حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وآله على حين أنه لم يصاحبه إلا زمنا يسيرا. وقد سقنا هذا التاريخ مكشوفا بعد أن نزعنا عنه ثوب (الرواية) الملفق الذى يظهره في غير صورته، وأظهرنا شخصيته عارية على حقيقتها، وعرضنا سيرته كما وقعت على وجهها، من يوم أن كان يرعى الغنم في بلاده، ويخدم ابن عفان وبسرة ابنة غزوان بطعامه، وقدومه على النبي صلى الله عليه وآله ليخدمه على ملء بطنه، واتخاذه الصفة مثابة له بعد إسلامه، وكان يومئذ حافى القدمين لا يستر جسمه إلا إزار بال لا يبلغ نصف الساقين ! حتى كان يجمعه كراهية أن ترى عورته (١) إلى أن أصبح من ذوى الثراء العريض، يتأثل الاراضي الواسعة بالعقيق، وبذي الحليفة، ويبتنى قصرا منيفا بالعقيق، ويلبس الخز والكتان الممشق، والساج المزرور بالديباج، وغير ذلك مما لم يكن يحلم به، أو يخطر بباله. ولم يبلغ ذلك كله إلا بعد أن وصل حبله بحبل معاوية، وصار من أنصاره ودعاته، ولم نأل جهدا في دراسة هذا التاريخ وتمحيص حقائقه، واستقصاء

---

= وقد زرنا هذا الضريح في يوم السبت الموافق ٢٣ يونية سنة ١٩٦٢ وليس بعجيب أن يكون لابي هريرة قبر في الجيزة غير قبره الذى بالمدينة فإن له من شيخه الكبير كعب الاحبار أسوة ! فهذا اليهودي - كما هو معلوم - مدفون بمدينة حمص بالشام، ولكن له قبرا آخر فوقه قبة كبيرة تقع بأحد المساجد الكبيرة بحى الناصرية المشهور بالقاهرة. ويعمل لابي هريرة مولد كل عام تتمثل فيه كل المفاسد التى تقع في كل الموالد. ومن العجيب أن وزارة الاوقاف بالجمهورية العربية المتحدة تنفق على قبري أبى هريرة وشيخه من مال المسلمين، على عين جميع رجال الدين ! (١) كل ذلك قد اعترف به وقد مضى الكلام فيه من قبل في ثنايا هذا الكتاب. (*)

وقائعه حتى خرج في أصدق صورة وأوضح بيان، بحيث يرى في مرآته الصافية حقيقة مروياته الكثيرة المنبثة في كتب السنة كلها، وبذلك يمكن الوقوف منها الموقف الذى تستحقه من التحفظ منها، أو التوقف عنها، تلك المرويات التى تحمل فيما تحمل غرائب وأساطير وخرافات وأوهاما، وتعزى كلها - وأسفا - إلى النبي صلى الله عليه وآله وتنشر بين المسلمين على أنها من حقائق الدين الاسلامي ! ذلك بأننا لو سكتنا عنها، وجارينا الحشوية والجامدين في قبولها على علاتها، ومنحناها محض ثقتنا، وجعلناها في مصادر ديننا، في عقائدنا وعبادتنا، وتشريعنا، فإنما نكون بذلك قد ألغينا عقولنا، وأسأنا إلى ديننا، واتبعنا سنن من قبلنا، من تقليد آبائهم تقليدا أعمى، وحق علينا حكم الله فيهم، ومن وراء ذلك خطر عظيم آخر يعود علينا وعلى الدين معا. ذلك بأن الاستمساك بهذه المرويات على ما فيها، يفتح أبواب الطعن على ديننا من أعدائه بأنه دين خرافات وأوهام ! يعادى العقل، ويصادم المنطق، ولا يصلح للحياة ويرمى المسلمين بأنهم يأخذون بالتقليد في الدليل وأنهم بذلك قوم لا يعقلون ! فالاحرى بنا، والواجب علينا، أن ندرأ عن أنفسنا وديننا هذه التهم ونشمر عن ساعدنا لتمحيص هذه المرويات، ولا يأخذنا في ذلك أي اعتبار، ولو أدى بنا الامر إلى رفضها أو تكذيبها، كما فعل الذين سبقونا، ولنعلم أننا اليوم قد أصبحنا في عصر لا يسود فيه غير سلطان العقل والعلم، ولا يروج في سوقه إلا ما قام على البرهان العقلي، أو الدليل العلمي وهما والحمد لله قاعدتا الدين الاسلامي في صميمه، أما الخرافات والاوهام وما إلى ذلك مما شاب كل الاديان فقد كسدت سوقها، وبارت تجارتها، وأصبحت مما يجلب الخزى والفضيحة على معتنقيها. وإنا بما ندعو اليوم إليه، لم نكن بدعا فيه، ولا بأول من يحض عليه، فقد سبقنا إلى ذلك كبار العلماء فدعوا إلى ذلك، وهاك بعض ما قالوه:



فيما يجب اتخاذه نحو رواياته والتحفظ من الاحاديث التى تروى عنه روى مسلم بن الحجاج عن بسر بن سعيد قال: اتقوا الله وتحفظوا من الحديث، فوالله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة، فيحدث عن رسول الله ويحدثنا عن كعب الاحبار ثم يقوم، فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله عن كعب، وحديث كعب عن رسول الله - وفى رواية: يجعل ما قاله كعب عن رسول الله، وما قاله رسول الله عن كعب فاتقوا الله وتحفظوا في الحديث (١). وروى أحمد في مسنده (٢) عن القاسم بن محمد قال: اجتمع أبو هريرة وكعب فجعل أبو هريرة يحدث كعبا عن النبي وكعب يحدث أبا هريرة عن الكتب أي مما يفتريه كعب من الاسرائيليات أو يزعم أنه من كتبهم. ولكى نزيد هذا الكلام بيانا وتوكيدا نقول: إنك لو رجعت إلى كتب الحديث فإنك تجد فيها أحاديث كثيرة لابي هريرة ويرفعها إلى النبي صلى الله عليه وآله يزعم في بعضها أنه سمعها بأذنه من النبي صلى الله عليه وآله ويؤكد في بعض آخر هذا السماع، ويزيد عليه فيقول: أخذ رسول الله بيدى وهو يحدثنى ! وإذا أنت تدبرت هذه الاحاديث وبحثت عن حقيقتها، وجدت أنها ليست من قول النبي صلى الله عليه وآله وإنما هي مكذوبة عليه. وإنما نكتفي هنا بإيراد مثل واحد على ذلك حتى لا يطول بنا نفس (الحديث) وهذا المثل - كاف ولا ريب - عند التحقيق لان يقاس عليه كل ما جاء عن أبى هريرة مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وآله، ويكشف عن حقيقة مروياته، ويبين مقدار نصيبها من الصحة - ذلك بأنه إذا كان يكذب فيما

(١) ص ١٠٩ ج ٨ البداية والنهاية لابن كثير. وص ٤٣٦ ج ٢ سير أعلام النبلاء للذهبي.
(٢) ص ٢٧٥ ج ٢. (*)



يزعم أنه قد سمعه بأذنه من النبي صلى الله عليه وآله وتلقاه عنه ويده الشريفة في يده $ ال... فكيف يكون الشأن في الاحاديث التى يرويها عنعنة عن غيره من الصحابة أو من غيرهم من التابعين ! الذين لم يبين لنا أسماءهم حتى نعرف حقيقتهم وهم غالب أحاديثه ؟ ؟ انصفوا العلم يا أولى الالباب، ولا تأخذكم في الحق لومة لائم ! وإذا كنا قد أوردنا هذا الحديث من قبل فإنا نعيد نشره هنا لان سياق الحديث يقتضيه، وتمام القول يوجبه ويستدعيه. روى مسلم في كتابه الذى يطلقون عليه اسم الصحيح عن أبى هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله أخذ بيده وقال: خلق الله التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الاحد إلخ (١). وقد طعن في هذا الحديث الائمة وقالوا: إنه ليس من قول النبي صلى الله عليه وآله، وجزموا بأنه من قول كعب الاحبار، وإليك ما قاله ابن تيمية الذى يلقبه أهل السنة بشيخ الاسلام قال رحمه الله: وأما الحديث الذى رواه مسلم في قوله: خلق التربة يوم السبت فهو حديث معلول، قدح فيه أئمة الحديث كالبخاري وغيره، قال البخاري: الصحيح أنه موقوف على كعب الاحبار، وقد ذكر تعليله البيهقى أيضا وبينوا أنه غلط ليس مما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وهو ما أنكر الحذاق على مسلم إخراجه إياه (٢). وقال رحمه الله: وقد نوزع مسلم بن الحجاج في عدة أحاديث مما خرجها وكان الصواب مع من نازعه، كما روى في حديث الكسوف أن النبي صلى الله عليه وآله صلى بثلاث ركوعات، والصواب أنه لم يصل إلا بركوعين ! وكذلك روى مسلم. خلق الله التربة يوم السبت، ونازعه فيه من هو أعلم منه كيحيى بن معين والبخاري فبينوا أنه غلط وليس من كلام النبي صلى الله عليه وآله والحجة مع هؤلاء، فإنه قد ثبت بالكتاب والسنة والاجماع، أن الله خلق السموات والارض في ستة أيام - وكذلك روى أن أبا سفيان لما أسلم طلب من النبي صلى الله عليه وآله

(١) ارجع إلى نص هذا الحديث في كتابنا هذا فقد أوردناه من قبل. (٢) ص ١٦ من تفسير سورة الاخلاص. (*)



أن يتزوج بأم حبيبة وأن يتخذ معاوية كاتبا له. وغلطه في ذلك طائفة من الحافظ (١). وذلك بأن النبي صلى الله عليه وآله قد تزوج بأم حبيبة وأبو سفيان كافر ! وبعد ذلك نعود لنتم القول فيما طلبه العلماء من التحفظ في الاحاديث التى تروى عن أبى هريرة فنقول. إذا كان علماؤنا رحمهم الله، قد كشفوا عن إحدى النواحى التى تتسرب منها أحاديث أبى هريرة التى لا أصل لها، وهى ناحية كعب الاحبار اليهودي ! فإن هناك نواحى أخرى قد سال سيلها، تلك هي البواعث النفسية التى كانت تسوق أبا هريرة بعصاها فيروى ما يروى ثم يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله. وإن من يستقرى روايات أبى هريرة ويتدبرها، ويردها إلى أسبابها ومناسباتها فإنه يرى من خلالها حقيقة هذه البواعث التى كان يرسل من أجلها رواياته. ومن يحقق النظر في هذه المرويات ويتعمقها يجد أنها كانت تصدر عنه: إما ارتجالا: يختلقها لساعته كحديث الورق المعلق، وحديث، أن يتبع

الناس عثمان وأصحابه، عند الفتنة لانه هو الامين. أو ابتداعا: لكى يصل إلى مبتغاه، من تحقيق مآربه الذاتية، ورغائبه النفسية، كما رأيت ذلك في أحاديث، بسط الثوب ! والوعائين ! والمزود ! التى مر بك نبؤها في قصته العجيبة. أو يخرجها في صورة غرائب يستهوى بها الناس كحديث امتلاء جهنم ! وحديث طواف سليمان بمئة امرأة وغيرهما. ولا ريب في أنه قد تأثر في رواية غرائبه بأستاذه الاكبر داهية اليهود كعب الاحبار. الذى كان يبث الغرائب الاسرائيلية بين المسلمين، لانه يعرف كلف الناس بها وولوعهم بسماعها. ووجد أن شيخه لم يرتفع قدره بين الناس إلا بغرائبه فأراد أن يسلك سبيله ويتبع طريقته. وتأثر كذلك بوهب بن منبه الحبر اليهودي وروى عنه.

---

ص ٨١ من كتاب قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، وارجع إلى كلامنا عن كتاب مسلم هذا في فصل كتب الحديث المشهورة في كتابنا أضواء على السنة الطبعة الثالثة. (*)

---



وكان كثيرا ما يتعاون هو وشيخه على صوغ هذه الغرائب ليستحوذ بها على قلوب الناس وعقولهم، فيكون له بذلك شأن ومكانة بينهم. وقد حدثناك من قبل عن ناحية من شخصيته وبينا لك أنه كان مصابا بمرض (مركب النقص) فارجع إلى ذلك لكى تستوفى دراسة شخصيته كلها، وتتجلى لك نفسيته على حقيقتها. وإذا كانوا قد اتهموه كما بينا لك من قبل في بعض رواياته بل كذبوه ! فإننا نقول لاهل عصرنا ولمن يأتي بعدهم: إنه إذا وجد واحد منهم شيئا في هذه المرويات مما يباين العقل الصريح. أو العلم الصحيح، أو الحس، أو العيان، أو ما أثبتته البراهين العقلية أو التجارب العلمية، أو مخالفا لنص القرآن الكريم، أو الذوق السليم أو يصادم النواميس الكونية، والاغراض العليا التى يرمى الاسلام إليها، أو نحو ذلك مما يحرج الصدر، أو لا يطمئن به القلب، وتسكن إليه النفس فليطرحه جانبا. وليس عليه في ذلك بأس ولا تثريب. ذلك بأنه صلوات الله عليه لا يصدر منه إلا القول السديد، والامر الرشيد، والعمل الحميد: وإذا قال قائل: وماذا نصنع فيما جاء من مثل ذلك عن غير أبى هريرة مثل أنس وجابر وعكرمة وغيرهم. فنقول له: إن الشأن فيه يكون كالشأن في مرويات أبى هريرة سواء بسواء، ونحن لم نخص أبا هريرة بالعناية إلا لانه كان أكثر الصحابة تحديثا عن النبي صلوات الله عليه، وجاء في رواياته من الاشكالات والخرافات ما لم يأت مثله من غيره، مما كان مدعاة لان يتخذ منها أعداء الدين مآخذ على الاسلام لا تزال قائمة إلى اليوم وبعد اليوم. ولقد صرح الائمة " بأنه ليس من أصول الايمان، ولا من أركان الاسلام أن يؤمن المسلم بكل حديث جاء في كتب السنة المشهورة لدى الجمهور ". ذلك بأن أحاديث هذه الكتب قد جاءت من طريق (الآحاد) الذى يفيد (الظن) - والظن لا يغنى من الحق شيئا - ولذلك لا يؤخذ بها في العقائد التى لا تكون أدلتها إلا من الخبر (المتواتر) وليس هناك أخبار متواترة إلا ما جاء في (القرآن الكريم).

---



وما دام الامر كذلك فأنت بالخيار تلقاء ما جاء في هذه الكتب تأخذ منها ما تأخذ. وتدع ما تدع، وليس عليك في الحالتين حرج أو جناح. وإن لك لاسوة حسنة في أئمة المذاهب الدينية كأبى حنيفة والليث بن سعد ومالك والشافعي وغيرهم فلقد كان الواحد منهم يأخذ

الحديث ويعمل به، ثم يأتي صاحبه فيترك هذا الحديث ويعمل بغيره - والكل على صواب فيما يأخذ وما يدع. ولما ظهرت كتب السنة المشهورة لدى الجمهور لم يأخذ أئمة الفقه في جميع المذاهب بما جاء فيها، وظلوا متمسكين بأدلة مذاهبهم، حتى ولو كان فيها ما يخالف ما في هذه الكتب، وهم بعملهم لم يخرجوا من دينهم، وكذلك لم يتخذ كبار النحويين كسيبويه والخليل وغيرهما أحاديث النبي من الادلة على اللغة في علمهم. وكل ذلك معروف مشهور. وقد فصلناه في كتابنا (أضواء على السنة المحمدية) (١). وهناك طوائف كثيرة من المسلمين لا يعترفون بكتب السنة المشهورة، ولهم كتب في السنة والفقه خاصة بهم يتبعونها ويأخذون بها مثل الشيعة والزيدية وغيرهم والشيعة الامامية بخاصة " لا يعتبرون من الاحاديث إلا ما صح لهم من طرق أهل البيت عن جدهم. يعنى ما رواه الصادق عن أبيه الباقر عن أبيه زين العابدين عن الحسين السبط عن أبيه أمير المؤمنين عن رسول الله سلام الله عليهم جميعا. أما ما يرويه مثل أبى هريرة وسمرة بن جندب ومروان بن الحكم وعمران بن حطان وعمرو بن العاص ونظائرهم فليس له عند الامامية أي اعتبار (٢) "، وهؤلاء الطوائف جميعا لا يمكن لاحد أن يطعن في دينهم. أو يسترب في إيمانهم. لانهم مستمسكون بأصول الاسلام ويؤمنون بمحمد (ص) والكتاب الذى جاء به - " ولكل قوم سنة وإمامها ".

---

(١) ارجع إلى الطبعة الثالثة من هذا الكتاب. (٢) ص ١٤٩ من كتاب أصل الشيعة وأصولها الطبعة العاشرة طبعة القاهرة، والشيعة الامامية هم جمهور أهل العراق وإيران وملايين المسلمين في الهند ومئات الالوف في سوريا والافغان. ص ١٠٣ من نفس المصدر. (*)

---



ولكى يطمئن قلب القارئ بما قلناه. وتسكن نفسه إلى ما بيناه، نسوق هذه الادلة القاطعة، والبراهين الساطعة التى تؤيد ما أوردناه تأييدا كاملا: روى أحمد في مسنده عن أبى حميد وأبى أسيد أن رسول الله قال: إذا سمعتم الحديث عنى تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم، وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به، وإذا سمعتم الحديث عنى تنكره قلوبكم، وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم بعيد فأنا أبعدكم منه (إسناده جيد). وذكر الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ في ترجمة أمير المؤمنين على رضى الله عنه (١). حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله. وهذا الاثر أخرجه البخاري. وقال ابن مسعود: إذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديقه من كتاب الله (٢). وقال الربيع بن خيثم: أن للحديث ضوءا كضوء النهار تعرفه، وظلمة كظلمة الليل تنكره. وقال الامام أبو حنيفة في سبب رده لبعض الاحاديث: " ردى على كل رجل يحدث عن النبي بخلاف القرآن ليس ردا على النبي. ولا تكذيبا له ولكنه رد على من يحدث عنه بالباطل. والتهمة دخلت عليه ليس على نبى الله، وكل شئ تكلم به النبي فعلى الرأس والعين قد آمنا به وشهدنا أنه كما قال: ونشهد أنه لم يأمر بشئ يخالف أمر الله، ولم يبتدع، ولم يتقول. غير ما قال الله، ولا كان من المتكلفين " (٣). وثم قواعد وأصول كثيرة غير ذلك تجدها مبينة في كتابنا أضواء على السنة (الطبعة الثالثة).

---

(١) ص ١٢. (٢) ص ٥٤٩ ج ٣ تفسير ابن كثير. (٣) ص ٩٩ من مناقب أبى حنيفة للمكي. (*).

هذا هو موقف الناس من الحديث يأخذون منه كل ما تطمئن به قلوبهم، ويدعون ما تضيق به صدورهم وليس في ذلك أي حرج. أما الذى يجب على المسلمين أن يؤمنوا به إيمانا جازما فهو (القرآن الكريم وحده) الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه - ثم الحديث المبين له. هذا وأرجوا أن أكون قد أديت حق العلم والتاريخ في وضع هذا الكتاب، وأظهرت فيه شخصية أبى هريرة ليكون في تاريخ هذه الشخصية فصل الخطاب. والله أدعوا أن يهدينا جميعا إلى اتباع سبيل الحق، وأن يوفقنا دائما إلى ما فيه نفع الخلق، إنه سميع الدعاء. محمود أبوريه عن جيزة الفسطاط بالقاهرة. ليلة أول رمضان سنة ١٣٨١ هـ ٦ فبراير سنة ١٩٦٢.



إلمامة عابرة بكتاب (أبو هريرة) الذى خرج أخيرا باسم الخطيب العجاج قابلني ذات يوم صديق وقال: ارتقب هجوما جديدا عليك وعلى كتابك (الاضواء) سيخرج في كتاب، ليس كالكتب التي سبقته في نقد كتابك مما كان يصدر عن أفراد - إذ قد تعاون على تأليفه منذ سنين جمهرة من شيوخ الدين مصريين وغير مصريين ! وبذلت مساعي خفية لتتولى وزارة الثقافة المصرية طبعه ونشره على نفقتها لكى يأخذ صفة رسمية تخلع عليه رداء من الاعتبار، وتكسبه حظا من الانتشار ! ثم أشار إلى أمور تربط بين هذا الكتاب وبين كتاب آخر ألفه أحد الشوام من قبل ونال عليه جائزة الدولة ! (١) ولا نعرض هنا لسبب نوال هذه الجائزة !. أما صاحب الكتاب الجديد فهو ربيب الاول - وهو شامى كذلك - وسينال جائزة سخية عليه. وكأن صديقى هذا - وهو يلقى على مسمعى كل ذلك - يطلب منى أن أستعد لملاقاة هذا الهجوم المرتقب، فقلت له: هون عليك يا صاح ! فأنا جد خبير بشيوخك هؤلاء وبعلمهم وبنقدهم سواء كانوا أفرادا أو جماعات وقد بلوتهم من قبل فلم أجد بينهم عالما ولا باحثا ولا محققا ! وستري إن شاء الله أن كيدهم الاخير سيزيد من فضائحهم، ويرتد بالوبال عليهم. وهم بجمعهم لا أباليهم ولا حساب لهم عندي، ثم انتظرت هذا الهجوم الذى أعدوا له كل

---

(١) هو كتاب ألفه شيخ سورى اسمه مصطفى السباعي وكان زعيما للاخوان المسلمين بسوريا ولهذه الصفة نال ما نال ورحم الله أستاذنا الامام محمد عبده حيث يقول: ما دخلت السياسة في شئ إلا أفسدته. (*)



ما استطاعوا من قوة، حتى بدت طلائعه في دعاية عريضة على صفحات الصحف من قبل وزارة الارشاد تنبئ بظهور هذا المولود السعيد ؟ ! وما كدت أتناوله بين يدى وأتبين معارفه ومغابنه حتى رأيته مشوه الخلق هزيلا - يصدق عليه المثل العربي القديم - تمخض الجبل فولد فأرة - وإن كان قد بدا للناس في ثوب مزركش.. ولو أنت تدبرت هذا الكتاب في مجموعه وأحكمت ذلك بعقل راجح وأمعنت فيه بنظر غير مدخول، لوجدت الحشد والاجتلاب قد شاعا فيه من كل جانب وأنه قد ضم ما ضم " حبل الحاطب " مما لا يفيد العلم أو النقد في شئ ! ! تناولت هذا الكاتب وأنا أظن أنه قد روعى فيه الاسلوب العلمي النزيه، واتبع فيه أصول النقد الحديث، وأنه قد

آن لمؤلفيه أن يتحرروا من إصر الجمود، وأن يميطوا عن عقولهم غطاء التقليد، حتى يكون نقدهم أدنى إلى الصواب، وأقرب إلى الحق - ولكن واأسفا فإنى ما كدت أقرأ مقدمته حتى ألفيته من جنس ما سبقه من الكتب (شكلا وموضوعا.) وكأننا نكلف هؤلاء القوم ضد طباعهم إذا نحن حاولنا أن نطلب منهم أن يلتزموا جادة البحث العلمي الخالص، وأن يقرعوا الحجة بالحجة، ويدفعوا الدليل بالدليل، ذلك بأنهم جميعا بين مقلد (١) ليس له رأى مستقل، ولا عقل مستدل، وإنما ينقل عن

---

(١) قال عبيد الله بن المعتز: لا فرق بين بهيمة تقاد، وإنسان يقلد. وقال حافظ المغرب ابن عبد البر شرحا لهذه الحكمة الجليلة: وهذا لغير العامة الذين هم المرادون بقول الله عزوجل: " فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون "، وإذا كانوا قد أجمعوا على أن الاعمى لابد له من تقليد غيره ممن يثق بميزه القبلة، فكذلك من لا علم له ولا بصر بمعنى ما يدين به، لابد له من تقليد عالمه. ولان التقليد أمر خطير يضر بالدين والعلم معا فقد أنشأ فيه ابن عبد البر أبياتا من الشعر رجا من ورائها جزيل الاجر لكى يحفظ الناس هذه الحكمة وقال: لان من الناس من يسرع إليه حفظ المنظوم ويتعذر عليه المنثور. ونحن ننقل هنا من شعره هذين البيتين: يا سائلي عن موضع التقليد خذ * عنى الجواب بفهم لب حاضر لا فرق بين مقلد وبهيمة * تنقاد بين جنادل ودعاثر ص ١١٤ و ١١٥ ج ٢ جامع بيان العلم وفضله - (والجنادل الصخور العظيمة والدعاثر الحفر العميقة). وقال أحمد بن حنبل: انظروا في أمر دينكم فإن التقليد لغير المعصوم مذموم وفيه عمى للبصيرة. ص ٢٩٧ الاسلام الصحيح. ومما قالوه: ما أضيع البرهان عند المقلد ! (*)

---



غيره بغير فهم، وبين مشتغل بالحديث. والمشتغلون بالحديث قوم قضوا حياتهم متعبدين للاسانيد ومنصرفين عن دراسة المتون، ولا يهمهم إن كانت هذه المتون صحيحة أو غير صحيحة، معقولة أو غير معقولة، ومن أجل ذلك وصفوهم بالجمود وحق عليهم هذا النبز على مد العصور، لا يختلف في ذلك أحد (١) وقد جمع العجاج هذا بين الصفتين معا، فهو كما عرف عنه مقلد في دينه، واعترف بعد ذلك بأنه مشتغل في السنة وعلومها (٢). ولقد كان أول شئ بدا من كتابه أنه يضرب على نغمة شيوخه التى لا يملونها ولا ينزعون عنها، ولا يحسنون غيرها، حتى مجتها الاسماع، وأنفت منها الطباع، وسئمتها النفوس، وذلك أنهم يرمون كل من يتصدى لدراسة حياة الذين يتعبدون لهم ويجعلونهم من المعصومين، أو يمس شيئا مما ورثوه عن شيوخهم من علم بغير إدراك ولا فهم - يرمون من يقدم على ذلك بالمروق من الدين، وأنه متأثر بالمستشرقين أعداء الدين، لا يصدهم عن ذلك وازع من خلق، ولا رادع من دين. وما كدت أفرغ من تلاوة هذا الكتاب حتى وجدته (يعج) بالخرافات والمتناقضات والمفتريات والمغالطات، وأن جامعه يتشبث بالادلة الواهية، والاخبار الباطلة ليغطى بها على الحقائق الثابتة، بله ما فيه من العبارات النابية التى لا يخلو منها كتاب من كتبهم. ومما أذهلني وأذهل كل مسلم غيور على دينه أن يجعلوا أبا هريرة (راوية الاسلام (٣).

---

(١) قال العلامة الصفدى في كتابه (نكت الهميان في نكت العميان) وهو يتكلم عن شيخه الحافظ الذهبي ويبرئه من وصمة الجمود التى اختص بها المشتغلون بالحديث: " اجتمعت به، وأخذت عنه، وقرأت عليه كثيرا من تصانيفه ولم أجد عنده جمود المحدثين، ولا كودنة النقلة ". ص (٢٤٢) وقال السيد رشيد رضا: إن النجديين والحشويين يأخذون بالايمان والتسليم كل ما يجدونه في كتب الحديث من غير بحث في تعارض ولا إشكال (ص ٤٧٤ ج ١٨ المنار). (٢) ص ٥ من كتابه (أبو هريرة). (٣) لو أن أبا هريرة هذا الذى كشفت عن حقيقة تاريخه هنا كان كما يزعمون (راوية الاسلام في عقائده وعباداته وأحكامه وآدابه بحيث لا يؤخذ في ذلك كله إلا بما يرويه، ولا يتبع إلا ما = (*)

ومثل هذا الكتاب إنما يكون من الخطأ النظر فيه أو الرد عليه، وإنما يجب أن يقابل بما يستحقه من الاهمال، وأن يوضع في مكانه من عدم الاعتبار، وتلقاء ذلك رأيت من التدبير وصيانة لحرمة العلم وحفاظا على كرامة أهله، أن أمر عليه كما مررت على غيره من قبل - مر الكرام بلغو القول، وإن أتبع فيه ما اتخذته مع سائر الذين انتقدونا بجهل وبخاصة أن العجاج - الذى ظهر باسمه هذا الكتاب - ليس بخير منهم. ولا هو بالذى يستأهل الرد عليه من دونهم. وإنما الواجب أن نطرحه جانبا. ولا سيما بعد أن سبرنا علمه فوجدناه لا يزال عجرا لم يستو بعد ولم يستحصد ! كان هذا هو الرأى. ولكن لما كان هذا الكتاب من حيث الشكل ليس كالكتب التى نزهنا قلمنا عن التصدى لها. أو الرد عليها، ذلك، بما أتيح له من حظ وعناية، وبما اجتمع له من قوى مختلفة تناصرت على تأليفه وإخرجه ونشره وكان من هذه القوى من لهم مناصب كبيرة في كليات الجامعة المصرية (١).

---

= يحكيه، وأن النبي صلى الله عليه وآله قد عهد إليه وحده أن يكون راوية الاسلام للناس كافة لكنت أول كافر به، ولا أبالى ! والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الصادق الامين، وعلى آله الاطهار الاكرمين، ورضى الله عن أصحابه الصادقين المخلصين، الذين اتبعوه بإحسان وظلوا على هديه سائرين غير المنافقين الكاذبين، الذين ركبوا أهواءهم وغيرتهم الدنيا وزينتها فباءوا بالخسران المبين. (١) ذكر العجاج في مقدمة كتابه أنه يتوجه بالشكر العميق إلى أستاذه الشيخ على حسب الله أستاذ الشريعة الاسلامية في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة على ما تفضل بقراءة بحثه قراءة دقيقة وأنه أفاد من ملاحظاته - وقال في كلمة نشرها بمجلة الرسالة (العدد ١٠٣٨ المؤرخ ٥ / ١٢ / ١٩٦٣) بأنه دفع إلى هذا البحث العلمي " منذ سنوات ثلاث مضت، وقد طالعه أكثر من عالم (منتصف) أنذاك وشجعوني على نشره إلخ "، ولو أنه كان عالما شجاعا لاستعلن بنقده منذ سبع سنين يوم أن ظهر كتابنا في طبعته الاولى التى ظهرت في سنة ١٩٥٨ - وإذا عجب الناس من سكوت العجاج هذا الزمن الطويل فإنه هو قد أذهب هذا العجب بما اعترف به من أنه قد أنفق هذا الزمن الطويل وهو يتكفف شيوخه لكى يعاونوه على تصنيف كتابه إلى أن انتهى به إلى الشيخ على حسب الله فقرأه وباركه وأيده، ثم جاء بعد ذلك الشيخ محمد أبو زهرة أستاذ الشريعة بكلية الحقوق بجامعة القاهرة فأتم نعمته عليه بأن راجعه بأجر سخى تناوله من وزارة الارشاد، وزاد من فضله على تلميذه فقرظ كتابه في مجلة الكتاب لقاء أجر كبير كذلك ولعل هذا العجاج وهو يزج بنفسه في معمعان النقد ولما يستكمل أداته وعدته - إنما يريد أن يتشبه بالعلماء ويتدسس إلى زمرة الذين تورطوا في نقد كتابنا (الاضواء) فيكون له بذلك شأن بين الناس ! ولكن هيهات هيهات فهو العجاج بنفسه، وشيوخه هم شيوخه بما هو معروف عنهم. (*)

---



ومن وراء ذلك كله (دكاترة ! بوزارة الثقافة) - قد ساعدوا بعلمهم الواسع على إظهاره وينوا لهذه الوزارة أن تجعل (أبا هريرة) في حلقة من سلسلة (أعلام العرب ! !) التى تنشرها لتفاخر بها سائر الامم في الشرق والغرب ! وفى سبيل ذلك تنفق ما تنفق من جهد ومال (١). فكتاب هذا شأنه، حشدت له كل هذه القوى، وظفر من العناية بما لم يظفر به كتاب آخر، يصح أن نمنحه شيئا من العناية وأن نخالف معه السنة التى اتخذناها مع جميع الذين انتقدونا من قبل حتى مع هذا العجاج في كتاب آخر له قيل إنه انتقدنا فيه. من أجل ذلك رأيت (برغمى) أن أخالف طريقتي التى اتبعتها مع سائر الذين انتقدونا من قبل وأن ألقى على هذا الكتاب نظرة عابرة، أعرض فيها لبعض ما فيه بالبحث العلمي النزيه لاكشف عن معارف هؤلاء الذين اشتركوا في هذا الكتاب تأليفا ومراجعة وإخراجا، من غير أن أخشى في ذلك أحدا، إذ ليس عندي كبير في العلم إلا بعلمه وفضله، ولا اعتبار لدى للالقاب الرسمية ولا للمؤهلات الدراسية - وإنما قيمة المرء بما

يحسن، وبما يعمل من عمل صالح. وسأقتصر في كلامي على أمثلة قليلة من هذا الكتاب يستدل بها على غيرها، حتى لا نقع في التطويل، والناس اليوم يؤثرون الايجاز، وخير الكلام ما قل ودل ! لقد طفح هذا الكتاب بأكاذيب وخرافات وأساطير، كان أهمها قصة الطفيل بن عمرو الدوسى، التى أرادوا بها إثبات إسلام أبى هريرة من أول البعثة وهو في بلاده اليمن رغم اعتراف أبى هريرة نفسه، وإطباق كل المؤرخين الثقات على أن إسلامه كان بعد الانتهاء من موقعة خيبر سنة ٧ هـ. وها نحن أولاء نذكر نبأ هذه الخرافة - كما نشروها - ثم نقفى على ذلك ببيان حقيقة أمرها ومن الذى وضعها.

---

(١) لم نعرض هنا إلى بيان ما جنته وزارة الثقافة على العلم والدين بإصدارها كتاب العجاج. حتى لا نرمى بالتحامل عليها وقد وفاها حسابها العلامة الاستاذ عبد الله السبيتى في كتابه (أبو هريرة في التيار) فيرجع إلي هذا الكتاب للاطلاع على ما قاله في هذا الشأن وفى غيره، فهو كتاب قيم يستحق أن يدرس. (*)

---



خرافة الطفيل بن عمرو الدوسى قال العجاج في كتابه: كان الطفيل بن عمرو الدوسى رجلا شريفا شاعرا مليئا، وكانت قريش تعرف منزلته في قومه، وما إن عرفت قدومه إلى مكة بعد نبوة محمد صلى الله عليه وآله حتى حذروه من أن يتصل بهذا النبي - ولكنه لما ذهب إلى الكعبة وجد رسول الله فسمع كلامه فأعجب به، وما لبث أن أسلم، ثم طلب من النبي أن يدعو قومه باليمن إلى الاسلام، وأن يجعل له آية. فوقع له نور بين عينيه، فقال يا رسول الله: أخشى أن يقول قومي هذه مثلة. فرجع النور إلى طرف سوطه (١) ! ! ! وكان يضئ في الليل - ولما عاد إلى قومه ودعا إلى الاسلام أسلم أبوه ولم تسلم أمه ! ودعا قومه فأجابه أبو هريرة وحده. وعاد إلى النبي فأخبره بإبطاء قومه، وطلب أن يدعو عليهم فقال النبي: (اللهم اهد دوسا). فعاد إلى قومه ولم يزل بأرض دوس يدعوها حتى هاجر رسول الله إلى المدينة، ومضت غزوة بدر وأحد والخندق، ثم قدم على رسول الله بمن أسلم من قومه ورسول الله بخيبر. اه باختصار (٢) ! ! هذه هي قصة أسطورة الطفيل بن عمرو الدوسى - كما جاءت في كتاب العجاج وقبل أن نبحث في أمرها نذكر لك أن كل اليمنيين - الدوسيون منهم والاشعريون، وفيهم الطفيل بن عمرو هذا - لم يسلموا إلا بعد موقعة خيبر، أي عندما أرسى الاسلام قواعده على أسس متينة وأصبح في منعة تحمى من يدخلون تحت رايته.

---

(١) هذه الخرافة من جنس الشعوذة التى يمثلها الحواة في الطرقات والميادين العامة ويجتمع حولهم الصبية والمغفلون ليشهدوهم وهم يلعبون بالنار وينفخون في أبواقهم ويلوحون بأيديهم ويقولون: جلا جلا. وسبحان واهب العقول. ولم يذكر أحد من المؤرخين الثقات ولا أبو هريرة نفسه - هذه الفرية - وهى إسلام أبى هريرة على يدى الطفيل بن عمرو - راجع ص ٥٤ و ٥٥ ج ٣ من أسد الغابة. (٢) ص ٨٤ و ٨٥ من كتاب العجاج. (*)

---



أورد العجاج هذه الخرافة وكأنه ظن - وشيوخه معه - أنها خبر صحيح لا يجوز لاحد أن يدفعه أو يمارى فيه، وهو في الحقيقة فضيحة مخزية، لا يصدقه إلا مدخول العقل، أو جهول لا يفهم. ومن الحق علينا أن نبحث عن أصل هذه الخرافة، وأن نعرف من الذى وضعها. وكيف تلقفها أصحاب الاخبار والسير، فنشروها بين الناس في

كتبهم، ثم جاء العجاج فنقلها عنهم !. وقد أمعنا في بحثنا حتى وصلنا إلى مصدرها الذى وضعها وأخرجها من (كيسه) فإذا هو (الكلبى) الاخباري، صاغها فيما صاغه من الخرافات، ثم نقلت عنه، وانتشرت بين الناس. وعلى أننا قد أوضحنا من قبل بما لا يدع للشك سبيلا (١) أن أبا هريرة وعمرو بن الطفيل لم يسلما إلا مع الدوسيين والاشعريين في سنة ٧ هـ بعد انتهاء موقعة خيبر فإنا نعيد هنا بعض الادلة القوية التى استقيناها من أوثق المصادر التى تثبت ذلك وتؤيده، لعل من لا يفهم يفهم ! قال ابن سعد في الطبقات الكبرى (ص ٧٨ ج ١): وقدم الدوسيون فيهم أبو هريرة وقدم الطفيل وقدم الاشعريون ورسول الله بخيبر فلحقوه بها فكلم رسول الله أصحابه فيهم أن يشركوهم في الغنيمة ففعلوا. وقال المقريزى في إمتاع الاسماع (ص ٣٢٦ ج ١): وقدم الدسيون فيهم أبو هريرة والطفيل بن عمرو وأصحابهم ونفر من الاشعريين فكلم رسول الله أصحابه فيهم أن يشركوهم في الغنيمة، فقالوا: نعم يا رسول الله، وقال ابن أبى حاتم في الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ص ٢٨٧ ج ٣: قدم الطفيل بن عمرو الدوسى على النبي صلى الله عليه وآله مع أبى هريرة بخيبر، وروى ابن سعد في الطبقات الكبيرة عن الطفيل: قال: فلم أزل بأرض دوس أدعوها - حتى هاجر رسول الله إلى المدينة، ومضى بدر وأحد والخندق ثم قدمت على رسول الله بمن أسلم من قومي ورسول الله بخيبر حتى نزلت المدينة

---

(١) راجع ما ذكرناه في هذا الكتاب عن قدوم أبى هريرة إلى النبي. (*)

---



بسبعين أو ثمانين بيتا من دوس، ثم لحقنا رسول الله صلى الله عليه وآله بخيبر، فأسهم لنا مع المسلمين (١) قصة الطفيل بن عمرو، وخرافاته روى البخاري في بيان " قدوم الاشعريين وأهل اليمن - قصة دوس والطفيل ابن عمرو الدوسى " عن أبى هريرة قال: جاء الطفيل بن عمرو إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: إن دوسا قد هلكت، عصت وأبت فادع الله عليهم ! فقال: اللهم اهد دوسا وأت بهم. هذا ما رواه البخاري ولم يعرض لخرافة الطفيل بشئ، ولا ورط نفسه في حملها. وكان ذلك في الكلام على قدوم الدوسيين من أهل اليمن على النبي في خيبر سنة ٧ هـ وجاء الحافظ ابن حجر ليشرح هذا الخبر فقال - بعد أن ذكر نسب الطفيل كان يقال له: ذو النور، لانه لما أتى النبي صلى الله عليه وآله وأسلم، بعثه إلى قومه فقال: اجعل لى آية، فقال: اللهم نور له، فسطح نور بين عينيه، فقال: يا رب أخاف أن يقولوا إنه مثلة، فتحول إلى طرف سوطه، وكان يضئ في الليلة المظلمة، ذكره هشام بن الكلبى في قصة طويلة، وفيها أنه دعا قومه إلى الاسلام فأسلم أبود ولم تسلم أمه، وأجابه أبو هريرة وحده (٢) ! وقبل ابن حجر العسقلاني، روى ابن عبد البر حافظ المغرب، خبر هذه الخرافة، ووصفه بأنه " خبر عجيب ذكره الاموى في مغازيه عن هشام الكلبى " (٣) ومن ذلك يتبين أن الذى (وضع) هذه الخرافة وما جاء في رواية ابن حجر من إسلام أبى هريرة على يدى الطفيل، وهو في بلاده ! هو هشام الكلبى !

---

(١) ص ١٧٦ ج ٤ من الطبقات. (٢) ص ٨٢ و ٨٣ ج ٨ فتح الباري. (٣) ص ٧٥٨ و ٧٥٩ - ق ٢ من الاستيعاب (طبعة نهضة مصر). (*)

---

من أجل ذلك يدعونا التحقيق العلمي إلى أن نتجه إلى هشام الكلبى هذا، لنعرف من هو ؟ وما مبلغه من الصدق، ورأى المحدثين والمؤرخين فيه وفى أخباره. من هو هشام الكلبى هذا ؟ هو هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبى قال فيه الذهبي في تذكرة الحفاظ (١): أحد المتروكين ليس بثقة، فلهذا لم أدخله بين حفاظ الحديث. كان إخباريا علامة. وقال فيه ابن العماد الحنبلى في شذرات الذهب (٢): وفيها (أي في سنة ٢٠٤ هـ( توفى هشام بن محمد بن السائب الكلبى الاخباري النسابة كان حافظا علامة إلا أنه كان متروك الحديث. وقال فيه السمعاني في الانساب، إنه يروى الغرائب والعجائب والاخبار التى لا أصول لها ! وأخباره في الاغلوطات أشهر من أن يحتاج إلى وضوحها. وكان أحمد بن حنبل يقول فيه: " من يحدث عنه ؟ إنما هو صاحب سمر ونسب. وفى رواية سير ونسب " ما ظننت أن أحدا يحدث عنه، ومن قول الكلبى عن نفسه، كان لى عم يعاتبني على حفظ القرآن، فدخلت بيتا وحلفت ألا أخرج منه حتى أحفظ القرآن، فحفظته في ثلاثة أيام ! ونظرت في المرآة وقبضت على لحيتى لاخذ ما دون القبضة فأخذت ما فوق القبضة (٣). وقال فيه الجاحظ: كان علامة نسابة، وراوية للمثالب عيابة (٤). وقال فيه ياقوت في معجم الادباء بعد أن أورد ما قاله فيه أحمد بن حنبل الذى ذكره السمعاني آنفا في كتاب الانساب: قال البلاذرى في تاريخه إن

---

(١) ص ٣١٣ ج ١ طبع الهند. (٢) ص ١٣ ج ٢. (٣) ص ٤٨٦ من الانساب طبع مارجوليوث الانجليزي على الحجر بمدينة لندن سنة ١٩١٢. وهو بدار الكتب المصرية برقم ٥٦١١٢ تاريخ. (٤) ص ١٣١ ج ١ من البيان والتبيين. (*)

---



الكلبى هذا حدث عن أبيه عن أبى صالح عن ابن عباس في قوله تعالى: " وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا " قال: أسر إلى حفصة أن أبا بكر ولى الامر بعده وأن عمر وليه من بعد أبى بكر. فأخبرت بذلك عائشة. قال الدارقطني: هشام متروك. وقال غيره: ليس بثقة (١). وقد أخذ أبو الفرج الاصبهاني على ابن الكلبى أن الاخبار التي ذكرها عن دريد بن الصمة " موضوعة كلها والتوليد بين فيها وفى أشعاره " ثم قال: " وهذا من أكاذيب ابن الكلبى " وكان عندما يروى عنه بعض الاخبار يقول: ولعل هذا من أكاذيب ابن الكلبى (٢). وقد اضطر ابن الكلبى أن يعترف بالكذب فقد روى عنه قوله: " أول كذبة كذبتها في النسب أن خالد بن عبد الله القسرى سألني عن جدته أم كريز وكانت أمه بغيا لبنى أسد يقال لها زينب، فقلت له هي زينب بنت عرعرة بن جذيمة بن نصر بن قعين، فسر بذلك ووصلني " (٣). وروى كذلك عن نفسه ما نصه: " حفظت ما لم يحفظه أحد، ونسيت ما لم ينسه أحد ! كان لى عم يعاتبني على حفظ القرآن، فدخلت بيتا وحلفت أن لا أخرج منه حتى أحفظ القرآن، فحفظته في ثلاثة أيام ! ونظرت يوما في المرآة فقبضت على لحيتى لاخذ ما دون القبضة، فأخذت ما فوق القبضة (٤). وقال ابن حجر العسقلاني: والكلبي متروك ولا يعتمد عليه (٥). وما كان لنا أن نستكثر من الادلة على كذب الكلبى فإن هذه الخرافة في نفسها يدفعها العلم الصحيح، ويمجها العقل السليم، ولا يقبلها إلا من أصيب. بخلل في عقله وسفه في تفكيره.

---

(١) ٢٨٧ و ٢٨٨ ج ١٩. (٢) راجع ص ١٩ و ٢٠ ج ٩ من الاغانى وص ١٥٥ ج ١٠ من هذا المصدر وص ١٥ من كتاب الاصنام تحقيق أحمد زكى (باشا). (٣) راجع صفحة ٥٨ ج

١٩ من نفس المصدر. (٤) ص ١٦ من كتاب الاصنام وانظر ابن خلكان، والوافى بالوفيات (٥) ص ٣٥٤ ج ٨ فتح الباري. (*)



هذه هي قصة الطفيل بن عمرو التى جعلها مشايخنا الكبار أساسا لكتاب تلميذهم النجيب العجاج ! وطبعته الدولة المصرية على حسابها، وأنفقت عليه مئات الجنيهات من حر مالها ! ولنقف عند هذا الحد من إيراد الادلة على كذب الكلبى الذى (وضع) وحده خبر الطفيل بن عمرو بعد أن رأينا الاجماع على تكذيبه. ولقد كانت شهادة واحدة من مثل الامام أحمد بن حنبل أو الدارقطني أو الذهبي كافية في إسقاط صفة العدالة عن هذا الكلبى، وإنما توسعنا في ذلك لنرى الذين يظهرون بين الناس في ثياب العلماء، كيف يكون تمحيص الاخبار والبحث عن حقيقة ما تحمله إلينا الروايات، ولا ندرى بعد أن سطعت هذه الادلة ونسخت بنورها ظلمات أكاذيبهم، وأثبتت أن خبر الطفيل بن عمرو هذا الذى اتكأوا عليه وأجمعوا على تصديقه إنما هو من اختراع أخباري كاذب ! حقا لا ندرى بعد ذلك كيف حال من تصدى لتأليف كتاب " أبو هريرة راوية الاسلام "، ولا حال الذين أعانوه وساعدوه بعلمهم على تأليفه وعلى نشره ومنهم أساتذة في الجامعات (واأسفا) بالخرافات فنقول: الاسطورة تضع أفائك لم يشأ العجاج وشيوخه أن يدعوا هذه الخرافة عقيما فزوجوها من ابن عمها الافك، وما لبثت أن أنجبت منه أفيكة (١) كانت أعجب مخلوقة في دنيا الخرافات، خرج بها العجاج وشيوخه مزهوين فخورين أن لم يولد مثلها من قبل ! وذلك أنهم بعد أن استعلنوا بفرية إسلام أبى هريرة وهو في بلاد اليمن على يدى الطفيل بن عمرو - والنبى صلى الله عليه وآله بمكة (٢)، لم يقفوا عند هذا الحد من الافتراء. بل زادوا على ذلك فقالوا: " إن أبا هريرة كان يتتبع أخبار المسلمين " (٣). ثم أمعنوا في الافتراء فقالوا: والصحيح أنه أسلم قبل الهجرة

(١) الافيكة هي الكذبة العظيمة جمعها أفائك. (٢) ص ٣٣١ من كتاب العجاج. (٣) ص ٣٣١ من نفس المصدر. (*)



النبوية وبقى في اليمن يتابع أخبار المسلمين ويحفظ ما ينزل من القرآن الكريم ! (١). حقا إنها أفيكة لا يرحضها ماء البحر !. وإذا أنت عجبت من هذه المفتريات التى افتجرها العجاج وسألته وسألت من على شاكلته في العقلية من شيوخه، وقلت لهم جميعا: كيف تسنى لابي هريرة أن يتابع أخبار المسلمين، ويحفظ ما ينزل من القرآن الكريم - وهم بمكة وهو باليمن ؟ وما هي الوسائل التى كان يتخذها في ذلك ؟ أجابوك بأن هذا وأكثر منه ليس بغريب ولا مستحيل على أبى هريرة ! إنه ليس ببعيد عليه أن يسمع كلام النبي، وما ينزل عليه وهو في مكان سحيق ؟ وما يدريك لعل الملك الذى كان يهبط بالوحى على النبي وهو بمكة والمدينة وكان ينتقل كذلك إلى بلاد اليمن ويهبط على أبى هريرة فيبلغه ما يحمل إلى النبي من وحى، وما ينطق به النبي من حديث ! وما على الذين وهبهم الله عقولا تزن، وأفكارا تفهم، إلا أن يلغوها ولا يعترضوا عليها، حتى لا يرموا بالتفسيق أو يكون إيمانهم على حرف. كما قضى بحكمه أخيرا الشيخ محمد أبو زهرة. اللهم إن الزمن الذى كانت تروج فيه مثل هذه الخرافات والاساطير قد ذهب إلى غير رجعة، وأصبحنا في زمن لا يصدق فيه حتى العامة إلا ما يسوغه العقل الصريح،

ويؤيده العلم الصحيح. ولقد كان لنا بعد أن فضحنا العجاج في كتابه، بما كشفنا عن هاتين الخرافتين، أن نكتفي بهما فلا نسترسل في البحث عن غيرهما، لانهما ولا جرم كافيتان في هدم هذا الكتاب والاتيان عليه من القواعد، ذلك بأن كتابا مثل هذا تقوم دعائمه على الخرافات يكون من العبث العناية بنقده، أو بذل أي جهد في مناقشته، وإنما الاجدر به أن ينبذ ويلقى في اليم.

---

(١) ص ١٩ من العدد ١٠٣٨ من مجلة الرسالة المصرية الصادر في ٥ ديسمبر سنة ١٩٦٣ التى تصدر عن وزارة الثقافة بمصر، وقد ظاهر العجاج في هذه الفرية وغيرها الشيخ محمد أبو زهرة في تقريظه لكتاب العجاج، وسيأتيك ردنا على هذا الشيخ - (يلاحظ) أن أبا هريرة على طول عمره وأنه قضى مسلما فحو نصف قرن فإنه لم يستطع أن يحفظ القرآن.. ولم يخرج عن أميته.. (*)

---



كان لنا ذلك ولكن رأينا من التدبير أن نستزيد شيئا من إظهار فضائح هذا الكتاب الذى يموج بالخرافات والمتناقضات، بله الافتراضات البايخة، والاحتمالات السخيفة - وذلك لكى نعطى القارئ نماذج يقاس عليها مما يحمل الكتاب، ويتنور فيها قيمة هذا الكتاب في عالم التأليف، وأنه لا يساوى المداد الذى كتب به، ومن وراء ذلك يستبين للناس جميعا مبلغ مصنفه - وشيوخه معه - من العلم ومقدار حظهم من العقل والتفكير ! أمامافى سائر الكتاب، مما يستوجب النقد والتفنيد فيدحضه ويقضى عليه ما فصلناه في كتابنا هذا، وسنبدأ كلامنا عن أهم صفة وصفوا أبا هريرة بها، وهى صفة (علمه وفتواه) حتى إذا ما أثبتنا بالبراهين القوية أنه عار عنها، انهارت سائر صفاته التى يتمسكون بها، ويصبح ولا ريب رجلا من عامة الناس لا شأن له ولا قدر، وتبدو شخصيته على حقيقتها بغير تزوير ولا تلفيق. علم أبى هريرة وفتواه (١): من متناقضات العجاج التى فضح بها نفسه أنه أورد في كتابه صفحة ٩٠ أن رسول الله بعث أبا هريرة إلى البحرين مع العلاء بن الحضرمي ووصاه به فجعله العلاء (مؤذنا له) وأنه قال للعلاء (لا تسبقني بآمين). وهذا يدل بداهة وقطعا أن عمل أبى هريرة في البحرين إنما كان (التأذين) فحسب، إذ لم يعهد إليه النبي صلى الله عليه وآله بأى عمل دينى أو غير دينى مما كان يعهد به إلى غيره عندما كان يرسله في أمر من الامور إلى أي بلد من البلاد، وكان كل ما قاله للعلاء أن أوصاه به، ولما سأله العلاء عما يريد أن يعمله كان جوابه: (اجعلني مؤذنا لك) كان هذا هو عمل أبى هريرة في البحرين باعترافه ولكن العجاج وهو السخى المعطاء لابي هريرة قد خرق له مما تلقاه أعمالا أخرى غير التأذين.. فقال في صفحة (١٠٧) من كتابه: ! إن رسول الله قد أرسل أبا هريرة إلى البحرين لينشر الاسلام ! ويفقه المسلمين ويعلمهم أمور دينهم " !

---

(١) قد فصلنا القول في ذلك في موضعه من كتابنا هذا. (*)

---



وهذا لعمرك تناقض صارخ مشوب بالكذب والبهتان، لان أحدا لم يقل بهذا أبدا، ولا ادعاه أبو هريرة فيما يدعيه لنفسه ! ولم يكتف العجاج بذلك التخرص بل زاد فقال " وحدث عن رسول الله وأفتى " أي أن إرساله إلى البحرين إنما كان لينشر الاسلام، ويفقه المسلمين أو

يعلمهم أمور دينهم ! وإنه كان يحدث الناس ويفتيهم ! يالها من مفتريات يدفع بعضها في قفا بعض ! وبينما يتورط العجاج في هذه المفتريات التى يفتجرها بغير حياء ولا خجل إذ به ينقلب فيناقض نفسه مناقضة أخرى مخجلة حتى فيما افتجره وافتراه، فيقول في صفحة ١٦٠: " إن أبا هريرة وابن عباس وابن عمر، وجماعة معهم كانوا يفتون بالمدينة ويحدثون من لدن توفى عثمان إلى أن توفوا "، ومعنى ذلك أن أبا هريرة لم يستطع أن يفتح فاه بكلمة في الفتوى والحديث إلى أن توفى عثمان، ثم يؤكد ذلك باعتراف آخر ذكره في الصفحة ١٦٥ ومن كتابه، إذ يقول: " ولم ينقل أن أحدا من الخلفاء أو الامراء ولى أبا هريرة قضاء المدينة أو غيرها ". ولان العجاج قد أصيب بداء الافتراض، غير داء التناقض والافتراء، فإنه بعد ذلك كله يأتي بافتراض بايخ فيقول بغير خجل في صفحة ٣٣٥: " إنا لم نعلم أنه ولى القضاء لاحد، ومع هذا لابد أنه نظر في بعض القضايا حينما ولى البحرين وإمارة المدينة " وفاته أن يبين أن إمارته للمدينة كانت بأمر من معاوية عندما بحث بسر بن أرطأة لينكل بأهل المدينة ويستبيحها، ولما فعل فعلاته بها وتركها استخلف عليها أبا هريرة، ولما أتاها جارية بن قدامة السعدى من قبل الخليفة أمير المؤمنين على بن أبى طالب ولى أبو هريرة هاربا من وجه جارية فقال جارية كلمته المشهورة المحفوظة: " لو وجدت أبا سنور لقتلته ". ولا أدرى ماذا يقول الذين يضللون التاريخ ويقولون: إن أبا هريرة اعتزل السياسة، وقد صرح بذلك العجاج بصفحة ١١٢. ومن مفتريات العجاج أن يقول عن أبى هريرة " إنه شهد مع النبي جميع غزواته " (ص ١١٥ من كتابه)، ولم يكتف بذلك بل قال في صفحة ٢٢٢ إنه اشترك في حروب الردة ! ! وقد فندنا ذلك كله من قبل في كتابنا هذا وتحديناه هو وشيوخه

---



أن يثبتوا ذلك بالفعل والبرهان إن كانوا صادقين، هذا قليل من كثير مما جاء في كتاب العجاج. ولو نحن ذهبنا ننقض كل ما فيه من مفتريات ومناقضات مفضوحة ومزاعم وأباطيل صارخة لملانا كتابا برأسه. ولست أدرى والله بأى وجه يقابل العجاج وشيوخه الناس بمثل هذا الكتاب الذى ختموه بهذه الفضيحة العالمية إذ يجعاون أبا هريرة (راوية الاسلام). تالله إنها لقاصمة الظهور، ومحرجة الصدور. جهل وجمود إذا كان لابي هريرة عجائب وغرائب فإن لمؤرخه العجاج سخافات عديدة نأتى بشئ منها ليكون آية جديدة على مدى عقليته وعقلية شيوخه الاجلا. من هذه السخافات قوله إن: الطعن في أبى هريرة - ذريعة للطعن في غيره من الصحابة. جاء في الصفحة السادسة من كتاب العجاج قوله: " إن الطعن في أبى هريرة ذريعة للطعن في غيره من الصحابة (١) "، والطعن كما يفهمه الحشوية والجامدون هو البحث العلمي الذى يؤدى إلى إظهار الحقائق فيما لا يفهمون ولا يعقلون ! وهذه سخافة يزدريها كل عاقل عالم ! بل يضحك منها ! ذلك أن الصحابة ليسوا كلهم سواء في الدرجة ولا في المنزلة، وقد قسموهم إلى اثنتى عشرة طبقة ليس أبو هريرة في واحدة منها والحمد لله، ومن أجل ذلك نجد البخاري لم يذكر له فضيلة مأثورة عن النبي صلى الله عليه وآله في كتابه عندما ذكر فضائل كثير من الصحابة. والصحابة مهما بلغوا من علو القدر فما هم بمعصومين، وإنما هم أناس من البشر معرضون للخطأ والصواب، والهدى والضلال وما داموا كذلك فإنهم يخضعون لدرس حياتهم وتوجيه النقد إليهم وإقامة ميزان الحساب لهم.

---

(١) راجع فصل عدالة الصحابة في الطبعة الثالثة من كتاب الاضواء. (*)

وقد جاء نقد الصحابة في القرآن الكريم نفسه وذلك في سور كثيرة وبخاصة في سورة التوبة التى سموها الفاضحة (١) وفى سور غيرها كثيرة كسورة (المنافقون) والاحزاب وغيرهما، وجاءت أحاديث عديدة في البخاري وغيره أنه صلوات الله عليه رأى قوما من أصحابه يذادون عن الحوض، ولما سأل في ذلك أجيب بأنه لا يدرى ماذا أحدثوا بعده، فقال: سحقا سحقا ! وقد اعترفوا هم أنفسهم بأنهم قد أحدثوا بعده، كما أثبتناه في مكانه من هذا الكتاب. على أن أبا هريرة خاصة ليس كغيره من سائر الصحابة كما بيناه في موضعه من هذا الكتاب، فقد توجه الطعن إلى رواياته من لدن الصحابة إلى اليوم. ومن أجل ذلك كان " أول راوية اتهم في الاسلام ". ترهيب صبياني: شاءت عقلية العجاج أن يمسك بيده سوطا كسوط الطفيل بن عمرو ! يلوح به في الهواء هاهنا وهاهنا، ليرهب به كل من يحاول أن يقترب من نقد أحد الصحابة فنقل في الصفحة (٤٠) من كتابه أن أبا زرعة (الذى لا ينطق عن الهوى !) قد قال إن من ينتقص أحدا من الصحابة فهو زنديق، ولم يكفه ذلك بل عزز ذلك بما يقذف الرعب في قلوب الذين تحدثهم أنفسهم بنقد أبى هريرة خاصة، فنقل في الصفحتين ٣٢٨ و ٣٢٩ كلمة للمعصوم ابن خزيمة، يصف الطاعنين فيه فجعلهم أربعة: إما معطل جهمى ! وإما خارجي ! وإما قدري اعتزل الاسلام وأهله ! أو جاهل ! ثم جاء أخيرا أستاذه الشيخ محمد أبو زهرة (٢) وقضى بحكمه المبرم على من ينتقد أبا هريرة بأنه إما أن يكون من الذين لا يؤمنون بالله، أو يكون مؤمنا على حرف. ولا ندرى والله أين مكاننا الذى وضعنا فيه (المجلس الكهنوتي الاعلى) الذى انعقد من شيوخ العجاج برئاسة الشيخ محمد أبو زهرة الذى جعلوا شعاره الآية المشهورة في الانجيل وهى " إن ما تربطه على الارض يكون مربوطا

---

(١) سميت الفاضحة لانها فضحت كثيرا من الصحابة، ولها أسماء متعددة غير ذلك، راجع تفسير الزمخشري لمعرفة هذه الاسماء وقد بيناها من قبل وفى كتابنا الاضواء، الطبعة الثالثة. (٢) ستجد كلمة لنا وجهناها إلى هذا الشيخ لنناقشه فيها الحساب. (*)



في السماء ! وإن ما تحله على الارض يكون محلولا في السماء ! " وقد ظن العجاج بفكره الثاقب وعقله الحصيف أنه بما نقل عن شيوخه قد أتى بدليل قاطع يسنده ويسند كتابه فقال إنه (مسك الختام !) وقد نسى أن ما نقله عن ابن خزيمة إنما هو حجة عليه لا له، إذ معناه أن نقد العلماء لابي هريرة عريق في القدم، له جذور بعيدة، وليس هو بحادث ظهر في الزمن القريب، وإذا كان نقاد أبى هريرة في هذا العصر قد تأثروا بالمستشرقين أعداء الدين أو تأثر بهم المستشرقون، فبمن تأثر نقاده الذين حكم عليهم ابن خزيمة حكمه الصارم، وقد كانوا بلا شك قبل ظهور المستشرقين بمئات من السنين ؟ ! وحقا ما قالوا: " عدو عاقل خير من صديق جاهل ". على أننا نعود إلى العجاج وشيوخه فنقول لهم: ما قيمة أقوال هذين الرجلين الذين استشهدتم بأقوالهم، هل هي من الوحى المنزل ؟ أم من كلام المعصوم صلوات الله عليه ؟ ونسأل كذلك الشيخ محمد أبو زهرة عن قيمة حكمه الذى أصدره أخيرا على من ينتقد أبا هريرة ؟ ؟ اللهم عرفنا بأقدارنا، وطهرنا من غرورنا، وجمودنا. وليس لنا من رد على هذا الارهاب إلا أن نذكر ما قاله الاول: " أبشر بطول سلامة يا مربع " ! غرور: أدرك العجاج طيش الغرور، فادعى أن بحثه الذى

قضى في تصنيفه بضع سنين وظل يتسول به على شيوخه ثلاثها منها ! ليستعين بهم على تأليفه " ستزول به الشبهات التى أثيرت حول أبى هريرة وتم هذا بفضل الله وتوفيقه (١) " ؟ وكأنه تخيل وهو يطير في جو الخيال أن الناس جميعا قد حشروا في صعيد واحد، وشهدوا بأن كتابه قد طهر أبا هريرة من جميع عيوبه، وأصبح برئ الساحة، بما حمل من ترهاته وجهالاته !

---

(١) راجع العدد ١٠٣٨ من مجلة الرسالة الصادر في ٥ ديسمبر سنة ١٩٦٣ وكذلك توهم الشيخ محمد أبو زهرة فيما نشره تقريظا لكتاب العجاج. (*)

---



وإنى أطمئنه وشيوخه معه وأقول لهم: إن التهم التى صوبت إلى أبى هريرة على مد التاريخ كله من عهد الصحابة إلى اليوم، ليست شبهات وإنما هي حقائق ثابتة ثبوت الجبال، لا تزول ولن تزول، بل ستظل وتكثر يوما بعد يوم كلما ازداد العقل نضجا، والعلم تقدما، وسيلبث رهينا في قفص الاتهام مكبلا لا يخرج منه ولا يفرج عنه، ما دام الحديث النبوى يدرس في الارض، ولو خرج في تبرئته والدفاع عنه كل يوم بما اتهم به ألف كتاب مثل كتابه. خاتمة تذروها الرياح: أنهى العجاج كتابه (بخاتمة) أجمل فيها ما فصله فيه من خرافات ومفتريات ومن فروض ومناقضات، ثم زادها بمحسنات (ورتوش) من نعوت وشمائل من عنده، لكى يبدع منه شخصا آخر غير شخص أبى هريرة ويبدى له صورة رائعة لم يظفر بمثلها أحد غيره، حتى لقد بلغ من إعلاء شأنه أن صيره وحده من دون الصحابة جميعا (راوية الاسلام !) وجعل هذه الصورة الفخمة عنوانا لكتابه. ألا فليرح العجاج نفسه وشيوخه معه وليعلموا أن كل جهد أو عناء في هذا السبيل مهما كان مصدره فإنه سيذهب هباء، والتاريخ الثابت الصحيح لا يتأثر بمثل هذه الترهات، ولا يغير منه أن يغطى عليه مثل هذه التلفيقات، وليستيقنوا جميعا أن أبا هريرة هو هو بأصباره وأعماله التى سجلها له التاريخ على صفحاته، وسيبقى إلى ما شاء الله على صورته الصحيحة التى لا تزوير فيها ولا تلفيق. هذه الالمامة الوجيزة كتبناها على كره منا، إذ خرجنا بكتابتها عن السنن الذى اتخذناه لانفسنا تلقاء من ينتقدوننا، وكان ذلك بعد أن بلونا أسلوبهم في النقد فوجدناه غير قائم على أصول النقد العلمي الحديث الذى يفيد العلم والعلماء، وإنما يبنى على السباب والشتائم، فرأينا من الخير أن ننصرف عن مناقشتهم وأن نعرض عن الرد عليهم، واستمساكا بهذه السنة لم نلتفت إلى كل ما ظهر من كتب في نقد كتبنا غير كتاب العجاج هذا، فقد كتبنا هذه الالمامة فيه للضرورة

---



التى أوضحناها في مقدمة هذه الطبعة، ومن شاء أن يطلع على الرد المفصل الحكيم على كتاب هذا العجاج فعليه بكتاب (أبو هريرة في التيار) للعلامة عبد الله السبيتى فإنه لم يدع صغيرة ولا كبيرة مما جاء بكتاب العجاج إلا رد عليها ردا بليغا مفحما، وإننا قبل أن نضع القلم من هذه الالمامة لا نرى بدا من أن نزجى خالص الشكر إلى الخطيب العجاج على أن أتاح لنا فرصة طيبة لكى نعرف كيف يكون تأليف كبار شيوخنا الازهريين ! وبخاصة من يتولى منهم التدريس في كليات الجامعات، ونقف على مبلغهم من العلم في النقد، ومدى بصرهم به، ثم كيف يصنعون من الخرافات والمتناقضات وما إليها صورا يخرجونها في كتب تفسد عقول الناس وأفكارهم.

ردنا على الشيخ محمد أبو زهرة كان الشيخ محمد أبو زهرة قد كتب تقريظا لكتاب العجاج نشره بمجلة الكتاب العربي التى تصدر عن وزارة الثقافة، المصرية وكأن هذه المجلة قد عنيت بنشر هذا التقريظ لتؤيد به عمل هذه الوزارة التى نشرت هذا الكتاب، وقد رددنا على هذا التقريظ بهذه الكلمة في العدد الرابع من هذه المجلة الصادر في شهر سبتمبر سنة ١٩٦٤ وهاك نصها: قالت هذه المجلة: جاءنا من الاستاذ محمود أبوريه رد بعنوان " لمحة في تقريظ الشيخ أبى زهرة لكتاب أبى هريرة " يقول فيه.. وبعد أكثر من سبعة أشهر من ظهور هذا الكتاب الذى صنفه العجاج عن أبى هريرة يخرج الشيخ محمد أبو زهرة على الناس بتقريظ له نشر في العدد الاول من مجلة (الكتاب العربي)، الذى صدر في ١٠ يونية سنة ١٩٦٤ (١)، ولم يكد يبدو هذا التقريظ للناس حتى تساءلوا: لم تأخر الشيخ عن تقريظ كتاب (تلميذه) هذه الشهور الطويلة ؟ ونحن لا يعنينا إن كان هذا التقريظ قد تأخر صدوره أو جاء في أوانه، وإنما الذى يهمنا هو التقريظ نفسه، وقد رأيناه، ثم أقبلنا على قراءته، وكان الظن - وبخاصة بعد أن جاء بعد هذا الزمن الطويل من ظهور الكتاب - أننا سنجد فيه شيئا من ثقافة الشيخ ينفع العلم، أو يؤيد الحق، أو يفيد النقد ! ولكن خاب ظننا إذ لم نجد إلا صفحات اسودت بكلمات ردد فيها الشيخ ما ذكره - ولده - أي تلميذه، في كتاب (أبو هريرة)، وكأن الشيخ وهو يستعلن بذلك إنما يزدهى ويستعلى أن أصبح من تلاميذه من يؤلف الكتب، وينشر في الصحف ! ولكن ليعلم أن الحقيقة تنادى من وراء ذلك، أن هذا التلميذ لم يبلغ بعد سن الرشد العلمي ! وآية ذلك أنه اعترف على نفسه بأنه قضى ثلاث سنوات ! يحمل كتابه بين

---

(١) ظهر كتاب (أبو هريرة) في ٧ / ١١ / ١٩٦٣. (*)



يديه ويدور به على من سماهم (العلماء) ليستعين بهم على إخراجه (١) وأن مطافه قد انتهى به إلى (أستاذه الجليل) الشيخ على حسب الله، فقرأه عليه، وأمده بنصائحه (٢). وبديهى أن الشيخ محمد أبو زهرة كان من الذين طاف العجاج بهم، وانتفع بعلمهم - ومن يفعل ذلك لا يعد - ولا ريب - من المؤلفين المحققين، وأولى به أن يواصل الدرس والتحصيل، إلى أن يستوى ويستحصد، ثم يخرج إلى الناس بثمرات علمه ناضجة، بغير أن يستعين بأحد أو يستند إلى إنسان (٣) ! ونحن قبل كل شئ لا بد لنا من أن نصدق الشيخ في قوله إن (العجاج) ولده ولا شك في صحة هذه القرابة العلمية، فإن القرائن كلها تؤيد ذلك وتؤكده، وأنت إذا درست كتاب (التلميذ) حق الدرس، وقارنته بما أتى به أستاذه في تقريظه، فإنك ترى أوجه الشبه بينهما بادية - وبخاصة في أسلوب التعبير، وطريقة التفكير، والتماثل في العلم، والتشابه في الفهم، ومن أجل ذلك نجد تقريظ الشيخ مطابقا لما في الكتاب، أو هو الكتاب مصغرا ! وإذا كنا قد أشبعنا القول في نقد كتاب (أبو هريرة) وكشفنا عما يحمل من جهالات ومفتريات ومغالطات وما إلى ذلك - وذلك في كتابنا (شيخ المضيرة) الذى سيظهر في طبعته الثانية قريبا إن شاء الله - فإنا لا نتوسع هنا في الكلام عما جاء في هذا التقريظ مما يستوجب النقد، ونكتفى بإلمامة وجيزة نشير فيها إلى بعض أمثلة تبدو منها قيمته، وتظهر مقدار وزنه، وتوضح صدق ما قلنا. قال الشيخ في تقريظه: إن أبا هريرة قد أسلم وهو في بلاده (اليمن) عندما سمع بالدعوة

الاسلامية ! وأنه قضى في صحبة النبي أربع سنوات، وهذا عين ما زعمه العجاج في كتابه وقد أثبتنا بالادلة القاطعة - ومنها ما رواه البخاري عن

---

(١) راجع العدد ١٠٣٨ من مجلة الرسالة الصادرة في ٥ ديسمبر ١٩٦٣. (٢) صفحة ٧ من كتاب (أبو هريرة). (٣) يظن بعضهم أنه متى حصل على شهادة دراسية رسمية فإنه يصبح بها عالما من حقه أن يؤلف الكتب وينشئ الرسائل، وهذا وهم لان هذه الشهادات ليست غاية يقف عندها المتعلم ! وإنما هي وسيلة للدأب في تحصيل العلم الذى تنقضي الاعمار ولا يبلغ الانسان منه غايته. وإذا كانت تآليف أولاد الشيخ مثل ما رأينا فيا خيبة التأليف، ويا ضيعة العلم. (*)

---



أبى هريرة نفسه - من أنه لم يسلم ولم يعرف الاسلام إلا بعد وقعة خيبر التى كانت في صفر سنة ٧ هـ وأنه بعد أن قضى في الصفة التى كان يسكنها سنة وبضعة أشهر، أقصاه النبي صلى الله عليه وآله إلى البحرين مع العلاء بن الحضرمي في سنة ٨ هـ فجعله العلاء مؤذنا له، كما طلب هو منه ذلك، بأنه لم يكن يحسن شيئا حينئذ غير التأذين، وقد اعترف العجاج بهذا الاقصاء صراحة في كتاب (صفحة ٩٠). فإذا كان أبو هريرة قد اعترف - كما روى البخاري - أنه أسلم في صفر سنة ٧ هـ ثم أبعد إلى البحرين في سنة ٨ هـ فمن أين جاءت هذه السنين الاربع التى يزعم الشيخ وتلميذه أنه قضاها في صحبة النبي صلى الله عليه وآله ! ! هذا مثل مما حمله كتاب (أبو هريرة) من الجهالات الفاضحة وجاء الشيخ فأقره عليه في تقريظه. وإليك مثلا آخر من تقريظ الشيخ ذلك أنه زعم أن أبا هريرة لا ينفرد برواية حديث ويكون فيه ما يخالف القرآن. ونحن نسوق إلى الشيخ حديثا واحدا من أحاديث كثيرة مثله انفرد أبو هريرة بروايته وخالف فيه القرآن مخالفة صريحة - وهذا الحديث رواه مسلم (في صحيحه) ولم يستطع العلماء جميعا على كثرة ما حاولوا أن يدافعوا عن أبى هريرة فيه، ولا أن يدرأوا عنه تهمة الكذب على رسول الله، ولما أعياهم الدليل جزموا بأنه قد تلقاه عن شيخه كعب الاحبار الكاهن اليهودي الكبير ! ذلكم هو حديث (خلق الله التربة يوم السبت) وهذا نصه: " أخذ رسول الله بيدى ! فقال: خلق الله عزوجل التربة يوم السبت ! وخلق فيها الجبال يوم الاحد ! وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الاربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل) فهذه سبعة أيام ! والتوراة والقرآن يقولان إن الله قد خلق الارض في ستة أيام، وبذلك يكون أبو هريرة قد خالف القرآن وكذب على الرسول صلوات الله عليه - ومن العجيب أنك ترى

---



هذا (الصحابي الجليل راوية الاسلام) قد صرح بسماع هذا الحديث من النبي ! بل بالغ فقال: إن النبي قد أخذ بيده وهو يحدثه به ! ! وإذا كان مثل هذا الحديث الذى صرح (بسماعه) من النبي صلى الله عليه وآله قد ثبت أنه قد كذب فيه، وأنه تلقاه عن أكبر أحبار اليهود في زمنه كما قضى بذلك كبار رجال الجرح والتعديل - فترى ماذا يكون الامر في الاحاديث التى تلقاها عنعنة من غير النبي صلى الله عليه وآله وهى تعد بالالوف. ولعل مولانا الشيخ يسمح لى بأن أسأله - وأرجو أن لا يغضب - ذلك أن يتفضل فيحل المشكل المعقد في هذا الحديث وينتشل راوية الاسلام من الهوة التى تردى فيها ! لان هذا

الاشكال سيظل يسم أبا هريرة بميسم الكذب على رسول الله إلى يوم القيامة ! ومما قرأناه في هذا التقريظ أن الشيخ يرمى كل من يمس أبا هريرة بأنه (يطعن في السنة) - وهذا منطق عجيب استغربنا كيف بمصدر من مثله، لان معنى ذلك أن السنة القولية كلها - وكل من حملوها عن النبي صلى الله عليه وآله وعملوا بها ونشروها من كبار الصحابة وفضلائهم رضوان الله عليهم لا يعدلون كلهم (أبا هريرة) وأنه وحده هو راويها، حتى إذا ناله نقد فإن هذا النقد يصيب السنة كلها ! وهذا القول لا يقره عليه عالم، ذلك بأن السنة المحمدية قائمة ثابتة لا يضرها أن ينقص من رواتها أبو هريرة ولا غير أبى هريرة - وإذا لم يخلق أبو هريرة فإنه لا ينقصها شئ، على أن هذا القول الذى ذكره الشيخ لا يستقيم ولا يكون له معنى إلا إذا جاء الخبر المتواتر بأن النبي قد قال (خذوا سنتى عن أبى هريرة). وإذا كنت قد جئت في هذه العجالة ببعض ما يلاحظ على تقريظ الشيخ ومسسته بالنقد مسا رقيقا رعاية لمكانته بين تلاميذه وإيثارا للايجاز، فإنه لا يسعنى إلا أن أعترف بأنى قد أفدت من هذا التقريظ فائدة عظيمة لم يظفر الناس بمثلها من قبل ! ولعل هذه الفائدة هي التى ساقتني اليوم إلى كتابة هذه الكلمة، بعد أن آليت على نفسي أن لا أرد على أحد من الذين

---



انتقدوني عندما ألفيتهم جميعا قد اتخذوا الشتم والقذف مذهبا لهم في جدالهم، ذلك بأنه لا يصح لى أن أجاريهم في مضمارهم وقد قال الشاعر: إذا جاريت في خلق سفيها * فأنت ومن تجاريه سواء أما هذه الفائدة فهى أن مصنف كتاب (أبو هريرة) قد نقل في الصفحة ٣٢٨ وما بعدها إلى كتابه كلمة عن ابن خزيمة وصف فيها من تكلموا في أبى هريرة بأنهم إما (معطل جهمى) أو (خارجي) أو (قدري) أو (جاهل) ! فجاء مولانا الشيخ وابتدع بعلمه واجتهاده وصفا طريفا لهم فقال " إنهم طائفتان طائفة إسلامية تؤمن بالله على حرف. وأخرى لا تؤمن بالله ولا برسوله "، وقد قضى بذلك الحكم المبرم على كل من انتقدوا أبا هريرة - ونحن منهم طبعا - ولا نعلم في أي الطائفتين قد سلكنا الشيخ غفر الله له. هذه هي الفائدة التى عادت علينا من تقريظ مولانا الشيخ - ولا ندرى والله إذا كان من يقضى على طائفة من المسلمين بهذا الحكم الخطير مسلما ! فضلا عن أن يكون شيخا من شيوخ الدين ! أو أنه غير ذلك ؟ على أننا لا نتورط فنقع فيما وقع فيه غيرنا، فنخرج الشيخ من إسلامه ونكون بذلك من الجاهلين ! ولعل سائلا يسأل فيقول: من أين للشيخ أن يعرف درجات الناس في الايمان، ومقدار وزنهم في الاسلام، ويقطع بأن هذا مسلم وهذا كافر ؟ وبأى حق يتدسس إلى العقائد فيحكم فيها برأيه، وهذا من غيب الله الذى استأثر بعلمه ولا يدركه أحد من خلقه، حتى الرسل صلوات عليهم إلا بوحى من السماء ؟ ؟ ونقف عند هذا الحد من الكلام عن تقريظ الشيخ لكتاب (أبو هريرة)، وفيما بيناه في تاريخ (شيخ المضيرة) وما رددنا به على كتاب (أبو هريرة) في آخر هذا التاريخ - وهو في الحقيقة رد على جميع من اشتركوا في تأليفه - لبلاغ أي بلاغ. وقبل أن نضع القلم نسر في أذن مولانا الشيخ كلمة نقول فيها: إن تقريظه هذا لم يكن له أي أثر في تغيير شئ من حقيقة تاريخ أبى هريرة، لا من قريب

---



ولا من بعيد، ولا هو بدافع شيئا من التهم التى رمى بها على مد الزمن من لدن الصحابة إلى اليوم وإلى أن يشاء الله. وإذا كان مولانا الشيخ قد دفعه الغلو في تقدير عمل تلميذه حتى قال: " إنه تتبع ما

أثير من شبهات حول شخص أبى هريرة وعلمه فأزالها، وجلى صفحته نقية طاهرة " فإنا نقول للشيخ في صراحة وصدق، كما قلنا لولده من قبل، إن صفحة أبو هريرة لا ينقيها ولا يطهرها كتاب العجاج ولا ألف كتاب مثله، وإنما الذى يطهرها وينقيها، هو أحد أمرين لا ثالث لهما، وأم المنطق لم تلد غيرهما ! فإما أن تجردوا كتب الحديث كلها مما فيها من الاحاديث التى رواها أبو هريرة وفيها ما فيها من المشكلات والخرافات التى تفضحنا عند سائر الامم - مثل حديث (خلق الله التربة يوم السبت) الذى تكلمنا عنه آنفا - وحديث لطمة موسى لملك الموت ففقأ عينه، فصعد الملك إلى الله ليشكو موسى ! وحديث نزول الانهار الاربعة من الجنة سيحون وجيحون والنيل والفرات - وهى أسطورة هندية قديمة، وحديث غمس الذباب في الاناء ثم يؤكل ما فيه بعد ذلك، وغير ذلك مما ذكرنا منها أمثلة كثيرة في كتابنا (شيخ المضيرة) تلك الاحاديث التى يعرونى الخجل من الناس عندما أنقلها إليهم - إما ذلك، وإما أن تثبتوا أن جميع من رووا عنه قد كذبوا عليه، وأن الرجل في نفسه برئ مما نسب إليه ! بذلك وحده لا بغيره يصبح شخص أبى هريرة نقيا طاهرا، أما مضغ الكلام وعلك الحديث، وتأليف الكتب وتقريظها، فهذا كله لا ينفع ولا يفيد بل يذهب كله هباء. وإلى اللقاء يا مولانا الشيخ عندما تظهر الطبعة الثانية (١) من كتابنا (شيخ المضيرة) إن شاء الله التى سأهدى إليك وإلى الشيخ على حسب الله نسخة منه لكى تعرفا منه تاريخ هذا الصحابي على حقيقته، وترون كيف يكون التأليف العلمي الصحيح، ومدى معاناة البحث عن الحقائق وتمحيص لاخبار، مما لا يمكن احتماله أو الصبر عليه إلا بعد اطراح العواطف والاهواء، والتخلص من الجمود وتقليد الآباء، والسلام على من اتبع الهدى. القاهرة محمود أبوريه

---

(١) فشرنا هذه الكلمة قبل ظهور الطبعة الثانية من هذا الكتاب. (*)

---



كلمتان نفيستان وقفنا على هاتين الكلمتين النفسيتين فاستخرنا الله في أن ننشرهما هنا لان المقام يستدعيهما ! إحداهما لحجة الاسلام الغزالي، والاخرى للامام المرتضى اليماني رضى الله عنهما: قال الغزالي في خطبة كتاب (فيصل التفرقة) يخاطب بها من أبلغه أنهم يرمونه بمختلف التهم، ومنها الكفر (١) ! " هون أيها الاخ المشفق على نفسك، لا يضق به صدرك، وفل من غربك قليلا، واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا، واستحقر من لا يحسد، ولا يقذف، واستصغر من بالكفر والضلال لا يعرف ! فأى داع أكمل وأعقل من سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وقد قالوا: إنه مجنون من المجانين، وأى كلام أجل وأصدق من كلام رب العالمين، وقد قالوا: إنه أساطير الاولين ! أما سمعت ما قيل: كل العداوة قد يرجى سلامتها * إلا عداوة من عاداك عن حسد " وقال الامام المرتضى اليماني في كتاب (إيثار الحق على الخلق) (٢): لا ينبغى أن يستوحش الظافر بالحق من كثرة المخالفين، كما لا يستوحش الزاهد من كثرة الراغبين، ولا المتقى من كثرة العاصين، ولا الذاكر من كثرة الغافلين. بل ينبغى منه أن يستعظم المنة باختصاصه بذلك مع كثرة

---

(١) لقد قذفونا في كتبهم التى بلغت أكثر من اثنى عشر كتابا بكل عوراء من القول، ورمونا بالارتداد عن الدين وبالفسق والزندقة، أما الكفر فقد قرأناه مرارا وصارحنا به جهرة أحد صبيان الازهر الذين اتخذوهم ليتولوا الناس بالاذى، وكان ذلك أمام الاستاذ أحمد حسن الزيات رحمه الله محرر مجلة الازهر والاستاذ محمود الشرقاوي وأحد

شيوخ الازهر وكنا بدار مجلة الازهر. وارجع إلى مقدمة الطبعة الثانية من كتاب الاضواء لترى ما فعله الازهر معنا. (٢) ص ٢٦ وقد قرأنا في الصفحة ٧٥ من هذا الكتاب القيم حديث حزام بن حكيم عن أمية، ونحن نورده هنا لانه مهم وهو: إن العبادة في صدر الاسلام أفضل من العلم، وإن العلم في آخر الامر أفضل من العبادة. (*)

---



الجاهلين له، الغافلين عنه، وليوطن نفسه على ذلك فقد صح عن رسول الله أنه قال: " إن هذا الدين بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء "، رواه مسلم في الصحيح والترمذي وابن ماجه وروى البخاري نحوه بغير لفظه، وعن أمير المؤمنين على عن رسول الله أنه قال: طلب " الحق " غربة - رواه الانصاري في أول كتابه (منازل السائرين إلى الله) من حديث جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده، ولذلك شواهد قوية ذكرها الهيثمى في مجمع الزوائد إلى علماء الاسلام في جميع الاقطار رأيت فيما نقلناه إليك عن كتاب العجاج أنهم رفعوا فيه مقام أبى هريرة إلى أفق لم يبلغه أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فجعلوه دون غيره من الصحابة (راوية الاسلام !) وأنه وحده الذى اختص بهذه المنزلة التى لا تطاول، فقدموه على الصفوة المختارة من الصحابة رضوان الله عليهم، أمثال أبى بكر وعمر وعلى وغيرهم ! حقا إنها لاحدى الكبر، والذنب الذى لا يغتفر ! ومن هو أبو هريرة هذا حتى ينفرد بهذا الفضل العظيم، ويكون راوية الاسلام لجمع المسلمين على مد الاحقاب وتطاول السنين ! ! إنه لا يعدو أن يكون في الساقة من الصحابة وعامتهم الذين لا شأن لهم ولا خطر ! أو كما يقولون: لا في العير ولا في النفير ! فلم يكن من السابقين الاولين، ولا من المهاجرين، ولا من الانصار، ولا من المجاهدين في سبيل الله بأموالهم أو بأنفسهم. وكل ما عرف من تاريخه أنه انتقل من خدمة ابن عفان وبسرة ابنة غزوان على ملء بطنه، إلى خدمة النبي صلى الله عليه وآله على ملء بطنه كذلك، كما روى البخاري وغيره، ثم لزم الصفة يطعم مع إخوانه فيها لوجه الله فقضى بها سنة وبعض سنة ثم أقصاه النبي صلى الله عليه وآله إلى البحرين، ولم يكن له عمل فيها إلا التأذين بين يدى العلاء بن الحضرمي، ولما توسع في الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله بعد ما اتصل بأستاذه كعب الاحبار، وبعد موت عمر الذى كان ينهاه عنها،

---



اتهمه الصحابة وكذبوه فيما يروى حتى كان أول راوية اتهم في الاسلام، ولا نتوسع في تفصيل تاريخه بعدما بيناه في كتابنا. وبعد ذلك كله وغيره مما فصلناه في كتابنا يخرج أناس من آخر الزمان ويقولون عنه (إنه راوية الاسلام) ! لقد كان واجبا على علماء المسلمين كافة أن يهبوا في وجه الذين قالوا بذلك فيبينوا لهم مبلغ ضرر ما وقعوا فيه ومقدار ما جنوا على الدين وعلى الذى جاء به صلى الله عليه وآله ! ولكن وأسفا فإنا لم نجد من قام منهم بما يوجبه عليه الدين والعلم، وبخاصة علماء مصر جميعا فقد سكتوا عما اقترف العجاج وشيوخه (وأكلوا جميعا حلاوة سد الحنك) كأنهم راضون عنه ! ولم يخفف الامر علينا إلا أن رأينا عالما كبيرا من غير مصر قد انبرى لمؤلف هذا الكتاب وشيوخه، فدحض كل ما سطروه وما افتروه بأدلة قاطعة، وبينات مسلمة، لا تقبل الجدل، ولا يقف في سبيلها أي اعتراض أو مكابرة - ثم وجه اللوم الشديد إلى وزارة الثقافة المصرية التى أعانت على طبع ونشر كتاب العجاج على تفضلها ومنحه فوق ذلك منحة كبيرة. وهذا العالم المفضال هو الشيخ عبد الله السبيتى في كتاب ألفه باسم (أبو هريرة في التيار) جزاه الله عن الدين والعلم أحسن الجزاء. معذرة قد يلاحظ القراء

على أسلوبنا في هذه الالمامة وفى مقدمة هذه الطبعة شيئا من العنف والتهكم، ويقولون: أما كان الاجدر بنا أن نتخذ في ردنا غير هذا الاسلوب سبيلا ! ونحن لا ننكر ذلك ولا ندفعه، ونصرح بأننا لم نتخذ هذا الاسلوب إلا مضطرين، ولا سلكنا هذه السبيل إلا مرغمين، ذلك بأن هؤلاء القوم الذين نخاطبهم قد اتفقت كلمتهم على عدواتنا (١) وتظاهروا على

---

(١) كنت في زيارة العلامة الجليل الشيخ أحمد حسن الباقورى مدير جامعة الازهر وكان ذلك في يوم الاحد ٢٦ يولية سنة ١٩٦٤ فدخل المجلس شيخ ربعة أحمر، وما كاد الشيخ الباقورى يعرفه باسمى حتى التفت إلى في غضب وخاطبني بهذه العبارة: " اسمع يا أستاذ جميع شيوخ الازهر ضدك لما تكتب ! " ثم ولى وعيون الحاضرين تشيعه بالازدراء، وكان لى أن جيبه بقولى " أبشر بطول سلامة يا مربع "، أو أقول كلمة أخرى أشد من ذلك ولكن فضلت السكوت محافظة على حرمة المجلس. (*)

---



سبنا وشتمنا، وتمادوا في قذفنا بمنكر القول وزوره، ولم يشبع ذلك نهم حقدهم وبغضهم بل تمادوا فطعنونا في ديننا، واتهمونا في إيماننا وجاء شيخ منهم يسمى محمد أبو زهرة فوصف إيماننا بأنه (إيمان على حرف) ولا نعيد الكلام في بيان ما وقع علينا من أحد مجرميهم بين جدران الازهر بعد أن فصلناه في مقدمة الطبعة الثانية من كتابنا الاضواء. وعلى رغم كل ما أصابنا فقد آثرنا أن ندفع مع هؤلاء القوم بالتى هي أحسن، وقلنا عفا الله عما سلف، وآية ذلك أننا عندما أردنا أن نخرج الطبعة الثالثة من كتاب الاضواء حذفنا كل ما كتبناه عما وقع علينا (١) وخرج الكتاب خالصا للعلم وحده، وظننا أن القوم كرام فيقدرون صنيعنا، ويحمدون لنا موقفنا، ولكن واأسفا خاب ظننا وغلبت عليهم شنشنتهم، وما لبثوا أن قابلونا أخيرا (بكتيب) رمونا فيه بالفسق وغير الفسق حتى صدق فيهم قول الشاعر: إذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا من أجل ذلك لم نجد أسلوبا يليق بمخاطبة هؤلاء القوم غير هذا الاسلوب، ولا تعبيرا يصلح للرد عليهم سوى هذا التعبير، ورحم الله المتنبي حيث يقول: ووضع الندى في موضع السيف بالعلا * مضر كوضع السيف في موضع الندى ومن قول شاعر آخر: وحلم الفتى في غير موضعه جهل ! على أن كلامنا وإن كان قد بدا في هذا الاسلوب فإنا قد تجنبنا مجاراة من انتقدونا في سفههم، وربأنا بأنفسنا عن أن نهبط إلى الدرك الذى هووا إليه، وارتضوه لانفسهم، حتى لا يوجد في كل كلامنا لفظة قذرة، أو تعبير بذئ من جنس ما قالوا. ولقد كان من حقنا أن نرد عليهم بمثل قولهم، ولكن عصمنا من ذلك قيد ثقيل من أخلاقنا وديننا. ولو أنهم كانوا ذوى أخلاق كريمة ونفوس مهذبة بحيث يجدى معهم دفع سيئاتهم

---

(١) يعرف ذلك الاستاذ العالم الكبير الدكتور السعيد مصطفى السعيد مدير جامعة القاهرة سابقا. (*)

---



بالتى هي أحسن، واعتدائهم بما هو أقوم، لكان قولنا لهم لينا، وأسلوبنا معهم هادئا، ولجرى قلمنا في مناقشتهم على سجيته الطبيعية التى يتبعها في كل ما يخطه. وإنا بعد ذلك لندعو الله مخلصين أن يهديهم إلى طريق الرشاد، وأن يطهر نفوسهم من درن

الاحقاد وأن يشفى عقولهم من داء التعصب والجمود، ويضع عن أعناقهم أغلال التقليد، وعبادة الآباء والجدود إنه سميع مجيب. والسلام على من اتبع الهدى. للتاريخ كنا قد ختمنا الطبعة الثانية من كتاب الاضواء بنشر طائفة من الكتب الخاصة التى تفضل بإرسالها إلينا صفوة من العلماء في الاقطار الاسلامية، وبعض المقالات التى نشرت في الصحف والمجلات العربية التى تشيد بقدر كتابنا الاضواء وتضفى علينا أطيب الثناء مما لا نستحق منه شيئا. وقد فاتنا أن نثبت ذلك في الطبعة الثالثة من الكتاب. وقد رأينا حفظا لحق التاريخ أن نشير إلى هذا الامر هنا بأن نكتفي - لضيق المجال - بنشر أسماء السادة الفضلاء الذين نشرنا كلماتهم من قبل، وهى كما يلى بترتيب نشر هذه الكمات: العلامة المفضال الشيخ عبد الله صالح الفارسى من كبار علماء زنجبار. العالم المحدث الاستاذ عبد الحميد الخطيب المدرس بالحرم المكى وسفير السعودية بالباكستان (سابقا) رحمه الله. العلامة الكبير نعمة الله سلجوقي رئيس فخر المدارس بهرات (أفغانستان). العلامة الجليل الاستاذ مرتضى العسكري عميد كلية أصول الدين ببغداد. العراق. الكاتب العالم المحقق الاستاذ إسماعيل مظهر رحمه الله. الكاتب الكبير الاستاذ طاهر الطناحى محرر مجلة الهلال رحمه الله.

---



أما كلمة الدكتور طه حسين فقد جعلناها مقدمة للطبعة الثالثة من كتاب أضواء على السنة. وأما سائر من تفضلوا علينا برسائلهم الخاصة فنسدى لهم خالص الشكر ونعتذر عن ذكر أسمائهم فيما ذكرنا. تنبيه أعرضنا هنا عن نشر أسماء أسانيد الكتاب ومصادره، اكتفاء بنشرها في الطبعة الثالثة من كتابنا الاضواء. لان كتاب (شيخ المضيرة) هذا يعتبر جزءا مكملا له وتماما عليه - وما زاد على هذه المصادر مما قرأناه لهذه الطبعة الجديدة من كتاب (شيخ المضيرة) قد أغفلنا نشره هنا اكتفاء بذكره في هوامش الكتاب.

---



المقدمة الفارسية هذه ترجمة مقدمة كتاب شيخ المضيرة الذى ترجمت طبعته الاولى باللغة الفارسية التى وعدنا بنشرها في مقدمة الكتاب (١). باسمه العزيز: الكتاب الذى بين يدى القارئ المحترم هو في شرح سيرة (٢) أبى هريرة أحد أصحاب الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم. إن الاحاطة بتاريخ حياة أبى هريرة وخصوصياته كرجل عرف في التاريخ الاسلامي بأنه أحد أصحاب النبي الاكرم صلي الله عليه وآله بل صحابي كبير (مع بالغ الاسف) الذى غصت كتب أهل السنة بمروياته - والاطلاع على دقائق سيرته وأقواله وأفعاله كشخص كان له فخر مصاحبة نبى الاسلام المعظم صلى الله عليه وآله وإدراك مدرسته على غاية من الاهمية سواء من الناحية التاريخية والاخلاقية أو من حيث الوقوف على النتائج المذهلة فيما يخص روايته لبعض الاحاديث التى بين يدى المسلمين المنسوبة إلى النبي الاكرم، أو لنواح أخرى - إن هذه الامور كلها دفعتني إلى المبادرة بترجمة هذا الكتاب الذى يعتبر خير معرف لشخصية (أبى هريرة) ورواياته لكى يوضع في متناول أهل التحقيق. لاريب في أن أبا هريرة بطل هذا الكتاب يتمتع باحترام شديد بين أهل السنة بما له من شرف مصاحبته للرسول الاكرم صلى الله عليه وآله. وبأنه ناقل وراو لكثير من أحاديث النبي في مختلف المواضيع. ولذلك فإنه حينما تعرض مؤلف هذا الكتاب، وكتابه الآخر (أضواء على السنة المحمدية) الذى احتوى حقائق هامة

(١) لقد تفضل بترجمة هذه المقدمة الاستاذان الفاضلان محمد إسحاق الفقيهى السكرتير الاول بالسفارة الافغانية بالقاهرة، وأسعد عبد الجبار الكبيبى المستشار الثقافى المساعد بسفارة الجمهورية العراقية بالقاهرة فشكرا لهما شكرا جزيلا. (٢) حذفنا من هنا عبارة شديدة من عنوان الكتاب وإن كان لا تثريب علينا في إبقائها اتباعا لسنة النقل وكذلك حذفنا بعض سطور من المقدمة، حتى لا نثير غضب ضيقى الصدر الذين ينفرون من كل ما لا يرضيهم من القول ويلعنون قائله لعنا كبيرا.. [ * ]



مذهلة عن الحديث، وعن الوضاعين والمزيفين - ثار حوله جدل ونقاش مريران سواء في مصر أو في سائر الاقطار الاسلامية العربية التى أغلب أهليها من أهل السنة، وأصبح موضع هجوم ونقد وانتقاص وتجريح من ذوى العقول المتحجرة والجمود الفكري من كل فئة وطائفة، لانه قد تجرأ - وعلى غير المألوف - لنقد واحد من صحابة الرسول الاكرم، وتجاسر على وضعه تحت منظار النقد والتحليل الجرئ، وعلل وحقق ودقق جميع روايات أبى هريرة الغزيرة التى رواها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعرض شخصيته ومروياته لموجة عاتيه من النقد والتجريح والاعتراض. وبدهى أن إقدام المؤلف على مثل هذا العمل الذى قد يبدو لاول وهلة في هذه البيئة أمرا غير صحيح ! أو ليس بالسهل (على أقل تقدير) لانه يعد لطمة قاسية لعقائد أناس ظلوا زمنا طويلا يشيعون أبا هريرة بنظرات التقديس والاحترام مؤمنين بصدق رواياته، ويتقبلونها قبولا حسنا، يضاف إلى ذلك أن هذا العمل يعد هجوما مثيرا على واحد من أصحاب النبي الاكرم كان له شرف صحبته ولو لمدة قليلة، ولكن المؤلف لم يكن ليغيب عن ذهنه ما أحدثه التقدم العلمي والعقلي والفكرى في عالمنا المعاصر من تطورات وانقلابات في شؤون الناس وفى جميع الميادين خصوصا بعد أن عرضت لتغيرات واتجاهات جديدة في عقائدهم وعاداتهم وآدابهم حفزت نتيجة لهذا الاسلوب في التفكير أكثر الناس لكى يهبوا لتمحيص كل ما يقع تحت أنظارهم ولا سيما فيما يتعلق منها بالعقائد الدينية. والموضوعات المذهبية، وليبحثوا عن أصل كل شئ ومنشئه، ويقفوا على سببه وعلته، وليسألوا عن دليله وبرهانه ومستنده. إن هذا الكتاب يدل على صدق معتقد المؤلف وأمثاله ممن يضمون بين حنايا أضلعهم إحساس الغيرة على الدين الاسلامي ويتعلقون بأهداب شريعته، وأنهم يقفون بالمرصاد للمعاندين والمغرضين والمنتقصين، خصوصا أن كثيرا منهم على حق في بعض ما يأخذونه على الدين، مما لا ينطبق ومنطق العقل أو العلم مما لا يصح أن يسكتوا أو يقفوا حياله مكتوفي الايدى، ويكتفوا بالاستماع إلى اعتراضات المعترضين، ومآخذ المغرضين، ويستمرئوا طعون الطاعنين من أعداء



الدين متقبلين سيول الشتائم بمستقبح الالفاظ، راضين لانفسهم عار شماتة الاعداء ممن حجبت عنهم سحب أوهامهم وأخيلتهم شمس الحق المشرقة عليهم. وعلى هذا الاساس، ولاجل هذا الهدف، اقتحم المؤلف الفاضل هذا الميدان ليمحص الحق المحض بمستمسكات رصينة، واستدلالات متينة، ليمزق الستر عن وجه حقيقة هامة فيما يتصل بأبى هريرة وأحاديثه، ذلك الذى ظل طوال القرون والعصور الاسلامية الماضية مغطى بغطاء من العقائد البالية تحكى قدسيته. حقا نهض المؤلف ليدافع بهذا الكتاب عن الحرم المقدس للدين الاسلامي، وعن شخصية عظيم الشأن رسول الله الاكرم صلى الله عليه وآله إذ لم يكن الحديث النبوى إلا الرابطة

المباشرة بين الرسول وحيثيته ودينه. ونحن لنحمد للمؤلف هذا العمل البار في جهاده الدينى، وصيانته لقدسية سيد المرسلين، وتبيانه الحقيقة لكل من أخذوا على أنفسهم حمل مثل هذه الرسالة الخطيرة، وإشارته إلى أن خير المسلمين وصلاح أمرهم لا يمكن أن يكون إلا بجهاد الاعداء المتربصين في مثل عالمنا المتكالب بعد تجهيز المجاهدين بأسلحة العلم والمنطق والعقل، وبأسلوب البحث والتحقيق والتتبع، لحماية تلك الفرق والمجموعات التى تتهاوى زمرا متتالية لتسقط في غياهب انحراف العقيدة بسبب الخداع والتهويش الماكر الذى تعرضت له أمدا طويلا، إذ لا ينحصر الجهاد في الانشغال فقط بتلك الفئة من الناس التى اختارت العزلة وآثرت العافية ونأت عن الاعداء الماكرين والتزمت الصمت ولم تعد تهتم بالتحولات والثورات الفكرية في عالمنا المعاصر، ولم تتأثر بما جد فيه، وبقيت كما كانت وستبقى كذلك. وخلاصة القول أن المؤلف المحترم قد أظهر في هذا الكتاب ما كانت عليه شخصية أبى هريرة، مما يجب أن توصف به فعلا، وبين استهتاره في نقل الحديث، وإفراطه في كثرة المرويات عن الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله، وانتهى المؤلف إلى إثبات الهدف المعين الذى قام من أجله أبو هريرة بانتحال بعض الاحاديث ونقلها، لاغراض خاصة، كما أشار من طرف خفى إلى ما يجب على كل مسلم تلقاء أعداء الدين الاذكياء من الاجانب، وكيف أنهم يحتالون لافساد الاخلاق وتحريف الافكار وزلزلة العقائد، لسلب القدرة المعنوية والمادية من المسلمين لكى



ينفذوا بعدها إلى أهدافهم المشئومة عن غير الطرق التى قد يحس الانسان غرابتها فينكر عليهم أقوالهم وأفعالهم، أو يفلت منها مرة واحدة بعد أن يطلع على أهدافهم الآثمة، بل غالبا ما يتسللون كما يتسلل الميكروب عن طريق الطعام المستساغ أو الشراب الطهور، ليستحيل دما يهاجم الجسد والروح دفعة واحدة، وهذا يقتضى حنكة وكياسة يأنسها الناس، ومن هنا مزجوها بأقدس المعتقدات، وليس أقرب ولا أسلم للوصول إلى ذلك من الدين والمعتقدات الروحية، إذ من المحال أن تقوم نهضة دينية إصلاحية إلا على أساس من العقل الصحيح، والعلم النافع، أولا وقبل كل شئ، إذ أن الدين بلا ريب هو دواء كل داء يمكن أن يصيب المسلمين على أن يسلك به طريقا صحيحا وبأسلوب علمي مستدل بالمنطق متساوق مع قانون العقل وطرق التحقيق. وبهذا وحده يمكن أن يؤمن الفلاح والصلاح. فقد سجلوا مثلا أحاديث أبى هريرة وكل من لف لفه، وسجلوا جميع الاحاديث أيا كان راويها مستهدفين من وراء ذلك أغراضا يقصدونها، لان مثل هذه الاحاديث والآثار سواء منها تلك التى احتسبت من الاسرائيليات التى أخذت عن كعب الاحبار ووهب بن منبه وأضرابهم من اليهود المخربين أو ناشرى آثار اليهود، تلك التى لا يقرها عقل حصيف أو منطق سليم، بله ما أثبته العلم والتجربة من بطلان أغلبها، صراحة غير مؤيدة إلا من الايدى الملوثة الحاقدة، وليس لها من نتيجة سوى وضع سلاح بتار قاطع لمعتقداتنا بعد أن أخذوها من أيدينا نحن ليلطخوا بها ديننا الاسلامي المقدس الذى احتوى أسمى التعاليم البشرية، وأروع المثل العليا وأبقى الشرائع القانونية خلودا لبنى الانسان، فيبدو بعدها لنا ولاعدائنا ضحلا تافها ولتمتد بعدها ألسنة الفحاشين والمشتغلين بالقذف والسباب، أبعدنا الله عن هاوية الجهل والضلال، وهدانا إلى الصراط المستقيم.

مؤلف هذا الكتاب العلامة المبجل الشيخ محمود أبوريه مؤلف هذا الكتاب أحد علماء أهل السنة (١) الاجلاء في مصر وأكثرهم شهرة بحرية الرأى وقوة الارادة والشهامة في مناصرة الحقيقة والذود عن الاسلام - وقد تعرض هذا الداعية المبشر بحقائق الاسلام المحرض بشدة على التمسك بأسس الدين القويمة التى يقوم عليها وحدها صرح السعادة - لحملة طعن ظالمة من السطحيين وقليلي التفكير، وزاد في هذه الحملة مشايعته الصادقة واحترامه المؤكد لآل على (٢) إلى جانب ما رماه به بعض شيوخ الازهر وعلمائه من التشيع والرافضية، حتى وصل الامر بينهم لاعنف صور المجادلة والمهاترة والحقد، كما يذكر ذلك المؤلف ذاته في مقالة له نشرت في عددين من مجلة (النهج) الشهرية التى تصدر في لبنان تحت عنوان (قضيتي مع الازهر) بين فيها دقائق هذا الخلاف وردوده عليه بقلم ساحر وبيان متين نحجم عن نقلها مخافة الاطناب وحفظا لوحدة الكلمة (٣). التى نحن أحوج ما يكون لمثلها عالمنا الاسلامي في ظروفنا الراهنة، ولئلا نأتى بعكس المراد من ترجمتنا لهذا الكتاب سائلين الله العلى ومتشفعين بالنبي الامين وآله الطاهرين أولياء الاسلام عليه السلام وحدة الكلمة والرفعة والنصر المبين لجميع المسلمين تحت راية الاسلام الخفاقة.

---

(١) نشكر للسيد المترجم المفضال ما أضفاه علينا بأدبه الكامل من ثناء طيب وأوصاف لا نستحقها، ونذكر له وللناس جميعا أننا لا نعرف شيئا اسمه (أهل السنة) ولا شيئا آخر يقابلها من سائر الفرق أو المذاهب التى استحدثت بين المسلمين لتعريفهم، وبخاصة فإن وصف أهل السنة هذا لم يكن معروفا قبل معاوية بن أبى سفيان، وقد استحدثوه في عهده في العام الذين وصفوه بأنه (عام الجماعة) نفاقا للسياسة لعنها الله، وما كان إلا عام الفرقة، وأصرح كذلك بأنى وقد قضيت ما قضيت من عمرى في الدرس والتحصيل - مازلت أطلب العلم ولا أعد نفسي من الذين يسميهم الناس علماء - أولئك الذين يستغلون، لمأربهم الشخصية، هذا اللقب عند الدهماء. (٢) أن حب آل البيت والتشيع لهم لفرض على كل مسلم مؤمن برسالة محمد صلى الله عليه وسلم. (٣) من أجل هذه الرغبة الكريمة التى أبداها السيد المترجم حذفنا من الطبعة الثالثة من كتاب الاضواء ما كنا نشرناه عن موقف الازهر منا، وكنا نظن أن ذلك قد يذهب ما في صدورهم من ضغن أو يخفف منه. ولو قليلا، ولكنا ما لبثنا أن وجدنا بعض أساتذة كلية أصول الدين بالازهر يصدرون كتبا يرمونا فيها بالجهل والفسوق، ولا حول ولا قوة إلا بالله. (*)



ونرى لزاما علينا في الختام أن نقدم غاية الامتنان للعالم الجليل والحبر النبيل حجة الاسلام والمسلمين السيد آقا سيد رضا صدر دامت أفضاله، الذى تفضل مشكورا - بعد مطالعة هذا الكتاب النافع وإدراك ما فيه محرضا لتعميم نفعه بالترجمة - بإضافة ما وضعه بين أيدينا من التعريف بمؤلف هذا الكتاب، سائلين له طول العمر والتأييد، إذ لو كتب لى شرف فضل في هذه الترجمة فإنما هي له أولا: ولكن بكت قبلى فهيج لى البكا * بكاها فقلت الفضل للمتقدم لا نستحقها، ونذكر له وللناس جميعا أننا لا نعرف شيئا اسمه (أهل السنة) ولا شيئا آخر يقابلها من سائر الفرق أو المذاهب التى استحدثت بين المسلمين لتعريفهم، وبخاصة فإن وصف أهل السنة هذا لم يكن معروفا قبل معاوية بن أبى سفيان، وقد استحدثوه في عهده في العام الذين وصفوه بأنه (عام الجماعة) نفاقا للسياسة لعنها الله، وما كان إلا عام الفرقة، وأصرح كذلك بأنى وقد قضيت ما قضيت من عمرى في الدرس والتحصيل - مازلت أطلب العلم ولا أعد نفسي من الذين يسميهم الناس علماء - أولئك الذين يستغلون، لمأربهم الشخصية، هذا اللقب عند الدهماء. (٢) أن حب آل البيت والتشيع لهم لفرض على كل مسلم مؤمن برسالة محمد صلى الله عليه وسلم. (٣) من أجل هذه الرغبة الكريمة التى أبداها السيد المترجم حذفنا من الطبعة الثالثة من كتاب الاضواء ما كنا نشرناه عن موقف الازهر منا، وكنا نظن أن ذلك قد يذهب ما في صدورهم من

ضغن أو يخفف منه. ولو قليلا، ولكنا ما لبثنا أن وجدنا بعض أساتذة كلية أصول الدين بالازهر يصدرون كتبا يرموننا فيها بالجهل والفسوق، ولا حول ولا قوة إلا بالله. (*)

---



ونرى لزاما علينا في الختام أن نقدم غاية الامتنان للعالم الجليل والحبر النبيل حجة الاسلام والمسلمين السيد آقا سيد رضا صدر دامت أفضاله، الذى تفضل مشكورا - بعد مطالعة هذا الكتاب النافع وإدراك ما فيه محرضا لتعميم نفعه بالترجمة - بإضافة ما وضعه بين أيدينا من التعريف بمؤلف هذا الكتاب، سائلين له طول العمر والتأييد، إذ لو كتب لى شرف فضل في هذه الترجمة فإنما هي له أولا: ولكن بكت قبلى فهيج لى البكا * بكاها فقلت الفضل للمتقدم هذه هي الترجمة البليغة لمقدمة كتاب (شيخ المضيرة) في طبعته الاولى التى دبجها قلم العلامة المفضال محمد وحيد كلپايكانى ونشرتها مكتبة (كتابفروشى محمدى) بطهران عاصمة بلاد فارس.

مكتبة يعسوب الدين عليه السلام الإلكترونية